

إعداد

غالب محمد رجا الزغارير

إشراف

الدكتور محمد آدم محمد صديق

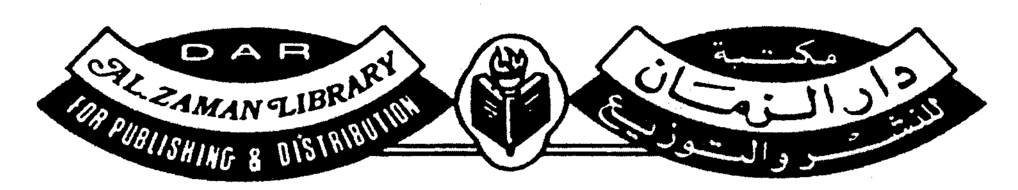


بسم الله الرحمن الرحيم


الماء
في
القرآن الكريم

ⓒ مكتبة دار الزمان، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزعارير، غالب محمد رجا
الماء في القرآن الكريم - المدينة المنورة
٢٤٨ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك ٠ - ٩ - ٩٣٢٩ - ٩٩٦٠
١- القرآن - مباحث عامة أ- العنوان
ديوي ٢٢٩ ٢٢/٣٨٥٥
رقم الإيداع: ٢٢/٣٨٥٥
ردمك: ٠ - ٩ - ٩٣٢٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ



المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ١٥٥٦
هاتف ٨٣٦٦٦٦٦ فاكس ٨٣٨٣٢٢٦
المملكة العربية السعودية

Medina Monawara - Al-Sittin Road - P.O. Box. 1556
TEL: 8366666 - FAX: 8383226
Kingdom of Saudi Arabia



شكر وتقدير:

الحمد لله على نعمه وآلائه، وفضله وتوفيقه في إعداد هذه الرسالة. ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والعرفان لأستاذي الدكتور محمد آدم محمد صديق الذي أعطاني من وقته الكثير، وأفادني في توجيهاته وإرشاداته الدؤوبة والذي لمست منه كل الحرص والرعاية من أجل إخراج هذه الرسالة على أحسن هيئة وحال. والله اسأل أن يحفظه ويرعاه وأن ينفع بعلمه المسلمين والمسلمات.

كما أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد خالد شكري الذي بذل جهداً كبيراً في قراءة هذه الرسالة ومراجعتها وتدقيقها دون كلل أو ملل حتى صارت على ما هي عليه الآن، والذي أتحفني بجانب علمه بخلقه الكريم وصبره الجميل سائلاً العلي القدير أن يكلأه بحفظه ورعايته، وأن يجزيه الجزاء الأوفر.

وأسأل الله تعالى أن يوفق والدي إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يجعل جهدي هذا في ميزانهما يوم نلقاه. كذلك أتوجه بالشكر والعرفان إلى أسرتي وأهلي الذين لمست منهم كل مسؤولية وتقدير.

كما أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ علي محمد محمود على توجيهاته وتوصياته، وللأخ محمد فواز زعارير على مشاركته في تدقيق هذا البحث، وللأستاذ مؤيد محمد حسين على طباعته وتنسيقه هذا البحث، وكذلك أشكر الأخوة والأخوات في كلية مجتمع عجلون الذين وفروا لي الكتب والمراجع.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل من الماء كل شيء حي وجعل منه نسباً وصهراً وكان ربك قديراً. والصلاة والسلام على من جاء للعالمين بشيراً ونذيراً؛ بشر المؤمنين بجنات النعيم التي أعد الله لهم فيها أنهاراً وعيوناً وشراباً طهوراً، وأنذر الكافرين بنار جهنم التي أعد الله لهم فيها عذاباً أليماً وماءً حميماً وبعد:

فإنه أثناء بحثي عن موضوع يكون مناسباً لرسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن وقع اختياري على عدة موضوعات أهمها الماء في القرآن الكريم، وبعد الاطلاع على الآيات الكريمة التي تحدثت عن الماء أو تطرقت إليه والكتب العلمية التي بحثت هذا الموضوع قمت بترتيب خطة البحث، وسرعان ما عرضت هذا الموضوع على جامعة أم درمان الإسلامية في جمهورية السودان وتمت الموافقة عليه بمشيئة الله تعالى.

سبب اختيار الموضوع:

إن من الأسباب التي أدت إلى اختياري لهذا الموضوع نعمة هذه المادة التي أنعم الله بها على كل الكائنات الحية، سواء كانت إنساناً أو حيواناً أو طائراً يطير بجناحيه أو نباتاً، خصوصاً إذا علمنا أن ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية يتكون من الماء، وفي الماء نجى الله نوحاً وأهلك الكافرين من قومه، وفي الماء أهلك الله فرعون ونجى موسى، ومن الماء نجى الله يونس، وعلى سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام وعلى صحبه - أنزل الله ماءً من السماء ليطهرهم به ويثبت به الأقدام، هذا بالإضافة إلى الحقائق العلمية الموجودة في القرآن الكريم والتي اكتشفها العلم، وأثبتها في العصر الحديث؛ من هنا جاء اختياري لهذا الموضوع. ومما زاد إصراري على اختيار هذا الموضوع زيادة حاجة

الإنسان لهذه المادة رغم وفرتها على سطح الأرض، ونزولها المتكرر من السماء؛ إلا أن سوء استخدام الإنسان لموارده وبعده عن طاعة ربه كان لهما الأثر الكبير في الوصول إلى هذا الحال؛ لذلك حاولت في بعض الفصول ربط الماء بطاعة الله تعالى.

الجهود السابقة:

وقد لاحظت أن معظم الذين كتبوا عن الماء وأفردوه بالبحث والتفصيل هم من غير المسلمين، ولبعدهم عن رسالة الإسلام السماوية كان بحثهم علمياً صرفاً كدراسة البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات ونزوله من السماء بأشكاله المختلفة واستقراره على الأرض وفي باطنها وأهميته للكائنات الحية. وكان من الأولى والأجدر بعلماء المسلمين أن يتصدروا بحث هذا الموضوع بالتفصيل خصوصاً أن كتاب الله تعالى يزخر بالآيات التي تتحدث عن الماء. فقد كان بحثهم للماء بحثاً جزئياً؛ فالمفسرون إذا مروا بآية حول الماء فسروها، وعلماء الفقه بحثوا الماء من الناحية الفقهية كالطهارة، والغسل، والوضوء. وبعضهم الآخر يبحث عنه من الناحية العلمية فبقيت الجهود متفرقة. وقد حاولت في هذا البحثِ دراسة الماء من الناحيةِ الكونية والعلمية والتفسيرية والقصصية، وعن علاقة الماء بطاعة الله تعالى، مع التطرق إلى بعض اللفتات التي لها علاقة بهذا الموضوع - وجدير بالذكر أنني لم أتناول في هذا البحث الماء من الناحية الفقهية - وقد حاولت إثراء هذا البحث بعدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي لها صلة بهذا الموضوع.

منهج البحث:

لقد اتبعت لإعداد هذه الرسالة منهجاً علمياً منظماً حاولت فيه -قدر المستطاع- الوصول إلى بحث يكون نافعاً لي ولمن أراد الانتفاع به، وكان أول عمل قمت به تجميع الآيات الكريمة التي تتعلق بالماء، وقراءة معانيها من كتب التفسير، كما رجعت إلى المراجع والكتب العربية والأجنبية التي تكلمت عن الماء أو تطرقت إليه؛ وعلى ضوء ذلك قمت بترتيب هذه الرسالة على النحو التالي:

محتوى الرسالة:

تم تقسيم الرسالة إلى ستة فصول وخاتمة بالإضافة إلى المقدمة والتمهيد، وكل فصل من هذه الفصول تم تقسيمه إلى مباحث، والمباحث قسمت إلى فروع وذلك

حسب ما تقتضيه طبيعة المادة العلمية لكل موضوع.

التمهيد:

تم فيه بيان الألفاظ التي يُعبَّر فيها عن الماء في القرآن الكريم، أو التي لها صلة بالماء؛ وقد تم ترتيبها حسب تعلقها ببعضها أحياناً، وحسب الأهمية أحياناً أخرى بدءاً بالماء.

الفصل الأول: الماء والكون. ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الماء والحياة بين القرآن والعلم؛ وقد بُيِّن فيه أهمية الماء للحياة ودور الماء في العلاج والطهارة ونزوله بقدر من السماء.

المبحث الثاني: دور الماء في التاريخ والحضارة؛ تم الحديث في هذا المبحث عن دور الماء في حضارة الشعوب وحياتها مع ضرب الأمثلة لذلك.

المبحث الثالث: دورة الماء في الطبيعة؛ تم الحديث في هذا المبحث عن الماء والرياح، وعن التبخر، وعن أشكال نزوله من السماء إلى الأرض.

الفصل الثاني: الأمثال التي ذُكر فيها الماء في القرآن الكريم؛ تم التمهيد لهذا الفصل بتعريف المثل وفوائده، وتقسيمه إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: المثل المائي للمؤمنين؛ تم الحديث في هذا المبحث عن النفقة التي تبذل ابتغاء مرضات الله وتمثيلها بالجنة التي تكون على ربوة وتؤتي أكلها ضعفين عندما يأتيها الوابل، فإن لم يصبها وابل فطل.

المبحث الثاني: المثل المائي للكافرين؛ تم الحديث فيه عن دعاء الكافرين لغير الله، وبيان قسوة قلوب المشركين، وعن أعمال الكافرين التي ما هي إلا عن وهم وخيال.

المبحث الثالث: المثل المائي للمنافقين؛ في هذا المبحث ومن خلال بعض الأمثال التي ضربها القرآن في حق المنافقين، تم بيان حقيقة أعمال المنافقين التي لم تكن لأجل الله تعالى. ومن خلال الأمثال المائية تم بيان أحوال المنافقين المضطربة التي لا تستقر على حال.

المبحث الرابع: المثل المائي للحق؛ تم الحديث في هذا المبحث عن الحق ورسوخه وتصويره بأجلى صوره التي تدفع المرء إلى المبادرة إليه والدفاع عنه وتدفعه أيضاً إلى النفور من الباطل ومحاربته؛ وأن الباطل وإن علا بعض الأحيان فما هو إلا عبارة عن زبدٍ يضمحل.

المبحث الخامس: المثل المائي للدنيا؛ من خلال الأمثال المائية للدنيا يدرك المرء هوان الدنيا وسرعة زوالها وانقضائها وهذا ما تم بيانه في هذا المبحث.

الفصل الثالث: الماء في القصص القرآني؛ وقد قسم إلى سبعة مباحث:

المبحث الأول: الماء في قصة نوح - عليه السلام؛ تم الحديث في هذا المبحث عن دعوة نوح لقومه وصناعته الفلك، وحواره مع ابنه وعن الطوفان، وعن المكان الذي رست عليه السفينة، وعن أقوال العلماء في عموم الطوفان.

المبحث الثاني: الماء في قصة صالح - عليه السلام؛ وقد بين فيه سبب قسمة الماء بينهم وبين الناقة، والتحذير من الاعتداء عليها.

المبحث الثالث: الماء في قصة موسى -عليه السلام- وفرعون؛ تم الحديث فيه عن بروز الحدث المائي مع موسى ونجاة موسى من فرعون ومن اليم، ووروده ماء مدين وانفلاق البحر، ونجاته وقومه، وغرق فرعون وجنده، وانفجار الماء من الحجر.

المبحث الرابع: الماء في قصة موسى والخضر-عليهما السلام؛ تم الحديث فيه عن الحوت الذي تزود به موسى والفتى، ولقاء موسى بالخضر، والأحداث المائية التي جرت معهما.

المبحث الخامس: قصة القرية التي كانت حاضرة البحر؛ تم الحديث في هذا المبحث عن انتهاك اليهود لحرمة يوم السبت ومسخهم.

المبحث السادس: الماء في قصة يونس-عليه السلام؛ تم الحديث فيه عن البلاء الذي وقع على يونس، والمكان الذي جرت فيه هذه الأحداث.

المبحث السابع: الماء في غزوة بدر؛ تم الحديث فيه عن بروز الحدث المائي في هذه الغزوة، ودور الماء في ساحة المعركة.

الفصل الرابع: البحار والأنهار في القرآن الكريم؛ تم تقسيمه إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: صيد البحر واستخراج الحلي من البحار والأنهار؛ تم الحديث فيه عن الكائنات البحرية وصيدها؛ بدءاً بالسمك والحيتان وانتهاءً بالإسفنج واللؤلؤ والمرجان.

المبحث الثاني: الفلك التي تجري في البحر، وتسخير البحر للإنسان.

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي في البحار؛ تم الحديث فيه عن الأمواج وأنواعها وعن ظلمات البحر، والدقائق العلمية التي اكتشفها العلم الحديث وأشار إليها القرآن الكريم قبل ذلك.

المبحث الرابع: الآيات التي ذُكر فيها البحر مع البر؛ تم الحديث فيه عن علم الله ما في البحر والبر وعن الإنسان في البحر والبر وحاله بين الرخاء والشدة، والاهتداء في ظلمات البر والبحر وفساد البر والبحر.

المبحث الخامس: مصير البحار يوم القيامة؛ تم الحديث فيه عن كيفية اشتعال النار في الماء، وأقوال العلماء في تسجير البحار وتفجيرها يوم القيامة.

الفصل الخامس: السحاب والسماء؛ قسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الرياح والسحاب والإعجاز العلمي في آيات السحاب، بُيِّن فيه أقوال العلماء في العصر الحديث عن الدقائق العلمية في الرياح والسحاب التي تضمنها كتاب الله، وأشار إليها قبل أن يكتشفها العلم الحديث.

المبحث الثاني: الماء والسماء وعلاقتهما بطاعة الله؛ تم الحديث في هذا المبحث عن علاقة الماء بطاعة الله، وأن الماء قد يكون فتنة وقد يكون بلاء، وعن نزول الماء بقدر من السماء إلى الأرض.

الفصل السادس: الماء يوم القيامة؛ تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الماء في الجنة؛ تم الحديث فيه عن أنهار الجنةِ وعيونها، وعن نهر رسول الله ﷺ، وعن شراب أهل الجنة.

المبحث الثاني: الماء في النار؛ تم الحديث فيه عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة للحصول على الماء، وعن ماء أهل النار وتعذيبهم به.

وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في اختياري لهذا الموضوع وطريقة عرضه، وقد بذلت فيه ما أرجو إليه تعالى أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وإذا حصل مني تقصير فذلك من طبع البشر.

والله أسال أن ينفعنا بما علمنا، وأن يهدينا، ويهدي بنا، والله الهادي إلى الحق والصراط المستقيم.

الباحث

غالب محمد رجا الزعارير

تمهيد

ألفاظ الماء في القرآن الكريم:

أطلق القرآن الكريم على الماء أكثر من اسم ولفظ، تكرر ذكر الكثير منها، وبما أن الماء هو الاسم الرئيس الجامع، وهو عنوان هذا البحث والأكثر تكراراً في القرآن كان الأولى بالحديث أولاً.

الماء: هو الذي يشرب الهمزة فيه مبدلة من الهاء، في موضع اللام، وأصله موه بالتحريك؛ لأنه يجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة، والنسبة إلى الماء، مائي، وإن شئت ماوي[1]. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[2]؛ ويذكر أن هذا اللفظ تكرر ثلاثا وستين مرة في القرآن الكريم[3].

النطفة: «الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل»[4]. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) انظر الجوهري: إسماعيل بن حماد - الصحاح - الجزء السادس - ص٢٢٥٠ - ٢٢٥١ - الطبعة الثانية - بيروت - ١٣٩٩-١٩٧٩ - دار العلم للملايين.
- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر - مختار الصحاح - ص٢٦٧ - إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان -١٩٨٦.

(٢) سورة ق: ٩. والسماء: كل ما علاك فأظلك؛ ومنه قيل لسقف البيت: سما. والسماء المطر؛ سمي به لنزوله من السماء. قال أحد الشعراء:

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضاباً

انظر: «القرطبي - أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ١٥١ الطبعة الخامسة ١٩٩٦ - دار الكتب العلمية - بيروت».

(٣) البنداق: د. محمد صالح، هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن، ص ٣٦٢ - ٣٦٣- الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م - منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت.

(٤) الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسن بن محمد - المفردات في غريب القرآن. ص٤٩٨ - تحقيق: محمد خليل عيتاني - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ ١٩٩٨م - دار المعرفة بيروت - لبنان.

إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[١].

المنيّ: «ماء الرجل، وهو مشدد، والمذي والودي مخففان»[٢]؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾[٣].

المطر: «الماء المنسكب من السحاب، والمَطرُ: ماءُ السحاب، والجمع أمطارٌ.. ومطرتهم السماء تمطرهم مطْراً وأمطرتهم: أصابتهم بالمطر»[٤]؛ وقد جاء لفظ المطر في القرآن الكريم للعذاب والنكال؛ قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[٦].

الغيث: «المطر»[٧]. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٨]، ويلاحظ أن لفظ الغيث استعمل في القرآن الكريم في الخير على النقيض من المطر، «وسمي الغيث غيثاً لأنه يغوث»[٩].

الوَدْق: «المطر كله شديده وهَيّنُه»[١٠]. قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[١١].

أي يخرج «من وسطه وهو مخارج القطر»[١٢].

البرَد: «كريات ثقيلة من الجليد الشفاف تسقط من سحب المزن الركامي، وغالباً

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) الجوهري - الصحاح، الجزء السادس، ص ٢٤٩٧.

(٣) سورة القيامة: ٣٧

(٤) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري - لسان العرب - الجزء الخامس - ص ١٧٨ دار صادر - بيروت.

(٥) سورة النمل: ٥٨.

(٦) سورة الحجر: ٧٤.

(٧) الراغب الأصفهاني - المفردات - ص ٣٦٨.

(٨) سورة الشورى: ٢٨.

(٩) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - الجزء السادس عشر ص ٢٠.

(١٠) ابن منظور: لسان العرب - الجزء العاشر - ص ٣٧٣.
وانظر: الجوهري - الصحاح - الجزء الرابع - ص ١٥٦٣.

(١١) سورة النور: ٤٣.

(١٢) الخازن: علاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادي - لباب التأويل في معاني التنزيل - الجزء الثالث - ص ٣٠٠ - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

ما تصاحبهما عواصف[1] راعدة. . . .» [2]. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[3].

الصَّيِّب: «السحاب ذو الصوت. وصاب أي نزل» [4]. ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[5].

الوابل: «الوبلُ والوابل: المطر الشديد الضخم القطر» [6]. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[7].

الطلّ: «أخف المطر وأضعفه ثم الرذاذ ثم البغش[8]، وقيل: هو الندى. وقيل: فوق الندى ودون المطر» [9]، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[10].

الشراب: الشرب: الماء، والجمع أشراب. **والشراب**: ما شرب من أي نوع كان وعلى أي حال كان[11]. قال تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[12].

السراب: هو الذي يجري على وجه الأرض[13] كأنه الماء؛ يكون عادة نصف

---

(١) يقال عصفت الريح أي إذ ا اشتد هبوبها، وريح عاصف: شديدة الهبوب.
انظر «ابن منظور - لسان العرب - الجزء التاسع - ص ٢٤٨».

(٢) توني: د. يوسف - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٣٦٥ - دار الفكر العربي ١٩٦٤.

(٣) سورة النور: ٤٣.

(٤) الجوهري: الصحاح - الجزء الأول - ١٦٤.
وانظر الرازي: محمد بن أبي بكر - مختار الصحاح - ص ١٥٦.

(٥) سورة البقرة: ١٩.

(٦) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الحادي عشر - ص ٧٢٠.

(٧) سورة البقرة: ٢٦٥

(٨) البغش: «المطرة الضعيفة». «الجوهري - الصحاح - الجزء الثالث - ص ٩٩٦».

(٩) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الحادي عشر - ص ٤٠٥.

(١٠) سورة البقرة: ٢٦٥.

(١١) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ٤٨٨.

(١٢) سورة ص: ٤٢.

(١٣) الأرض: إحدى الكواكب الثمانية الرئيسة من المجموعة الشمسية، ويأتي ترتيبها الخامسة من حيث الحجم، والثالثة من حيث البعد عن الشمس. ويغطي قشرتها غلاف يعرف باسم (الغلاف الصخري) ويحتل الجزء الأكبر منه مسطحات مائية (الغلاف المائي)، ويحيط بالأرض الغلاف الغازي، أو الغلاف الجوي.
«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٢٣».

النهار[1]. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[2].

البحر: «الماء الكثير؛ ملحاً كان أو عذباً؛ وهو خلاف البر؛ سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب. وجمعه أبحر وبحور وبحار»[3] قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

اليم: «أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر»[5]. قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[6].

النهر: النَّهْرُ والنَّهَرُ واحد، والجمع أنهارٌ ونُهُرٌ ونُهورٌ، ونَهَرَ الماء إذا جرى في الأرض وجعل لنفسه نهراً؛ وكل كثير قد جرى فقد نَهَرَ واستنهر، والنَّاهور: السحاب[7]. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[8].

السحاب: «والسحابة: الغيم. والسحابة: التي يكون عنها المطر؛ سميت بذلك لانسحابها في الهواء، والجمع سحائب وسحاب وسحب»[9]. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾[10].

---

(١) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ٤٦٥.
- الجوهري - الصحاح - الجزء الأول - ص ١٤٧.

(٢) سورة النور: ٣٩.

(٣) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الرابع - ص ٤١.

(٤) سور ة الجاثية: ١٢.

(٥) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الرابع - ص ٤٢.

(٦) سورة القصص: ٧.

(٧) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الخامس - ص ٢٣٦- ٢٣٧.
- الجوهري - الصحاح - الجزء الثاني - ص ٨٤٠.

(٨) سورة البقرة: ٢٥.

(٩) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ٤٦١.
وانظر الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب - القاموس المحيط - الجزء الثاني - ص١٣٩ - ١٤٠ - دار الجيل - بيروت.

(١٠) سورة النور: ٤٣.

المعصرات: «السحائب التي تعتصر بالمطر؛ أي تصب، وقيل التي تأتي بالإعصار» [1]. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[2].

الغمام: الغمامة بالفتح: السحابة، والجمع غمام وغمائم، وسحاب أغمُّ: لا فرجة فيه ومنه قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ﴾[3]، والغمام الغيم الأبيض، وإنما سمي غماما؛ لأنه يغم السماء؛ أي يسترها[4].

الكِسْف: «وكِسْفُ السحاب وكِسَفُه: قطعه، وقيل إذا كانت عريضة فهي كِسْف»[5] قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[6].

المزن: «السحاب عامة، وقيل: السحاب ذو الماء، واحدته مزنة، وقيل المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن» [7]. قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾[8].

ألفاظ قرآنية تدل على الماء:

البِئر: القليب، مؤنث، والجمع آبار، فإذا كُثِّرَتْ فهي البئار[9]. قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[10].

الجب: «البئر مذكر...وقيل هو البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر» [11]. قال تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾[12]؛ أي: «في قعره، سمي بها

---

(١) الراغب الأصفهاني - المفردات - ص ٣٣٩.
(٢) سورة النبإ: ١٤.
(٣) سورة الأعراف: ١٦٠.
(٤) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثاني عشر - ص ٤٤٣ -٤٤٤.
(٥) ابن منظور - لسان العرب - الجزء التاسع - ص ٢٩٩.
(٦) سورة الطور: ٤٤، «والركام: جمع شيء فوق شيء حتى يصير ركاماً مركوماً كركام الرمل». «الفيروز آبادي - القاموس المحيط - الجزء الرابع - ص ١٢٣».
(٧) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثالث عشر - ص ٤٠٦
وانظر: الجوهري - الصحاح - الجزء السادس - ص ٢٢٠٣
(٨) سورة الواقعة: ٦٩.
(٩) انظر ابن منظور - لسان العرب - الجزء الرابع - ص ٣٧.
(١٠) سورة الحج: ٤٥.
(١١) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ٢٥٠.
(١٢) سورة يوسف: ١٠.

لغيبوبته عن أعين الناظرين»[1].

العين: «التي يخرج منها الماء. والعين: ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري، مؤنث، والجمع أعين وعيون. ويقال غارت عين الماء وعين الركية: مفجر مائها ومنبعها[2].

قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[3].

فار التنور: «نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور»[4]، «والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً»[5] وكان نبع الماء من الأرض إيذانا ببدء الطوفان قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[6].

النبع: نَبَعَ الماء ونَبُعَ، وينبوعه: مفَجَّرُه. والينبوع: الجدول الكثير الماء، وكذلك العين[7] قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[8].

السيل: الماء الكثير السائل وجمعه سيول. ومَسِيل الماء جمعه أمسِلةٌ: وهي مياه الأمطار إذا سالت[9]. قال تعالى: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾[10].

المغتسل: وهو الماء الذي يغتسل به[11]. قال تعالى: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[12].

---

(١) البيضاوي - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص٤٧٧ -الطبعة الأولى ١٩٨٨ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) انظر ابن منظور لسان العرب - الجزء الثالث عشر -ص ٣٠٣
وانظر الفيروز آبادي - القاموس المحيط - الجزء الرابع - ٢٥٣.

(٣) سورة الغاشية: ١٢.

(٤) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٤٥٦.

(٥) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ٢٤.

(٦) سورة هود: ٤٠.

(٧) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثامن - ص ٣٤٥.
- الفراهيدي - أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد - العين - الجزء الثاني - ص ١٦٠ تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي - دار الكتب العلمية - ببيروت.

(٨) سورة الزمر: ٢١.

(٩) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الحادي عشر - ص ٣٥١.

(١٠) سورة الرعد: ١٧.

(١١) انظر: البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٣١٣.

(١٢) سورة ص: ٤٢.

أودية: «جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين أو نحوهما» [١]. قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [٢] وقد نكرت الأودية «لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض» [٣].

ألفاظ قرآنية تدل على الماء وغيره:

الرزق: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [٥] «يعني المطر؛ فإنه سبب الأرزاق» [٦] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [٧] وقيل: أراد بالرزق المطر الذي هو سبب الرزق؛ أي لو أدام المطر لتشاغلوا به عن الدعاء، فقبض تارة ليتضرعوا وبُسط أخرى ليشكروا [٨].

بركات: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٩].

والبركات هنا: المطر والنبات [١٠].

رحمة: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ

---

(١) الشوكاني - محمد بن علي بن محمد - فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير - الجزء الثالث -ص ٩١ - طبعه وصححه أحمد عبد السلام - الطبعة الأولى- ١٩٩٤م - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) سورة الرعد: ١٧.

(٣) الزمخشري - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - الجزء الثاني - ص ٥٠٣ - رتبه وصححه محمد عبد السلام شاهين - الطبعة الأولى ١٩٨٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) سورة الجاثية: ٥.

(٥) سورة غافر: ١٣.

(٦) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٦٥.
وانظر: البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٣٣٦.

(٧) سورة الشورى: ٢٧.

(٨) انظر القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السادس عشر -ص ١٩.

(٩) سورة الأعراف: ٩٦.

(١٠) انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ١٢٩.
- البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٣٥١.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾[1] قيل الرحمة هنا: المطر[2]. وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[3]. فـ«رحمة الله هي الغيث، وأثرها النبات»[4].

ألفاظ قرآنية لها علاقة بالماء:

البرق: «الذي يلمع في الغيم، وجمعه بروق»[5] قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾[6].

الرعد: «صوت السحاب... وقيل رَعَدَتْ السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت؛ ويكنى بها عن التهديد»[7]. قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[8].

الشتاء: قال تعالى: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[9]. الرحلة: الارتحال؛ وكانت قريش تسيّر إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء؛ لأنها بلاد حامية، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة[10].

الزبد: «الذي يعلو الماء فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية وتدفعه الرياح»[11]،

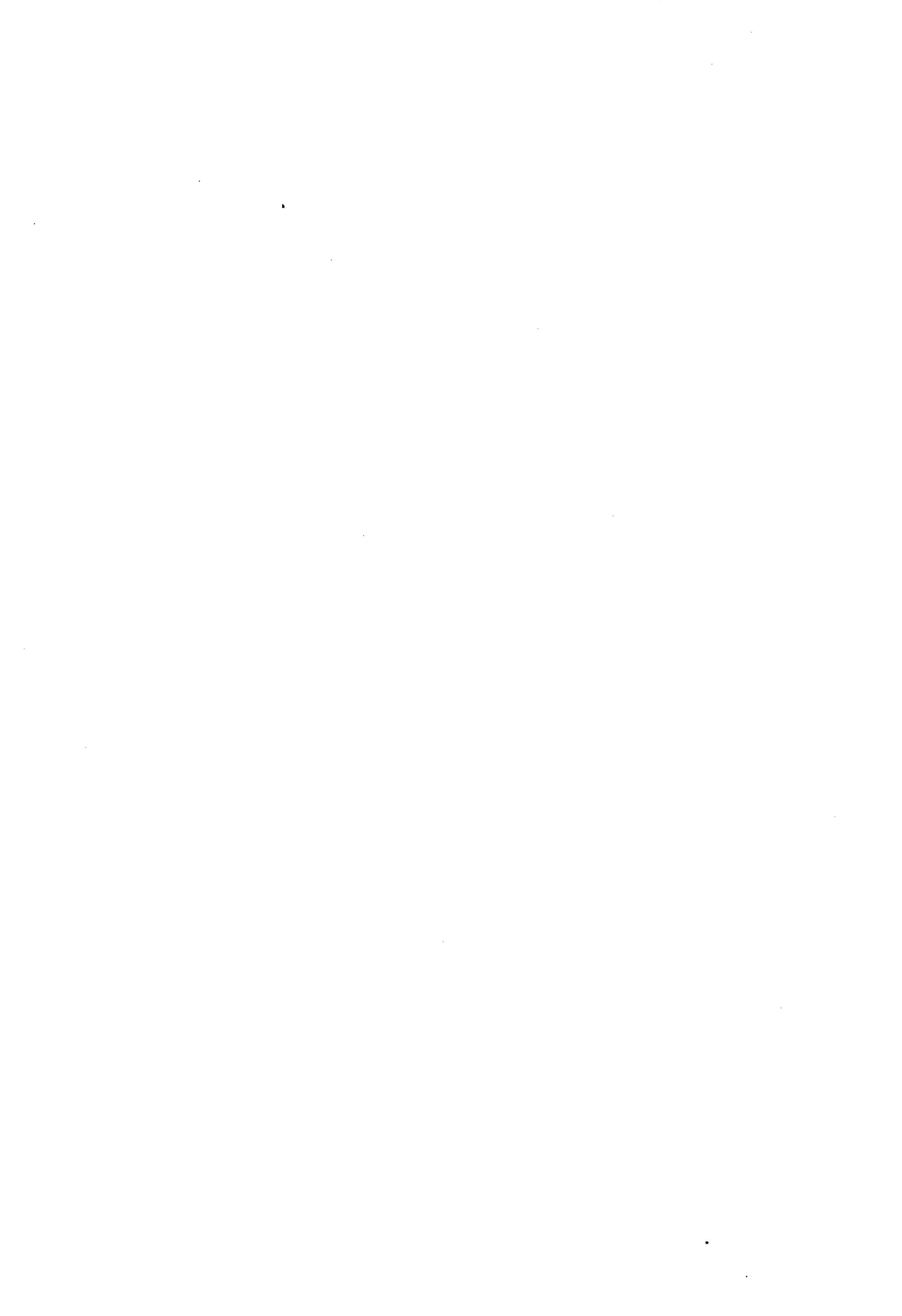
---

(١) سورة الشورى: ٢٨.
(٢) انظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السادس عشر - ص ٢٠.
- الجلالين - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تفسير الجلالين ص ٦٤٣- دار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.
وقوله تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب، ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء، كأنه قال: ينزل الرحمة التي هي الغيث، وينشر غيرها من الرحمة الواسعة.
انظر «الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٢١٨».
(٣) سورة الروم: ٥٠.
(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٧٠.
(٥) ابن منظور -لسان العرب - الجزء العاشر - ص ١٤.
(٦) سورة النور: ٤٣. «السنا مقصور: ضوء البرق».
«الجوهري - الجزء السادس - ص ٢٣٨».
(٧) الراغب الأصفهاني - المفردات - ص ٢٠٣.
(٨) سورة الرعد: ١٣.
(٩) سورة قريش: ٣.
(١٠) انظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء العشرون - ص ١٤٠.
(١١) المصدر السابق - الجزء التاسع - ص ٢٠٠.

و«الزُبدْ اشتق منه لمشابهتهِ إياه في اللون»[1]. قال تعالى: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ﴾[2].

الطوفان: كل حادثة تحيط بالإنسان وصار متعارفاً في الماء المتناهي في الكثرةِ، حتى إن الحادثة التي نالت قوم نوح كانت الماء[3]. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾[4].

(١) الراغب الأصفهاني - المفردات - ص ٢١٦.
(٢) سورة الرعد: ١٧.
(٣) الراغب الأصفهاني - المفردات - ص ٣١٣.
(٤) سورة الأعراف: ١٣٣.



الفصل الأول: الماء والكون.

ويشمل المباحث التالية:

المبحث الأول : الماء والحياة بين القرآن والعلم.

- أثر الماء في الحياة.
- الإنسان والماء.
- والله خلق كل دابة من ماء.
- الماء والنسب.
- الماء والطهارة.
- ماء السماء طهور.
- التداوي بالماء.
- عيون وآبار فيها العلاج.
- أثر الماء في جسم الكائن الحي.
- الماء في الطبيعة بقدر.

المبحث الثاني : دور الماء في التاريخ والحضارة.

- تمهيد.
- حضارة وادي النيل.
- سد مأرب.
- استخدام الإنسان للمياه.

المبحث الثالث : دورة الماء في الطبيعة.

- الهواء والماء.
- أشكال الماء الذي ينزل من السماء.



المبحث الأول

الماء والحياة بين القرآن والعلم

أثر الماء في الحياة:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] وهذا دليل على أن الماء سبب الحياة؛ لأن الله تعالى جعل من الماء الحياة. ولقد جاء هذا المقطع من الآية الكريمة بعد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[2] وقبل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وفي ذلك دعوة لأولئك الذين أنكروا الحجج والبراهين الدالة على الله؛ لكي ينظروا في خلق السموات والأرض، وفي هذه المادة العجيبة التي جعل الله منها كل شيء حي؛ ليهتدوا إلى الله ربهم وخالقهم وخالق كل شيء.

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٠. ورتقاً «ذات رتق أو مرتوقتين، وهو الضم والالتحام؛ أي كانتا شيئا واحداً وحقيقة متحدة». «البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٦٩».

(٣) سورة الأنبياء: ٣٠.

وقد جاءت النظريات العلمية الحديثة لتؤكد أن السماوات والأرض كانتا متلاصقتين، واستدل على ذلك بأدلة علمية عديدة، كما أن الفتق معناه الانفصال، وهذا ما قررته الآية الكريمة وأيده العلم بعد ذلك.

انظر: «الشؤون الإسلامية - وزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية - المنتخب - ٤٧٦ - أشرف على اصداره: د. محمد الأحمدي أبو السنور - الطبعة الحادية عشرة - القاهرة - محرم ١٤٠٦هـ سبتمبر ١٩٨٥م».

فهاتان الحقيقتان العلميتان اللتان جاء بهما القرآن، وأثبتهما العلم الحديث في أن السماوات والأرض كانتا متلاصقتين، وأن الماء أصل الحياة في الكائنات دليل على صدق الدعوة المحمدية. فإلى هؤلاء الكفار والمخترعين والمكتشفين من غير المسلمين والذين يبحثون عن أدلة تثبت ما يقولون. هذا دليل واضح وبرهان ساطع على أن ما يكتشفونه حديثاً من مثل هذه الحقائق سبقهم القرآن إليه قبل ألف وأربعمائة عام، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. الأنبياء: ٣٠. وهذه إشارة واضحة إلى مرونة دعوة الإسلام وتناسبها مع كل زمان ومكان. فالقرآن خاطب الأميين والعوام في صدر الإسلام فأعجزهم، وخاطب العلماء في عصرنا فأعجزهم، وبهرتهم براهينه وحججه.

«وتقرر هذه الآية الكريمة حقيقة علمية أثبتها أكثر من فرع من فروع العلم، وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية، وهو وحدة البناء في كل كائن حي نباتاً كان أو حيواناً، وأثبت علم الكيمياء الحيوية[١] أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء. . .»[٢].

إن الماء بكل أشكاله وأحواله سائلاً كان أم جامداً أم غازيّاً، ملحاً أم عذباً، ساعد على ظهور الحياة على سطح هذا الكوكب؛ فالسحب والضباب[٣] وبخار الماء لها أكبر الأثر في إيقاف الإشعاع المنعكس بامتصاصها له، ولو لم يكن للأرض هذا الغلاف الجوي[٤] الذي يحتوي على بخار الماء لأصبحت الحياة على كوكب الأرض مستحيلة؛ فالقمر مثلاً لا يحتوي على غلاف جوي مما يحدث تفاوتاً هائلاً في درجات الحرارة، فجانب القمر الذي يستقبل ضوء الشمس يصبح ساخناً لدرجة لا يمكن معها ظهور الحياة؛ (لأنها تتجاوز ٢١٢°) وتنخفض ليلًا عندما يحجب ضوء الشمس أثناء الخسوف[٥] إلى (٢١٢°) في ساعة واحدة، فلولا وجود هذا الغلاف لأصبح النهار

---

(١) الكيمياء: علم يبحث في الأجسام البسيطة وفي أعمالها وفي التركيبات الناتجة عنها يقال كيمياء معدنية وزراعية وصناعية - ويقال «كيمياوي وكيماوي chimigue وبالهمزة أيضا ولكن بالواو أصح».
انظر: خباط: يوسف - معجم المصطلحات العلمية والفنية (عربي - فرنسي - إنكليزي - لاتيني) - ص ٦٠١ دار لسان العرب - بيروت -لبنان.

(٢) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص٤٧٦.

(٣) الضباب: «قطرات مائية دقيقه أو دخان أو ذرات الغبار التي يحملها الهواء في الطبقات السفلى من الجو. وقد اصطلح في الأرصاد الدولية على أن تطلق هذه التسمية إذا تعذرت رؤية الأجسام من على بعد كيلو متر واحد. . . ويحدث تكاثف بخار الماء في الطبقات السفلى من الجو نتيجة لبرودة الهواء إلى أقل من نقطه الندى. . . «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص٣٢١».

(٤) الغلاف الجوي: هو الغلاف الهوائي الذي يحيط بالأرض ويتحرك معها، ويتألف أساساً من خليط من الغازات التي أهمها الأزوت (٧٨٪)، والأكسجين (٢١٪)، وغازات أخرى بالإضافة إلى نسب مختلفة من بخار الماء.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص٣٦٢».

(٥) الخسوف: احتجاب ضوء القمر عندما تلقي الأرض - أثناء دورانها بين الشمس والقمر ظلها عليه - ولا تحدث هذه الظاهرة بطبيعة الحال إلا عندما يكون القمر بدراً كاملاً وفي مواجهة الأرض، ولكن لا تحدث هذه الظاهرة في كل حالات البدر؛ ذلك أن فلك القمر لا يطابق مجال الخسوف وإنما ينحرف عنه بنحو (٥) درجات. . .».
«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص٢٠١».

ساخناً بدرجة لا تحتمل، والليل بارداً بدرجة لا تطاق، ولما كان الماء يغطي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية. فإن أغلب الإشعاع الشمسي يسقط عليها؛ وبالتالي فهي أعظم مستودعات الطاقة ومراكز توزيعها على هيئة حرارة[1].

وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يكون الماء قسمين: عذباً وملحاً ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[2] وهذا لم يكن صدفةً أو عبثاً بل أمراً في غاية من الدقة والحكمة، فلو كان كل الماء ملحاً لتعذرت الحياة على الأرض؛ لأن الماء الملح لا تستسيغه الكائنات الحية؛ ولذلك امتن الله على عباده بإنزال العذب عليهم، قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[3]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[4] وهذه نعمة من الله وحدها توجب الشكر لله القادر على كل مقدور بأن جعل كل شيء في الوجود بقدر موزون، ولو كان جميع الماء عذباً لاختلت الحياة كذلك، ولما كان ماء البحار والمحيطات الذي يشكل الغالبية العظمى من سطح اليابسة لا يتحرك كتحرك الأنهار ومليء بالكائنات الحية ويموت الكثير منها باستمرار، لو لم تكن هذه البحار ملحة لأنتن البحر وتلوثت المياه ولتعذرت عندها الحياة على شواطئ البحار والمحيطات. فشاءت إرادة الله تعالى أن يكون ماء الأرض المستقر عليها ملحاً، وماء السماء المتحرك عذباً وطاهراً ونقياً ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5].

الإنسان والماء:

خلق الله تبارك وتعالى آدم -عليه السلام- من طين، والتراب لا يصير طيناً إلا إذا جبل بالماء. قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[6].

ثم تكاثر وتناسل الإنسان بالماء أيضاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ

---

(١) انظر: كينج: طومسون - الماء معجزه الطبيعة - ص٦٧ - ترجمة: زكريا فهمي - مراجعة: كمال الدين حكيم - دار الكرنك للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٦٤.

(٢) سورة فاطر: ١٢.

(٣) سورة المرسلات: ٢٧.

(٤) سورة الواقعة: ٦٨- ٧٠.

(٥) سورة النمل: ٨٨.

(٦) سورة السجدة: ٧.

مَّهِينٍ﴾[1]؛ «فالجنين الذي لم يتجاوز عمره في رحم أمه أياماً ثلاثةً يحتوي على ٩٧٪ ماء»[2].

وفي القرآن دعوة للبشر؛ كي يتفكروا وينظروا ويعتبروا بهذه المادة التي خلقوا منها، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[3].

«ولو راح الإنسان يدقق في هذا الماء الذي تخلق منه الإنسان لأدركه الدوار، وهو يبحث عن خصائص الإنسان الكاملة الكامنة في الأجسام الدقيقة البالغة الدقة، التي تحمل عناصر الوراثة للجنس كله، وللأبوين وأسرتيهما القريبتين، لتنقلها إلى الجنين الذكر والجنين الأنثى كل منهما بحسب ما ترسم له يد القدرة من خلق واتجاه في طريق الحياة»[4].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[5]:

وليس الإنسان وحده تخلق من الماء؛ بل كل ما دب على هذه البسيطة أيضاً رغم تنوعه وتعدده. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[6].

هذا الاختلاف دل على قدرة الصانع وإن كان الجميع من جنس واحد، كقوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[7]. فالنباتات ماؤها

---

(١) سورة السجدة: ٨.

(٢) صالح: د.عبد المحسن - من كل شيء موزون - ص ١٢١ - الطبعة الأولى ١٩٨٤ - عكاظ للنشر والتوزيع - السعودية.
وتبلغ نسبة الماء في جسم الإنسان ٧٠٪ تقريباً وأن ٩٠٪ من وزن الدم من الماء، وتصل نسبة الماء في الإجمال إلى ٨٠٪، وفي النباتات من (٥٠ - ٩٠٪).
انظر: «سليمان - محمد أحمد - القرآن والطب - ص ٦٧-٦٨ الطبعة الخامسة ١٩٨١ - دار العودة - بيروت».

(٣) سورة الطارق: ٥ - ٧. الصلب: الظهر، والترائب: الصدر، والصلب من الرجل، والترائب من المرأة. انظر: «القرطبي - الجامع لأحكام لقرآن - الجزء العشرون - ص ٥».

(٤) سيد قطب: في ظلال القرآن - الجزء الخامس - ص ٢٥٧٣ - الطبعة ١٩٧٦م - دار الشروق - بيروت - القاهرة.

(٥) سورة النور: ٤٥.

(٦) سورة النور: ٤٥.

(٧) سورة الرعد: ٤.

واحد ومع ذلك مختلفة في مذاقها وطعمها ولونها وشكلها وثمرها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾[1].

الماء والنسب:

من الماء جعل الله نسباً وصهراً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[2].

قال الزمخشري[3]: «فقَسم البشر قسمين: ذوي نسب، أي ذكوراً ينسب إليهم، فيقال: فلان ابن فلان، وفلانة بنت فلانة، وذوات صهر: أي إناثا يصاهر بهن، ونحوه، قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾[4] [5].

الماء والطهارة:

دعا الإسلام إلى الطهارةِ بشقيها، ظاهرة وباطنة. قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[7]. ولما كانت الطهارة أساساً في العبادة، فقد نزل فيها قرآن وحض عليها الرسول - عليه الصلاة والسلام - كقوله: **(الطُّهُور شَطْرُ الإيمانِ)**[8] وقبل أن يشرع

---

(١) سورة فاطر: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان: ٥٤ «وصهراً، أي وذوي قرابة، واشتقاق الصهر من صهرت الشيء إذا خلطته، وسميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها».
«حجازي: د. محمد محمود - التفسير الواضح - الجزء التاسع عشر - ص ٢٨ - الطبعة الرابعة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م -مطبعة الاستقلال الكبرى-القاهرة».

(٣) الزمخشري: «٤٦٧ - ٥٣٨هـ». - هو أبو القاسم محمود بن عمرو بن محمد الخوارزمي الزمخشري الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، من مصنفاته: (الكشاف في تفسير القرآن الكريم) و (المحاجاه بالمسائل النحوية) و (النصائح الكبار) و (النصائح الصغار)، وقد سافر إلى مكة وجاور بها زماناً طويلاً فصار يقال له: (جار الله) وكان هذا الإسم علماً عليه، وقد أصيبت إحدى رجليه فقطعت. انظر: ابن خلكان - وفيات الأعيان - الجزء الخامس - ص ١٦٨-١٧٠.

(٤) سورة القيامة: ٣٩.

(٥) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٢٧٩.

(٦) سورة التوبة: ١٠٨.

(٧) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٨) رواه مسلم (النووي: الامام محيي الدين - شرح صحيح مسلم المسمى المنهاج -كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء - حديث رقم: ٥٣٣ - ١/١ - الجزء الثالث - ص ٩٥-٩٦.

المسلم بالصلاة لا بد من طهارة أولاً، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾(١).

ولما أراد الله تعالى أن يعرج بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء، أرسل جبريل - عليه السلام- إليه ليغسل صدره بالماء؛ قال رسول الله ﷺ: (**فُرِجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا افْتَحْ قَالَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ...**)(٢).

ولما كانت الطهارة نظافة، فإن النظافة وقاية من أمراض شتى، وهناك من الأمراض «لا تهاجم جسم الإنسان إلا إذا أضعفت مقاومة الجلد؛ ولعل أهم الأسباب لضعف مقاومة جلد الإنسان هو إهمال النظافة؛ ولهذا حث الله عز وجل المؤمنين على نظافة وطهارة أوانيهم وجلودهم»(٣).

ماء السماء طهور:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا * لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾(٤). انه لا ينزل طاهراً فحسب، بل طهوراً. فبين الله تعالى «أن الماء المنزل من السماء طاهرٌ في نفسه مطهرٌ لغيره؛ فان الطهور بناء مبالغة في طاهر؛ وهذه المبالغة اقتضت أن يكون طاهراً مطهراً»(٥).

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) رواه البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري - كتاب الحج - باب ما جاء في زمزم - حديث رقم: ١٦٣٦ - ص ٣١٥) - اعتنى به أبو صهيب الكرمي - طبعة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض.
ورواه مسلم مطولاً (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى وفرض الصلوات - حديث رقم ٤١٣-٢٦٣/ ٥ - الجزء الثاني - ص ٣٩٠- ٣٩١).

(٣) الجزائري: محمد داوود -الإعجاز الطبي في القرآن والسنة - ص٧٢ -الطبعة الأولى ١٩٩٣ - منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت.

(٤) سورة الفرقان: ٤٨-٤٩.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص ٢٨.

«وتتضمن الآية الإشارة إلى أن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون في أعلى درجات النقاء. وعلى الرغم من حمله بعد ذلك ما في الجو من أجسام وذرات فإنه يكون في أعلى درجات الطهارة»[1].

إن المطر الذي ينزل من السماء ينقي الهواء أيضا ويطهره من الشوائب والأتربة وعادة بعد نزول المطر يصبح الجو صافيا[2].

يقول العلماء: «يحوي بخار الماء المتصاعد من الأرض، وكذلك الرياح التي تحمله إلى طبقات الجو العليا، كثيراً من الأحياء المجهرية الصغيرة، ولكن أشعة الشمس - وخاصة الأشعة ما فوق البنفسجية وما تحت الحمراء وغاز الأوزون[3] وهو غاز مطهّر قاتل للجراثيم عدا أنه يمتص بعض الأشعة ما فوَق البنفسجية المضرة بالأحياء الأرضية، والبرق ومركبات كيميائية أخرى موجودة في مختلف طبقات الغلاف الجويّ - هي التي تجعل الماء طهوراً بقتلها الجراثيم والأحياء المجهرية التي تحملها الغيوم والرياح»[4].

التداوي بالماء:

بالماء تعالج أيوب - عليه السلام- من مرضه المزمن الذي ألم به، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[5]. وهذا خير دليل على العلاج بالماء حيث أمر الله أيوب أن يغتسل بالماء ويشرب منه. «وقيل نبعت عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله»[6].

---

(١) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٥٣٧.

(٢) انظر: الفندي: د. محمد جمال الدين - الله والكون-ص ٢٢٧ - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦.

(٣) غاز الأوزون: هو أحد الصور الخاصة للأكسجين حيث يكون الجزء ثلاثي الذرة: ($O3$) ويتكون عندما يتعرض الهواء لفعل التفريغ الكهربائي، وللأوزون رائحة تشبه رائحة السمك وتبلغ كثافته مرة ونصف كثافة الأكسجين ويغلي عند ١١١,٥°م وهو أكثر ذوباناً في الماء من الأكسجين.
انظر: «طوبيا - الكيمياء العامة وغير العضوية - ص٣٨٦-٣٨٧».

(٤) الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ٩٣.

(٥) سورة ص: ٤١ - ٤٢.

(٦) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٩٤.

ورغم تقدم الطب إلا أن العلاج بالماء لا زال مستعملاً ويوصي به الأطباء والمختصون. فـ«ثمة وسائل لعلاج الأمراض لا تستعمل فيها الأدوية، والماء هو أهم هذه الوسائل، وكبرى مزاياه أنه وسيلة لاستغلال الحرارة والبرودة في العلاج»[١].

وقد حددت الآية الكريمة طبيعة الماء الذي اغتسل منه أيوب بأنه باردٌ؛ والعلم يثبت أهمية الماء البارد في العلاج، فـ«عندما يغسِل المرء وجهه بالماء البارد، أو يغطس فيه، فإن الصدمة الأولى للبرودة يعقبها إحساس ممتع بالنشاط وانتعاش في دورة الدم[٢] وشعور بالدفء،وفوق ذلك تزداد الطاقة البدنية والعقلية، وتنشط وظائف الجسم بوجه عام. وهذه التغيرات التي تعقب مس الماء البارد تسمى عادة بالانفعال؛ هذا الانفعال للماء البارد يكون عادة على أتمه في أصحاء الأجسام»[٣]. ونظراً لأهمية الماء البارد فإن الأطباء يوصون بالاغتسال به[٤]. ويقولون: «كلما انخفضت درجة حرارة ماء الحمام ازدادت الفائدة المرجوة منه»[٥]. وإذا علمنا أن المسلم يغسل أعضاء جسده باليوم والليلة عدة مرات، ويغتسل للطهارة من الأحداث تأكد لنا أن ديننا الحنيف كما عالج الأرواح عالج الأبدان. فقد روي أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- كَانَتْ تَقُولُ: **(إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ[٦] فِيهَا مَاءٌ يَشُكُّ عُمَرُ فَجَعَلَ يُدْخِلُ**

---

(١) جماعة من الأطباء - المرشد الطبي الحديث - دليل علمي صحي يعالج جميع الأمراض - ص٥٣ - أشرف على إعداد الكتاب: د. ماهر بشاي - المكتبة الحديثة - بيروت - مكتبة النهضة - بغداد.

(٢) يطلق لفظ الدورة الدموية على دورة الدم في القلب والأوعية الدموية المختلفة إلى جميع أنحاء الجسم، وعودته إلى القلب عن طريق الأوردة.
انظر: السبكي: د. زينب و د. يسرى جبر - الدم ومشتقاته - ص - ١٦ مكتبة نهضة مصر - مصر.

(٣) جماعة من الأطباء - المرشد الطبي الحديث - ص ٥٣.

(٤) يقول الأطباء: «والحمام المقعدي البارد يقوي الأمعاء ويزيل القبض (الإمساك) كما يقوي أعضاء الحوض الصغير (الرحم والمبايض) ويكافح السيلانات المهبلية عند النساء، ويخفف آلام البواسير. ويوصى بعمله يومياً لهذا الغرض».
«رويحه: د. أمين - الروماتزم - شقاؤه وشفاؤه - ص ١١٥ - دار القلم - بيروت - لبنان.

(٥) رويحه: الروماتزم - شقاؤه وشفاؤه - ص ١١٣.

(٦) العلبة من الخشب والركوة من الأدم. «البخاري - ص ١٢٤٨».

يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ)[١].

وقد حض رسول الله - عليه الصلاة والسلام- على استعمال الماء البارد في العلاج بقوله: **(الحمى من فيح جهنم فابْرُدوها بالماء)**[٢]. وهذا الذي أوصى به الرسول - عليه الصلاة والسلام - أوصى به العلم؛ يقول الأطباء: «ويمكن استعمال الكمادات الباردة للرأس والعنق وفوق القلب والرئتين والبطن والنخاع الشوكي وغيرها. وإذا استعملت للرأس فيجب ضغطها بإحكام على الجزء المراد تبريده»[٣]. وهذا الذي اكتشفه العلم الحديث ودعا إليه صرح به القرآن قبل ألف وأربعمائة عام من الزمان، بقوله تعالى لنبيه أيوب -عليه السلام- عندما طلب من الله تعالى الشفاء ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[٤]. وقد أشارت الآية الكريمة أن العلاج بالماء كان قسمين داخلي وخارجي يغتسل ويشرب، وهذه حقيقة علمية سبق القرآن الكريم ركب العلم في إثباتها، فقد يصاب الإنسان بمرض خارجي، ولكن يستدعى له علاجاً داخلياً وخارجياً؛ فـ«معظم الأمراض الجلدية تكون انعكاسات خارجية لمدلولات داخلية غير ظاهرة؛ ولكنها تتبين لنا عند الفحص ومعرفة ما يجري بالداخل من اضطراب، فمثلاً الارتكاريا[٥] والحكة الجلدية لهما أسباب متعددة داخلية، وهما عرض لمرض ما قد يختبئ بجسم الإنسان ويظهر عند الفحص؛ ولذلك لا تكفي عند العلاج العقاقير الموضعية؛ بل وأيضاً الأدوية الداخلية التي تعالج السبب وتستأصل رأس المرض.

---

(١) رواه البخاري - (صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب سكرات الموت - حديث رقم: ٦٥١٠ - ص ١٢٤٨).

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري -كتاب الطب - باب الحمى من فيح جهنم - حديث رقم ٥٧٢٥ - ص ١١٢٢).

ورواه مسلم (النووي شرح صحيح مسلم- كتاب الطب - باب لكل داء دواء - حديث رقم ٥٧١٥-٧٨ / ١١ - الجزء الرابع عشر - ص ٤١٦).

(٣) جماعة من الأطباء - المرشد الطبي الحديث - ص٥٦.

(٤) سورة ص: ٤٢.

(٥) الارتكاريا: مرض من الأمراض الجلدية التي تصيب الإنسان وهذا المرض عبارة عن رد فعل جلدي ناتج عن الحساسية.

انظر: «العيسوي: د. عبد الرحمن - أمراض العصر - ص ٢٩٦ -٢٩٧ - دار المعرفة الجامعية».

وكذلك الأكزيما[1]، وزيادة الحساسية، وتلون الجلد وتبقعه، وما يظهر من تغيرات والتهابات وأورام وغيرها. هذه كلها في غالبية الحالات يكون السبب الداخلي هو الذي أوجدها ويستلزم له أيضاً علاجاً داخلياً»[2].

عيون وآبار فيها العلاج:

ثبت أن هناك الكثير من العيون والآبار التي فيها العلاج والدواء لكثير من الأمراض؛ ومن هذه العيون والآبار:

ماء زمزم: يقول ابن القيم[3]: «وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله»[4] والذي يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: **(مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ)**[5].

---

(١) الأكزيما: هي من أمراض زيادة الحساسية، وتصيب الصغار والكبار وتظهر في أي مكان في الجسم؛ وقد تكون الأكزيما موسمية ولا ضمان لبرئها.
انظر: «نخبة من أساتذة كليات الطب بجمهورية مصر - الأمراض الجلدية والحساسية - ص١١٩-١٢٢ - إعداد محمد رفعت - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان».

(٢) الجزائري - محمد داوود - الإعجاز الطبي في القرآن والسنة - ص ٩.

(٣) ابن القيم: (٦٩١- ٧٥١هـ = ١٢٩٢-١٣٥٠م).
هو: محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق تتلمذ على يد الشيخ ابن تيميه حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه وسجن معه في قلعة دمشق، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، ألف كتباً كثيرة منها (أحكام أهل الذمة) و (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) و (الوابل والصيب من الكلم الطيب) و (مدارج السالكين).
انظر الزركلي: خير الدين - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين - الجزء السادس - ص ٥٦ - الطبعة السادسة ١٩٨٤ - دار العلم للملايين.

(٤) ابن القيم- محمد بن أبي بكر - الطب النبوي - ص ٣٢٧- الطبعة الثانية ١٩٨٩ - دار الدعوة - الإسكندرية.

(٥) رواه ابن ماجه (الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني - كتاب المناسك - باب الشرب من ماء زمزم تأليف: محمد ناصر الدين الألباني - الجزء الثاني - ص ١٨٣-الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م - توزيع المكتب الإسلامي بيروت).
ورواه احمد (مسند الإمام أحمد بن حنبل - باقي مسند المكثرين - حديث رقم: ١٤٣٢٠- الناشر: دار المعارف - مصر ١٩٨٠م).

مياه كارلسباد بالنمسا: وهي مياه حارة بها سلفات الصودا وتفيد مرض الكبد والسكر والنقرس[١] والروماتزم[٢] [٣].

حمامات بوربون بفرنسا: بها كلوريد الصوديوم[٤] وسلفات الجير[٥] وكلورور الماغنسيوم[٦] وحديد ويود[٧] وزرنيخ[٨] وتفيد متصلبي الشرايين... والشلل

---

(١) يظهر النقرس كنوبات متتالية من الألم الشديد في أحد المفاصل، وهو غالباً ما يكون مفصل إبهام أحد القدمين أو عدة مفاصل في القدم. وتزداد شدة الألم أثناء الليل، وتخف شدته عند الصباح. ويظهر على المفصل المصاب انتفاخ (ورم واحمرار) وكل حركة فيه أو مجرد لمسه تؤدي إلى الشعور بالألم الشديد».

«رويحه - الروماتزم شقاؤه وشفاؤه - ص ٩-١٠».

(٢) الروماتزم: التسمية مأخوذه من اليونانية ومعناها (الآلام السائلة أو المتنقلة) والروماتزم مرض قديم، وهذا المرض يزحف إلى الجسم في مدة (٩-١٠) سنوات ليفاجئ المصاب بعد ذلك بعوارضه الحادة.

انظر: «رويحه - الروماتزم شقاؤه وشفاؤه - ص ١٣».

(٣) الجميلي: د. السيد - الإعجاز الطبي في القرآن - ص ٤١ - الطبعة الأولى - دار مكتبة الهلال.

(٤) كلوريد الصوديوم: C. desodium ملح الطعام.

«خباط - معجم المصطلحات العلمية والفنية - ص٥٩١».

(٥) جير: أكسيد الكالسيوم - هو مادة بيضاء تحضر بتسخين الحجر الجيري. وإذا أضيفت إلى الماء تحول إلى أيدروكسيد الكالسيوم.

انظر: «خباط - معجم المصطلحات العلمية والفنية - ص ١٤٠».

(٦) كلورور الماغنسيوم: المغناسيوم: Magnesium عنصر فلز أبيض فضي كثافته ١,٧٤، وينصهر في ٦٥١م ووزنه الذري ٢٤,٣٢، وعدده الذري ١٢ ويشتعل بوهج شديد.

«خباط - معجم المصطلحات العلمية والفنية - ص٦٤٠».

(٧) اليود: يعتبر اليود عنصراً غذائياً ضرورياً للإنسان؛ لأنه يدخل في تركيب هرمونات الغدة الدرقية، وفي حالة نقص اليود فإن الغدة الدرقية تحاول التعويض بزيادة فعاليتها الإفرازية وهذا ما يؤدي إلى تضخمها.

انظر: «الخطيب: د. عماد إبراهيم و د. هشام إبراهيم - ص٣١١ - مكتبة دار الثقافة للنشر - عمان - الأردن».

(٨) يوجد الزرنيخ بعدة أشكال في الطبيعة على شكل مركبات مع المعادن؛ والزرنيخ النقي مادة بلوريه شديدة السمرة ذات بريق معدني. وتتميز جميع أشكاله بتصعدها عند التسخين دون أن تنصهر. أما في الهواء فإنه يتأكسد ببطء في درجات الحرارة العادية.

انظر: «غلينكا - ن - الكيمياء العادية - الجزء الثاني - ص٥٨ - ترجمة ومراجعة: د. عبد الحليم منصور وأحمد الحاج سعيد. مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٦٨».

والروماتزم والزهري»[1] [2].

أثر الماء في جسم الكائن الحي:

قد يتحمل الإنسان الجوع أياماً طوالاً؛ ولكن تحمله للعطش قد لا يطول ويؤدي إلى الهلاك، لذلك كان الماء أهم عنصر في حياة الكائنات الحية.

ويحتاج الإنسان العادي يومياً في المتوسط إلى حوالي لترين ونصف من الماء ويخرج نسبة عالية من هذا الماء على هيئة بول، ولهذا فائدة بالغة الأهمية؛ لأن البول يحمل معه الأملاح الزائدة؛ إذ لو تجمعت هذه النفايات وتوقفت الكلى عن أداء وظيفتها لحل الإغماء والهلاك بالكائن الحي[3].

ولما كان الماء أهم الأشياء وأنفعها لصحة الأجسام وسلامة الأبدان فإن نقصانه عن الحد الطبيعي اللازم يعني اختلالًا في حياة الكائن الحي.

فعندما يفقد جسم الإنسان واحداً بالمائة فقط من وزنه من الماء يأتيه الإحساس بالعطش، فإذا زاد فقده للماء إلى حوالي ٣٪ جف الحلق والفم واللسان، وإذا وصلت النسبة ما بين ٥-٨٪ من وزن الجسم، أصابه التدهور الصحي والذهني، وربما يؤدي في النهاية إلى الموت[4].

الماء في الطبيعة بقدر:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[5].

ولما كان أهم الأشياء وأنفعها لحياة الكائنات كان نزوله من السماء ووجوده على الأرض بقدر معلوم، لا يزيد فيغرق ويهلك، ولا ينقص فلا يفي بالحاجة.

ونظراً لأهمية الماء جاء السياق القرآني بعد هذه الآية مباشرة يتحدث عن نزول

---

(١) الزهري: مرض ينتقل غالبا عن طريق الاتصال الجنسي، وقد ينتقل عن طريق المشيمة من الأم إلى جنينها أو بواسطة نقل الدم.
انظر: «البار: د. محمد علي - الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها - ص٣١٤ - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م- دار المنار للنشر والتوزيع - جده - السعودية».

(٢) الجميلي - الإعجاز الطبي في القرآن - ص ٤١.

(٣) انظر: صالح - من كل شيء موزون - ص ١٢٢.

(٤) انظر: المرجع السابق - ص ١٢٣.

(٥) سورة الحجر: ٢١.

الماء، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾(١)

فإرسال الرياح التي تلقح السحاب وإنزال الماء من السماء إنما هو بيد الله جل في علاه. والناس عاجزون حتى أن يخزنوا هذا الماء، والله تعالى يفعل كل هذا بقدرته وحكمته وعنايته.

فالأرض التي تحتاج ماءً كثيراً لزرعها ولا تحتمل طبيعتها إنزال المطر عليها يسوق الله إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر فيأتي إليها النيل حاملًا طيناً من بلاد الحبشة، فتسقى الأرض، ويبقى الطين على أرضهم ليزرعوها؛ فأرضهم سباخ(٢) يغلب عليها الرمال بحاجة إلى هذا الطين وهذا القدر من الماء(٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾(٤).

إن الأمور تجري بشكل موزون ولا يوجد في الوجود شيء إلا بقدر معلوم، ولو راح الإنسان يدقق النظر في المخلوقات لاهتدى بفطرته إلى ربه، ولعرف قدره وقدرته على كل مقدور.

فلو كانت الأرض مستوية لا تفاوت في سطحها لغطاها ماء البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات بغلاف سمكه ميلان، فشاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه الأرض بين مرتفع ومنخفض مكونةً البحار والمحيطات والأنهار، ثم إن تغطية سطح الأرض بثلاث أرباعها بحاراً ومحيطات لم يكن إلا أمراً مقدوراً في غاية الدقة والحكمة؛ فالمحيطات والبحار هي منظمة لدرجات الحرارة وهي الوسط الرئيس لتوزيع الحرارة التي يكتسبها سطح الأرض من الإشعاع الشمسي فتوزعها توزيعاً عادلاً على شتى بقاع الأرض. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾(٥).

---

(١) سورة الحجر: ٢٢.

(٢) السباخ: هي الأرض السبخة التي يغلب عليها الملح.
انظر: «الفراهيدي - العين - الجزء الرابع - ص ٢٠٤».

(٣) انظر: ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث ص ٢٤٢ - مكتبة التراث - القاهرة.

(٤) سورة المؤمنون: ١٨.

(٥) سورة الفرقان: ٢.

المبحث الثاني
دور الماء في التاريخ والحضارة

تمهيد

لعبت المياه بشتى أنواعها وأشكالها دوراً بارزاً في تاريخ الحضارة الإنسانية. وكان لها الأثر الكبير والفعال في تطوير حياة الإنسان وازدهارها على مر العصور.

فقبل أن يتفجر بئر زمزم في قلب الجزيرة العربية كان وادي مكة قاحلاً، خالياً من كل ألوان الحياة حتى من النبات. قال تعالى - على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[1]. وما إن نبعت مياه زمزم حتى نبعت معها الحياة في هذا الوادي وما زالت تنبض بالحياة حتى الآن.

أما العرب في الجزيرة العربية فقد عاشوا حضارتهم فيها قديماً يوم كانت صحاريها وأوديتها الجافة الآن أنهاراً ومياهاً، فعاشت الجزيره العربية أكثر من مائة ألف سنة على هذا الحال حتى العصر الجليدي الرابع حين حل دور الجفاف قبل حوالي خمس عشرة ألف سنة، عندها هاجر سكانها يبحثون ويتحرون عن بلدٍ ذي نهر يأوون إليه فلجأوا إلى نهر الفرات تصحبهم خبرة مائة ألف سنة في الزراعة والفلاحة فهم أول من اخترع الزراعة الغنية التي تعتمد على الري[2].

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧. ولو قال الله تعالى: بِوَادٍ غَيْرِ مزروع لما دل على هذا المعنى؛ لأن كلمة (غير مزروع) تفيد نفي الحال لا دلالة المحال. أما (ذي) فتفيد التصاق الصفة بالموصوف فكأنها من الصفات اللازمة له والثابتة فيه. إن التكنولوجيا المعاصرة والعلم المتقدم قد حفر جبال مكة وجعل فيها الأنفاق وبنى فيها العمارات والقصور الشامخة لكنه لم يستطع أن يزرع الجبال السوداء الصوانية الصماء.

انظر: «أبو عوده: د. عوده - شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية - ص ٢٩٨ - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م - دار آفاق للنشر والتوزيع - عمان - الأردن».

(٢) انظر: سوسه: أحمد - حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين - ص١٠ - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - دار الرشيد ١٩٨٠.

وكان للموقع الجغرافي والطرق البرية والبحرية الأثر الكبير في ظهور أقدم الحضارات.

فالمنطقة العربية عرفت الحضارة الأولى للبشرية كالحضارة الفنيقية[١] والمصرية والكنعانية[٢] والآشورية والبابلية[٣] والسومرية[٤]، ويرجع هذا إلى موقعها الجغرافي وطرق المواصلات البرية والبحرية[٥]. ويعد الكثير من البحار والأنهار حداً فاصلاً ليس بين الدول فحسب بل بين القارات[٦].

لقد وصلت الحضارة والتقدم إلى سكان النهر قبل سكان الجبل؛ فأغلب المدن العظيمة تقع على الأنهار كالقاهرة وبغداد ونيويورك وباريس[٧].

---

(١) الفينيقيون: هم من أقدم سكان ساميين معروفين سكنوا سوريا.
انظر: «محمد: د. محمد عبد القادر محمد - الساميون في العصور القديمة ص١٩١ - دار النهضة العربية - القاهرة -١٩٦٨».

(٢) لعب الكنعانيون دوراً بارزاً في التاريخ، ومركزهم الأصلي في شمال سوريا، ولذلك تعرضوا لتأثيرات سومرية بابلية. أما مركزهم الجغرافي فكان على الساحل؛ ولذلك كانت علاقتهم أوثق مع مصر، واسم كنعان الذي يعتبر سامياً بمعنى الأرض المنخفضة.
انظر: «محمد: د. عبد القادر محمد - الساميون في العصور القديمة - ص ١٩١ - دار النهضة العربية ١٩٦٨».

(٣) حمورابي: هو أساس ملوك أسرة بابل الأولى التي وصل أول ملوكها إلى السلطان. وفي هذا العصر لم يكن ثمة سلطان قوي قادر على توحيد جميع مدن بلاد الرافدين، وكانت أهم هذه المدن (بابل) التي كانت تفتخر بأن لها عصراً قديماً موغلاً في القدم.
انظر: «محمد: د. عبد القادر محمد - الساميون في العصور القديمة - ص ٩٥».

(٤) سكن السومريون الإقليم الذي يمتد بين الفرات ودجلة من بغداد الحديثة حتى الخليج العربي، وكان يطلق على بلدهم (شومر)، ويقال بأن تأثير حضارتهم قد امتد أكثر كثيراً من سلطانهم السياسي، وقد استطاع السومريون أن يسيطروا على العالم المحيط بهم وقتذاك.
انظر: «محمد - السومريون في العصور القديمة - ص٤٥».

(٥) انظر: «حلاق: د. حسان - دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية - ص ٧-٨ - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت».

(٦) القارة: جمعها قارات، وهي كتل اليابسة الكبرى التي تتكون منها الكرة الأرضية، ويدخل في القارة الجزر المجاورة لها والمسطحات المائية الداخلة فيها.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٣٨٣».

(٧) انظر هوايت: آن تيري - كل شيء عن الأنهار العظيمة في العالم - ص ١٤- ترجمة وتقديم: العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم - إشراف ومراجعة: د. محمد صابر سليم - دار المعارف - مصر - عام ١٩٦٤.

فحول البحار والأنهار والسدود تجمع الناس وظهرت الحضارات؛ فالأندلس التي كانت إشعاع للحضارة الإسلامية في قلب أوروبا هي من مدن البحر، قال عنها ابن حوقل[1]: «فأما الأندلس فهي من نفائس جزائر البحر... ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة»[2].

حضارة وادي النيل:

لولا وجود نهر النيل العظيم لما قامت في مصر تلك الحضارات المتعاقبة؛ لأنها بدونه صحراء قاحلة.

فالنيل هو الذي أعان المصريين على إقامة حضارتهم وإنشاء العمران فانتشرت الزراعة وأقام المصريون الجسور وشيدوا الخزانات وعمدوا إلى شق الترع[3] والقنوات[4] [5].

وعلى جانبي نهر النيل أرض منبسطة، عندما يفيض النيل يترك طبقة من الطين غنية بالخصب، يبذر فيها الفلاح المصري بذوره، فمنذ ست آلاف سنة، وعندما كانت أوروبا أرضاً موحشة كانت حقول القمح تغطي أرض وادي النيل[6].

وقد أشارت بعض الآيات الكريمة إلى أن أهل مصر كانوا ينعمون بالمياه

---

(١) ابن حوقل: (ت: ٣٥٠ هـ).
هو محمد بن علي بن حوقل البغدادي ثم الموصلي أبو القاسم المؤرخ المعروف بابن حوقل، سافر إلى الأندلس وتوفي بها، من تصانيفه: (المسالك والممالك في التاريخ والجغرافيا) وكتاب (صورة الأرض)
انظر البغدادي: إسماعيل باشا - هديه العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون - الجزء السادس - ص ٤٣ - ١٤١٣هـ ١٩٩٢م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٢) ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي- صورة الأرض - الجزء الأول - ص١٠٨ - الطبعة الثالثة - دار صادر - بيروت.

(٣) ترعة: «مجرى ينقل المياه اللازمة لري الأراضي الزراعية. وقد يكون طبيعيا أو اصطناعيا. كما قد يتسع أحيانا للأغراض الملاحية وقد لا يتسع».
«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص١١٣».

(٤) القناة: «مجرى مائي اصطناعي يشق عاده لتسهيل عمليات النقل أو توزيع مياه الري أو لأي أغراض أخرى».
«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص٣٩٧».

(٥) انظر عبده: د. علي إبراهيم - النهر الخالد - ص١٤.

(٦) هوايت - كل شيء عن الأنهار العظيمة في العالم - ص٢٥.

والزراعة، قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾[1] وكذلك أشارت سورة يوسف إلى زراعة القمح عند المصريين ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[2]، وطلب سيدنا يوسف من الملك قائلاً: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3].

سد مأرب:

اشتهرت الدولة السبئية[4] بسدها الذي جاء القرآن الكريم يحكي قصته. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[5].

فبإعراضهم عن طاعة ربهم، فقدوا مياههم وجناتهم، ففقدوا عندها حضارتهم وحل القحط والهلاك محل الجنات، «وتفرقوا أيدي سبأ في شتى أنحاء الجزيرة العربية»[6]. قال تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[7]،

---

(١) سورة الدخان: ٢٥ - ٢٨.

(٢) سورة يوسف: ٤٧.

(٣) سورة يوسف: ٥٥.

(٤) كانت مملكة سبأ بين معين وقتبان، وامتد نفوذها من ساحل الخليج الفارسي شرقا إلى البحر الأحمر غربا، وقد انتقل سلطان معين إلى سبأ التي بدأت قوتها تظهر في أواخر أيام معين، وامتد نفوذها حوالي سنة ٩٥٠ إلى سنة ١١٥ ق. م. وورثت سبأ ملك معين سنة ٦٥٠ ق. م، وكان الحكام يحملون لقب (ملك سبأ). وكانت حاضرة سبأ في ذلك العصر مدينة مأرب، ويقال أن سبأ هي مأرب.
انظر: «حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - الجزء الأول - ص ٢٤ - ٢٥ - الطبعة السابعة ١٩٦٤ - دار الأندلس - بيروت».

(٥) سورة سبأ: ١٥-١٧. والأثل: «شجر، وهو نوع من الطرفاء».
«الجوهري - العين - الجزء الرابع - ص - ١٦٢٠».
السدر: «شجر حمله النبق».
«الفراهيدي - العين - الجزء السابع - ص١٦٦».

(٦) حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - الجزء الأول - ص٩.

(٧) سورة سبأ: ١٩.

وغدوا بعد ذلك مثلا؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا، «تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ وتفرقوا شذر مذر»[1].

استخدام الإنسان للمياه:

لمياه البحار دور فعال في الحروب والنزاعات والصناعات؛ لذلك تهتم الدول التي تعيش على شواطئ البحار ببناء وشراء السفن والغواصات[2]، والبحار هي المستودع الهائل لطعام الإنسان الذي أحله الله لعباده في الحل والحرم. قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[3].

وبالإضافة إلى ذلك فقد استطاع الإنسان أن يستخدم أمواج المد والجزر[4] في توليد الطاقة الكهربائية؛ وخير مثال على ذلك المحطة التي أقيمت على نهر رانس

---

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص ٥٣٤.

(٢) فقد انهال وانهار بالماء المندفع خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس في حرب ١٩٧٣، وقديما عرف المصريون خاصية ربو وزيادة الأوتاد الخشبية حال بللها بالماء، فكانوا يقطعون الأحجار بدق الأوتاد بالصخور ثم يروونها بالماء فتنفلق الصخور إلى كتل، وحديثا أنتج العلماء ماكينات حديثة لقطع المعادن بالماء المندفع تحت ضغوط عالية Watergate Cutting: وتزداد فعالية الطريقة الأخيرة حال خلط الماء المندفع المضغوط برمال دقيقه.
انظر: «ناصر: د. عبد الهادي - نظرات في الكون والقرآن: (مدارسة عقليه وايمانيه). ص ١٩٣ - الطبعة الأولى ١٩٩٥ - المكتبة الأكاديمية».

(٣) سورة المائدة: ٩٦. و«تحوي الأرض ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب من المياه تتوزع كالآتي: ٩٧,٢٪ في البحار والمحيطات و٢٪ بشكل كتل جليدية و ٠،٦٪ بشكل مياه جوفيه و٠،٠١٧٪ تتوزع في الأنهار والبحيرات. وتقدّم الأنهار والبحيرات لمئات الملايين من الناس المتعة والماء والغذاء والطاقة وتسهل التجارة، كما تخلص الإنسان من نفاياته. ويكفي التذكير بأن حياة مصر والسودان وأوغندا متعلقة بنهر النيل، وأن السدود المقامة على الأنهار تعطي تقريباً ربع الطاقة الكهربائية التي تستهلكها البشرية. وأن في الولايات المتحدة طاقه كهرمائية كامنة في مساقط المياه تكفي لإعطاء ٣٠٠ مليون حصان بخاري، أي أكثر مما تتطلبه حاجة الولايات المتحدة من الكهرباء. كما أن السد القائم على نهر (بارانا) PARANA بين البرازيل والباراغواي والذي بدأ بناؤه في سنة ١٩٧٥ وانتهى في سنة ١٩٨٩ يعطي ٧٥ مليار كيلو وات ساعة في السنة وهو أكبر سد في العالم، علما أن الطاقة المتأتية من الأنهار هي طاقه نظيفة لا تلوث البيئة. وفي الأنهار والبحيرات يعيش ألفا نوع من الأسماك منها ١٣٠٠ نوع في نهر الأمازون فقط.
«الشريف: د. عدنان - من علوم الأرض القرآنية (الثوابت العلمية في القرآن الكريم) - ص١١٦ - الطبعة الأولى ١٩٩٣ - دار العلم - بيروت».

(٤) المد والجزر: هو عبارة عن «تناوب ارتفاع وانخفاض سطح البحر على التوالي. ويحدث هذا عاده مرتين في اليوم الواحد... وتعزى هذه الظاهرة إلى أثر جاذبيه القمر. وإن كان للشمس =

في فرنسا إذ تنتج هذه المحطة ما مقداره (٢٤٠ ميغاواط)، كما (River Rance) استطاع الإنسان أن يستغل الفرق في درجات الحرارة في البحار والمحيطات بين السطح وأعماق معينه في توليد الطاقة[١].

=أيضا بعض الأثر».

«توني معجم المصطلحات الجغرافية ص ٤٥٠».

(١) M.M.EI - Wakil - Powerplant Technology - McGraw- HILL.

المبحث الثالث
دورة الماء في الطبيعة

الهواء والماء:

يلاحظ أحدنا وهو يجلس في يوم حار ويشرب ماءً مثلجاً أن الجوانب الخارجية للقدح المستعمل أصبحت مبللة، إن القدح لا ينضح ماءً؛ ولكن السبب هو أن قطرات الماء على جدرانه الخارجية لا بد أن تكون أتت من الهواء، وبخار الماء هذا بوضعه الغازي الممتزج بالهواء من الصعب رؤيته، ولكن حساسية جلد الإنسان ربما تشعر بكميات من بخار الماء الذي في الهواء فيقال عندها اليوم حار رطب(١).

إن هذا الهواء كما حمل الحياة حمل ماء الحياة؛ وبين الماء والهواء تشابه في أن كلاً منهما إذا كان نقياً فإنه لا لون له ولا طعم ولا رائحة، ولما كان بخار الماء أخف من الهواء فإنه يعلق به ويرتفع معه. وهذا تقدير من الله وتدبير؛ فلو كان بخار الماء أثقل من الهواء لانعدمت الحياة على الأرض. ولكن كيف وصل الماء إلى الهواء ؟! إنها الشمس(٢) التي أقسم الله بها، فرغم بعدها الهائل عن سطح الأرض إلا أنها

---

(١) انظر ليوبلر: لوناب - الماء هو الأساس - ترجمة: د. رياض حامد الدباغ ومحمد شامل - ص ٢٣ - ٢٤ - الناشر جيمس كيليلي.

(٢) وجدير بالذكر أن بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن نزول الماء من السماء سبقها ذكر الشمس. كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ... سورة الأنعام: ٩٦ - ٩٩.

وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾. سورة الفرقان: ٤٥-٤٨.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا =

«تبخر سنويًا ٣٢٠ ألف كيلومتر مكعب من مياه المحيطات؛ فما من نقطة ماء إلا وترجع إلى البحر ولو بعد ملايين السنين بفعل الغلاف الجوي الأرضي الذي يعيدها إلى الأرض بشكل أمطار وثلوج لتبدأ دورة جديدة بين البحار والجو والأرض التي تتصرف كأنها آلة هائلة الحجم، متقنة الصنع؛ حيث تلعب الشمس دور المرجل[١] والبحار دور الخزان الكبير، والغلاف الجوي والرياح والجبال والأرض وطبقاتها والبحيرات والأنهار دور أوعية التجميع والتبريد والتصريف، وبذلك تبقى البحار مملوءة بالماء»[٢].

إنها دورة كاملة متكاملة تقوم بها الجمادات وكأنها أحياء قد عقلت وأدركت دورها في الحياة، وهذا تدبير من الله العزيز الحكيم. والله تعالى هو: ﴿ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[٣] وهو تعالى الذي ﴿يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَـٰلِهِۦ﴾[٤]. وهكذا يعود الماء مرة أخرى إلى الأرض والبحار والمحيطات لتعود الكرة من جديد دون فتور أو انقطاع ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾[٥] حتى النباتات تقوم بدورها خير قيام، فعن طريق النتح الذي هو عبارة عن تبخر الماء من النباتات عن طريق المسامات الموجودة في الأوراق يتبخر الماء أيضا ليشارك البحار والمحيطات في عملية التبخر، وعلى سبيل المثال فإن شجرة بلوط كبيره يتبخر منها (٤٠٠٠٠) غالون[٦] من الماء في السنة تقريباً وهذا الماء تمتصه الجذور من التربة ثم يتحرك إلى الأعلى من خلال الجذوع ليصل إلى آلاف الفتحات الصغيرة التي على

= بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾. سورة العنكبوت ٦١-٦٣.

(١) المِرْجَل: بالكسر: الإناء الذي يغلي فيه الماء سواء كان من حديد أو حجارة أو خزف، يقال في المثل: ولصدره أزيزٌ كأزير المِرْجَل.
انظر: «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الحادي عشر - ص٦٢٢ - ٦٢٣».

(٢) الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ١١٢.

(٣) سورة الروم: ٤٨.

(٤) سورة النور: ٤٣.

(٥) سورة النمل: ٨٨.

(٦) غالون: Gallon مكيال سوائل يعادل ٥٤٦، ٤ ليتر في إنكلترا.
«خباط - معجم المصطلحات العلمية والفنية - ص٤٧٥».

الجهة الخلفية لكل ورقة[1]، فإذا زادت كمية النتح عن طريق ارتفاع درجة الحرارة وشدة الرياح ساعدت الأشجار والنباتات عندها على تلطيف درجة الحرارة[2] وهذا ما يلاحظ في الأيام الحارة.

وهكذا تخرج الشمس الماء من البحار عذباً وتحمله الرياح وتجري به سحاباً، ثم ينزل على الأرض أمطاراً، ثم يجري في سهولها أنهاراً، ثم يعود إلى مقره وهو البحر. وقد وصف القرآن هذه الدورة بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[3] [4].

أشكال الماء الذي ينزل من السماء:

والسحب مختلفة في أشكالها وألوانها وارتفاعها وانخفاضها ولكنها جميعا تحمل قطرات من الماء تنزل بأشكال وأحوال مختلفة؛ فمنها ما ينزل وابلاً أو طلاً، ومنها ما ينزل برداً أو ثلجاً.

الوابل: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾[5]. والوابل هو: «المطر الشديد الضخم القطر»[6].

تسقط الأمطار نتيجة لانخفاض درجة حرارة الهواء المحمل ببخار الماء في طبقات الجو العليا؛ فهذا الانخفاض في درجة الحرارة يؤدي إلى تكثيف[7] البخار على شكل ذرات مائية صغيرة تتكون منها السحب التي تبقى سابحة في الجو فإذا وصلت إلى مناطق أو مستويات أشد برودة من المناطق والمستويات التي أتت منها،

---

(١) انظر: ليبولر - الماء هو الأساس - ص ٢٥.

(٢) النصيرات - ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم - ص٢٨٩ - ٢٩١.

(٣) سورة الطارق: ١١-١٢. وهذا قسم من الله تعالى بالسماء ذات المطر الذي يعود ويتكرر وبالأرض ذات الانشقاق عن النبات الذي يخرج منها.
انظر: «الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٨٩٩».

(٤) انظر: نعمت صدقي- معجزة القرآن -ص ٤٦.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٥. الربوة: وهو ما ارتفع من الأرض. وفيها أربع لغات رُبْوَةٌ ورَبْوَةٌ ورِبْوَةٌ ورَبَاوَةٌ.
انظر: «الجوهري - الصحاح - الجزء السادس - ص٢٣٥٠».

(٦) انظر ص (١٥) من هذا البحث.

(٧) التكثيف هو: عملية تحويل المادة من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص١٢٦».

بدأت هذه الذرات تجتمع مع بعضها مكونة نقطاً كبيرة فتبدأ بالسقوط على شكل مطر[١]. فلولا وجود المناطق الباردة جداً في طبقات الجو لاختلت الحياة على سطح هذا الكوكب؛ لأن الماء المتبخر «يتكثف في هذا الغلاف البارد فتتألف منه الغيوم التي تنزل مطراً. ولولا هذا الغلاف الذي يُرجِع الماء إلى الأرض لتبخر ماء الأرض وجفت وماتت عليها الحياة»[٢].

البَرَدْ: هو عبارة عن «كريات ثقيلة من الجليد الشفاف، تسقط من سحب الركام[٣] المزني وغالبا ما تصاحبهما عواصف راعدة... ويعزى حدوثها إلى صعود الهواء الرطب بسرعة فتتجمد قطرات الماء، ويزداد حجم الكريات بازدياد تجمد بخار الماء على سطوحها. وعندها تصبح الكريات ثقيلة بحيث تقاوم التيارات الهوائية الصاعدة فإنها تسقط، وفي أثناء سقوطها قد تزداد حجماً بأن تستوعب طبقات أخرى من الجليد من قطرات الماء شديدة البرودة العالقة بالهواء الرطب. وقد تسبب عواصف البرد خسائر فادحة في المحاصيل...»[٤].

الثلج: هو «نوع من التساقط يأخذ شكلاً ريشياً بلورياً. ويتكون من بخار الماء عندما تهبط درجة حرارة الجو إلى أقل من نقطه التجمد...»[٥].

الندى: قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[٦].

وهو عبارة عن قطرات مائية تظهر عادة في الصباح الباكر على أوراق الأشجار وزجاج النوافذ وغيرهما؛ وذلك لأن مثل هذه الأجسام تفقد حرارتها بسرعة أثناء الليل. فإذا ما هبطت حرارتها إلى ما دون نقطة الندى الخاصة بالهواء الملاحق لها؛

---

(١) انظر: شرف: د. عبد العزيز طريح - الجغرافية المناخية والنباتية-ص٢١٤. الطبعة الثامنة.

(٢) أبو عوده: شواهد في الإعجاز القرآني (دراسة لغوية ودلالية) - ص٣٩٧.

(٣) الركام المزني: نوع من السحب سميك جداً، قاتم اللون ينتهي إلى أعلى بكتل هائلة يبلغ سمكها نحو ٤٥٠٠ متر، وهذا النوع من السحب غالباً ما يسبب العواصف الراعدة وسقوط زخات من المطر أو البرد أو الثلج.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص٢٤٥».

(٤) توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٧٦ - ٧٧.

(٥) المرجع السابق - ص ١٤٠.

(٦) سورة البقرة: ٢٦٤.

فإن جزءاً من بخار الماء العالق بهذا الهواء يتكثف فوق سطحها على شكل نقط صغيرة من الماء[1].

بعد هذا العرض يتبين أن ما يتخلل سطح الأرض من ينابيع وأنهار وجداول إنما يأتي من السماء وهذا ما دل عليه القرآن صراحة كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[3] فإثبات القرآن لمثل هذه الحقائق والدقائق العلمية قبل أن يكتشفها العلم بمئات السنين لهو خير دليل على صدق ما جاء به رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

فقد كان الفكر السائد في أواسط القرن السابع عشر أن الأنهار والينابيع تأتي من البحر؛ حيث تتسرب مياهه إلى جوف الأرض متخلصة من ملوحتها فتتخزن في باطن الأرض وبعدها تنفجر ينابيع وجداول وأنهارا إلى أن أثبت العالم الفرنسي (كلوديپرد) Claudepeoult ١٦٧٠م، ومن بعده (ماريوت) Marriott أن كمية المياه الموجودة في الأنهار متعلقة بصورة مباشرة بكمية المياه المتساقطة من السماء، فمستوى منسوب الأنهار والبحيرات وغزارتها متعلق بكمية الأمطار التي تسقط سنويا والتي تختلف من سنة إلى أخرى[4].

---

(١) شرف - الجغرافية المناخية والنباتية - الأسس العامة - ص ٢٠٨.

(٢) سورة الزمر: ٢١.

(٣) سورة الحجر: ٢٢.

(٤) انظر الشريف: من علوم الأرض القرآنية - ص١٠٥.

الفصل الثاني: الأمثال التي ذُكر فيها الماء في القرآن الكريم

ويشمل المباحث التالية:

- تمهيد

المبحث الأول : المثل المائي للمؤمنين

- النفقة

المبحث الثاني : المثل المائي للكافرين

- دعاء الكافرين
- القلوب القاسية
- أعمال الكافرين

المبحث الثالث : المثل المائي للمنافقين

- أعمال المنافقين
- حال المنافقين

المبحث الرابع : المثل المائي للحق والباطل

المبحث الخامس : المثل المائي للدنيا



الأمثال التي ذُكر فيها الماء في القرآن الكريم

تمهيد

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)].

المثل: صورة حية ماثلة لمشهد واقعي أو متخيل، مرسومة بكلمات معبرة موجزة، يؤتى به غالبًا لتقريب ما يضرب له عن طريق الاستعارة أو الكناية أو التشبيه، مع ملاحظة الشروط التالية:

الشرط الأول: وجود علاقة المشابهة بين الحالتين.

الشرط الثاني: تداول المثل بين الناس.

الشرط الثالث: عدم التغيير في لفظه الموضوع له[(٢)].

وللمثل فوائد كثيرة منها: «التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله»[(٣)].

والأمثال القرآنية تحث المؤمنين على فعل الخيرات، وترك المنكرات والزهد في

---

(١) سورة الحشر: ٢١.

(٢) انظر: الصغير: د. محمد حسين علي - الصورة الفنية في المثل القرآني - دار الرشيد للنشر ١٩٨١ - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية - سلسلة دراسات ٢٨٨ - ص٦٠.

(٣) السيوطي: الإمام جلال الدين - الإتقان في علوم القرآن - الجزء الرابع - ص٣٤٣-٣٤٤، مراجعة وتدقيق: سعيد المندوه - الطبعة الأولى ١٩٩٦ - دار الفكر - بيروت.

الدنيا، والإقبال على الآخرة، وهي للمنافقين كشفٌ لأعمالهم الخبيثة التي ظاهرها الخير وباطنها الشر، أما للكافرين فهي بيانٌ لمصير أعمالهم الموهومة التي سيجعلها الله هباءً منثوراً.

والمؤمنون هم الذين يتدبرون هذه الأمثال ويعقلونها ويعلمون مقاصدها فيتعظون من خلالها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[1].

«وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ مثلًا ولم يفهمه ويقول: لست من العالمين»[2].

(١) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٢) ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر - الأمثال في القرآن الكريم - ص ١٣١ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

المبحث الأول

المثل المائي للمؤمنين

النفقة:

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

الجنة: «البستان. وهي قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها؛ فهي مأخوذة من لفظ الجن والجنين لاستتارهم»[2].

والربوة: «ما ارتفع من الأرض»[3].

وهذا التخصيص المذكور في الآية الكريمة يشير إلى أن «نبات الربى[4] أرق منظراً وأزهى ثمراً إذ تتعاهده الشمس ويتعاجله المناخ النقي، فهو يعطي ثماره باطراد؛ لاجتماع جودة التربة وحسن الموقع، فإن لم يصبها مطرٌ غزير في وابله كفاها الطلّ الخفيف في رذاذه»[5].

ويلاحظ من خلال السياق القرآني أن الجنة لا تعتمد في ريها على ماء الينابيع أو الأنهار؛ بل على ماء السماء.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٥.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث - ص ٢٠٤.

(٣) الفيروزآبادي - القاموس المحيط - الجزء الرابع - ص ٢٣٤.
وانظر الشوكاني: محمد بن علي بن محمد - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - الجزء الأول - ص ٣٥٨ - تحقيق: أحمد عبد السلام - الطبعة الأولى ١٩٩٤م - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) الربى: ما ارتفع من الأرض.
انظر الجوهري: الصحاح - الجزء السادس - ص ٢٣٤٩.

(٥) الصغير - الصورة الفنية في المثل القرآني - ص ٣٠٣.

والعادة في الأشجار التي تروى بماء المطر أن يكون ثمرها أجود وأفضل من التي تروى بالري الصناعي؛ لأن المطر إذا تتابع نزوله فإنه يدخل إلى باطن الأرض ويغذي جذور الأشجار، والجذور تتبع الماء إلى داخل الأرض بخلاف الري الصناعي الذي يبقى على وجه الأرض، وبالتالي تبقى الجذور على وجه الأرض فتتزاحم ويقل ثمرها وإنتاجها، كما أن الوابل أثناء مروره في الغلاف الجوي يذيب في طريقه مواداً هامة كالمواد العضوية وغيرها التي لها أثرها الإيجابي في تغذية الأشجار والزرع والثمار[1].

عندما تتميز الجنة بهذه الأحوال فإن ثمارها تتضاعف ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[2] «فإن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين؛ وذلك لكرم الارض وطيبها»[3]، إضافة إلى ذلك فعندما تكون بهذه الصورة فإنها تعطي منظراً جميلاً.

وهذا مثلٌ للمؤمنين المخلصين في صدقاتهم ونفقاتهم. مثّلهم الله تعالى «بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يضعِّف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله تعالى»[4].

---

(١) انظر عبد الصمد: محمد كامل - الإعجاز العلمي في الإسلام والقرآن الكريم - ص ١٣٥ - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - ١٩٩٣م - الناشر: الدار المصرية اللبنانية.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٥.

(٣) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث - ص ٢٠٦.

(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الأول - ص ٣٠٨-٣٠٩.

المبحث الثاني
المثل المائي للكافرين

دعاء الكافرين:

الله وحده هو الذي يستحق العبادة فهو القادر على الإجابة.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[1].

وهذه الصورة «من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ. شخص حي شاخص باسط كفيه إلى الماء والماء منه قريب يريد أن يبلغه فاه ولكنه لا يستطيع ولو مد مدةً فربما استطاع»[2].

ولما كان الماء جماداً لا يحس بمن بسط كفيه عليه ولا بحاجة من يطلبه فسيبقى الماء في مكانه دون حركة أو إجابة، وسيزداد الظمآن ظمأً. «وكذلك ما يدعونه جماداً لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم»[3]، وهذه هي حال من توجّه لغير الله. ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾؛ أي «في ضياع وخسارة وباطل»[4].

القلوب القاسية:

عندما لا ينفذ نور الإسلام إلى القلوب فإنها تصدأ وتتحجر وتقسو؛ فالقلب الخالي من الإيمان مليء بالقسوة والعصيان.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾[5].

---

(١) سورة الرعد: ١٤.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن - ص ٤١ - طبعة ١٩٧٦م - دار الشروق - بيروت - القاهرة.

(٣) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ٥٠١.

(٤) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٥٠٤.

(٥) سورة البقرة: ٧٤.

لقد جاءت هذه الآية الكريمة تعقيباً لما جرى من مشاهد وأحداث جرت أمام بني إسرائيل، كإحياء القتيل بعد ذبح البقرة وضربه ببعضها، ولكن كل هذا ما غيَّر من حالهم شيئاً، بل زادت قلوبهم قسوة ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]، والقسوة هنا: «الصلابة والشدة واليبس، وهي عبارة عن خلوها من الإنابة لآيات الله تعالى»[2]. ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3].

والتفجر: التفتح بالسعة والكثرة[4]، فقد ضرب موسى الحجر ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[5] **وقلوبهم لا تندى ولا تلين**. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾[6].

والتشقق: يكون بالطول أو بالعرض بخلاف الانفتاح[7].

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[8]، قال مجاهد[9]: «ما تردى حجر من جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج منه ماء إلّا من خشية الله»[10].

لقد عرفت الجمادات عظمة ربها وقدره فاستجابت لأمره وانتهت لنهيه، ولكن كثيراً من الناس قست قلوبهم أكثر من الحجارة وبقيت تراوح مكانها مصرّة على الباطل تدافع عنه وتموت من أجله، فمثل هؤلاء لا يرجى منهم إيمان ولا خير ولا إحسان؛ ولذلك جاء السياق القرآني بعد هذه الآية التي وصفت حال قلوب بني إسرائيل بصيغة السؤال الذي يقطع الآمال منهم ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ

---

(١) سورة البقرة: ٧٤.
(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ٣١٤.
(٣) سورة البقرة: ٧٤.
(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الأول - ص ١٥٦.
(٥) سورة البقرة: ٦٠.
(٦) سورة البقرة: ٧٤.
(٧) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الأول - ص ١٢٧.
(٨) سورة البقرة: ٧٤.
(٩) مجاهد (٢١-١٠٤هـ = ٦٤٢-٧٢٢م).
هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم (تابعي) مفسر من أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية ويسأله فيما نزلت وكيف كانت.
انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء الخامس - ص ٢٧٨».
(١٠) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ٣١٥.

﴿مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

أعمال الكافرين:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2].

السراب: هو الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء، وسمي السراب سراباً لأنه يسرب سروباً؛ أي يجري جرياً[3].

القيعة: «جمع قاع: وهو الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء»[4].

الظمأ: «أشد العطش. والظمآن العطشان»[5]، وتخصيصه بالظمآن دون الريان؛ «لتشبيه الكافر في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة»[6].

وتبدو ظاهرة السراب بأجلى معانيها إذا ما بلغ الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والهواء الملامس له بضع درجات مئوية، وهي تشاهد عادة في الصحاري والمناطق المنبسطة، والطرق المستقيمة المعبدة بالإسفلت[7].

وبهذا يتبين أن السراب ما هو إلّا وهم وخداع؛ وبما أن الظمآن يبحث عن الماء وقد بلغ الغاية في العطش لم يبق أمامه إلّا أن يتعلق بالأوهام، وتخيب آماله وينقطع رجاؤه عندما يصل إلى المكان الذي ظنه ماءً وإذا به ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[8] ويزداد ألمه وحسرته عندما يفاجأ بالموت يصرعه، وبالملائكة تنقله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة حيث الحساب والعذاب ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[9].

وهكذا يخيب رجاؤه ويجد الكفر قد أحبط أعماله.

---

(١) سورة البقرة: ٧٥.
(٢) سورة النور: ٣٩.
(٣) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ٤٦٥.
(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٤٨.
(٥) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ١١٦.
(٦) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ١٢٦.
(٧) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ٥٢٥.
(٨) سورة النور: ٣٩.
(٩) سورة النور: ٣٩.

وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[١].

«هذان مثلان ضربهما الله لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين: نارياً ومائياً، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائياً ونارياً»[٢].

قال الزجاج[٣]: «إن شئت مثل السراب، وإن شئت مثل بالظلمات»[٤].

أما البحر اللجي فهو: «الذي لا يدرك قعره. واللجة معظم الماء»[٥].

وقد جمعت الآية الكريمة بين ظواهر جوية مختلفة؛ ظلمات في بحر عميق وأمواج متلاحقة فوق بعضها «والبحر أخوف ما يكون إذا توالت أمواجه، فإذا انضم إلى ذلك وجود السحاب زاد الخوف شدة؛ لأنها تستر النجوم التي يهتدي بها من في

---

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص ٢٩٦ - والمثلان في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ سورة البقرة: ١٧ وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة: ١٨ - ١٩ - ٢٠. والمثلان في سورة الرعد قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ سورة الرعد: ١٧.

(٣) الزجاج: (٢٤١ - ٣١١هـ = ٨٥٥ - ٩٢٣م).

هو: «إبراهيم بن السريّ بن سهل، أبو إسحاق، والزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فعلمه المبرد. من كتبه: (معاني القرآن)، (خلق الإنسان)، (الأمالي) و(إعراب القرآن).

انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء الأول - ص ٤٠».

(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٤٨.

(٥) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثاني عشر - ص ١٨٧.

وقد كشف علماء البحار «في النصف الثاني من القرن العشرين أن في البحار العميقة، وعلى عمق ٣٠٠٠ متر أمواجاً عاتية قد تصل طولها إلى بضعة كيلومترات وارتفاعها إلى مائة متر، وأنه على عمق ستين متراً عن سطح البحر يصبح كل شيء مظلماً في البحار، كما أن هناك أنواعاً من السحب تعكس ضوء الشمس بكامله».

«الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١١٧».

البحر، ثم إذا أمطرت تلك السحاب وهبت الريح المعتادة في الغالب عند نزول المطر تكاثفت الهموم وترادفت الغموم وبلغ الأمر الغاية التي ليس وراءها غاية»[١].

هذه هي أعمال الكافرين، شكوك وأوهام، ظلمات أحاطت بهم من كل مكان؛ فحالهم كحال من ساقته الأقدار إلى بحر عميق يتخلّله الموج والسحاب، فوصلت درجة الإعتام لدرجة «أنه إذا أخرج يده - وهي أقرب شيء منه - لنظر إليها لم يقرب من رؤيتها»[٢].

قال تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[٣].

لقد جاءت هذه الآية الكريمة تصف الظلمات في سورة اسمها سورة النور، وبعد آية النور، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٤]. ليدلنا كل هذا على أن الإسلام نور، وأن النور يأتي بالأنوار، وأن الكفر ظلام، وأن الظلام يأتي بالظلمات، وأن الإنسان مهما تقدم في فن العلوم والاختراعات، ووصل إلى أعلى درجات المهارات فإنه بغير نور الله يعيش في ظلمة وظلمات. ويلاحظ أن المثلين اللذين ضربهما الله تعالى لأعمال الكافرين في سورة النور كلاهما مائي.

ففي المثل الأول مُثّلت أعمال الكافرين وقد أحبطها رب العالمين بسراب يخيل لمن يراه أنه ماء، وهو في حقيقته خيال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[٥]؛ ليموت ظمآناً فلا يجد إلّا الحميم أمامه الذي يزيد ظمأه وألمه. ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[٦].

وفي المثل الثاني ماء، ولكن هذه المرة الماء كثير وفي بحر عميق، تلاطمه الأمواج من كل مكان وغطاه السحاب.

---

(١) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الجزء الثامن عشر - ص ١٨٣ - دار إحياء التراث العربي ببيروت.

(٣) سورة النور: ٤٠.

(٤) سورة النور: ٤٠. وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ فيه يبين الله تعالى مقصوده الحقيقي الذي مهد له الكلام من قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ سورة النور: ٣٥.
المودودي: أبو الأعلى - تفسير سورة النور - ص ٢٠٥-٢٠٦ - تعريب محمد عاصم الحداد - دار الفكر.

(٥) سورة النور: ٣٩.

(٦) سورة محمد: ١٥.

المبحث الثالث
المثل المائي للمنافقين

أعمال المنافقين:

قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

«وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة، فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر، وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة»[٢].

ولما كانت هذه الجنة من أجمل الجنان وأحسنها، جمعت النخيل والأعناب، واشتملت على ثمار مختلفةٍ ومتنوعةٍ، وازدانت بأنهارها التي تجري من تحتها فإن صاحبها تعلق بها، وازداد تعلقه بها بعدما أصابه الكبر وأولاده ضعاف، ومن كانت هذه حاله ازدادت حاجته لبستانه وفجأةً أصابه إعصارٌ فيه نار فاحترق. «ولم يكن عنده قوة فيغرسه ثانية، ولم يكن عند بنيه خير فيعودون على أبيهم؛ وكذلك الكافر والمنافق إذا ورد إلى الله تعالى يوم القيامة ليست له كرة يبعث فيرد ثانية، كما ليست عند هذا قوة فيغرس بستانه ثانية، ولم يكن عند من افتقر عند كبر سنه وضعف ذريته

(١) سورة البقرة: ٢٦٦. والإعصار: عبارة عن منطقة ضغط جوي منخفض، وهناك نوعان رئيسان: الأول يحدث في العروض المعتدلة، والثاني وهو أشد عمقاً ويحدث في المناطق المدارية. وغالباً ما يصاحب الأعاصير المدارية سحب كثيفة قاتمة ومطر إعصاري غزير وبرق ورعد، وتدور فيها الرياح بسرعة تزيد عن مائة كيلومتر في الساعة.

انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٣٤».

(٢) الزمخشري - الكشاف - الجزء الأول - ص ٣٠٩.

غنى عنه»[1]. لقد فقد جنته عندما صار بأمسّ الحاجة إليها؛ وكذلك المنافق يفقد عمله في أشد الأوقات حاجة له؛ لأنها لم تكن خالصة لوجه الله؛ ولو كان ظاهرها الإخلاص فباطنها الرياء.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

الصفوان: الحجر الأملس[3].

الوابل: «المطر الشديد»[4].

الصلد: «من «الصلادة»؛ أي الصخور التي لا تتأثر كثيراً بعوامل التفكك أو التحلل أو تلك التي إذا تأثرت بها لا ينتج عنها إلّا حطام أو فتات قليل»[5].

ويلاحظ التعبير بالوابل بدل المطر؛ ذلك لأن المطر قد يكون خفيفاً فيترك شيئاً من التراب فوق هذه الصخرة الملساء التي لا تعرج في فجواتها، ولكن حينما ينزل وابلاً لا يترك عليها ذرة من التراب، وإذ بها صخرة لا تنبت شيئاً[6].

فبدلاً من أن يكون هذا الماء النازل خيراً ينبت النبات وإذا به يذهب حتى بالتراب، وإذا بهذه الصخرة متكشفة خالية من كل خير غير مستعدة لإمساك ماءٍ ولا لإنبات نبات.

أراد الله تعالى «أن يبيّن للناس أن الصدقة التي تبذل رياء - والتي يتبعها المن والأذى - لا تثمر شيئاً ولا تبقى، فينقل إليهم هذا المعنى المجرد في صورة حسية متخلية»[7]. لتكون أوقع في النفس.

---

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث - ص ٢٠٨.
(٢) سورة البقرة: ٢٦٤.
(٣) انظر البيضاوي: - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ١٣٨-١٣٩.
(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الأول - ص ٣٥٨.
(٥) توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٣١٥.
(٦) انظر الشعراوي: محمد متولي - معجزة القرآن - إعداد: أحمد زين - الجزء الثاني - ص ٣٤٧ - مكتبة التراث الإسلامي - مصر.
(٧) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن - ص ٣٩.

حال المنافقين:

يتخبّط المنافقون في ظلمات من الشكوك والأوهام، أرادوا بانتسابهم إلى الإسلام أن يجمعوا بين نور الإسلام وظلمة الشرك، فهم في حيرةٍ وتردد بين الخير والشر ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(٢).

والصيب: «هو المطر الذي يصوب أي ينزل بكثرة»(٣).

والرعد: «الصوت الذي يسمع من السحاب»(٤).

والبرق: «ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً»(٥).

الصاعقة: نارٌ تسقط من السماء في رعد شديد والصاعقة: صيحة العذاب(٦).

ومعلوم أن المطر يحمل الحياة والخير والبركات لأهل الأرض، فـ«شبه دين الإسلام بالصيب؛ لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر»(٧). «فضرب للمنافقين مثلاً نارياً ومثلاً مائياً، فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة، وأن الوحي الذي ينزل من السماء يحمل حياة القلوب واستنارتها ولهذا أسماه الله روحاً ونوراً»(٨).

لقد رافق هذا المطر أحوال جوية عاصفة ومضطربة ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾(٩)، فلضعف بصائر المنافقين اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره

---

(١) سورة الأنعام: ٧١.

(٢) سورة البقرة: ١٩.

(٣) السعدي - عبد الرحمن ناصر - تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان - الجزء الأول - ص٤٦ - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٦٣م حققه وطبعه ونسقه محمد زهري النجار - دار النشر: عالم الكتب - بيروت.

(٤) أبو بكر الرازي - مختار الصحاح - ص ١٠٤.

(٥) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٣٢-٣٣.

(٦) انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء العاشر - ص ١٩٨.

(٧) الزمخشري: الكشاف - الجزء الأول - ص ٨٦.

(٨) ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر - الأمثال في القرآن الكريم - ص ١٧٣ - ١٧٥ دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٩) سورة البقرة: ١٩.

ونواهيه؛ فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمةٌ ورعدٌ وبرقٌ[1]. فعندما يسمعون صوت الرعد فإنهم ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[2]، إنهم لا يكتفون بوضع طرف الإصبع لمنع صوت الرعد ولكنهم يحاولون أن يدخلوا كل الإصبع في آذانهم[3]؛ لشدة خوفهم وقلّة أمنهم. ولكن ماذا ستفعل الأصابع مع الصواعق فإغلاق الآذان بها لا يجنبهم خطرها. ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

أما البرق فلشدة لمعانه يكاد ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[5].

ويلاحظ من خلال هذا المثل القرآني أن الأحوال الجوية جمعت بين أمرين متناقضين بين الظلمات وبين البرق اللامع، كما جمع المنافقون بين ظلمات الشرك ونور الإسلام؛ فهم في تذبذب وشكوك وأوهام تلبستهم فلا يستطيعون الخروج منها، فالبرق ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾[6]، و«إذا صادفوا من البرق خفقةً مع خوف أن يخطف أبصارهم، انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة»[7]. ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾[8]. «وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهرهم أضواؤها فيهمون أن يهتدوا، ولكنهم بعد قليل يعودون إلى الكفر والنفاق»[9].

ولما كان الرعد خطراً على أسماعهم والبرق خطراً على أبصارهم ختم الله المثل بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[10].

---

(١) ابن القيم: الأمثال في القرآن الكريم - ص ١٧٣-١٧٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩.

(٣) انظر الشعراوي - معجزة القرآن - المجلد الثاني - ٣٥١.

(٤) سورة البقرة: ١٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٠.

(٦) سورة البقرة: ٢٠.

(٧) الزمخشري - الكشاف - الجزء الأول - ص ٩٢.

(٨) سورة البقرة: ٢٠.

(٩) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٦.

(١٠) سورة البقرة: ٢٠.

المبحث الرابع

المثل المائي للحق والباطل

الحق والباطل ضدان لا يجتمعان بأي صورة أو حال؛ فالحق جذوره راسخة ثابتة، أما الباطل فزاهق ومهزوم لا يمكث ولا يدوم.

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[(١)].

هذان مثلان ضربهما الله تعالى للحق في ثباته، والباطل في اضمحلاله وزواله: «أحدهما لأهل البوادي والثاني لأهل الصناعات»[(٢)]، فشبه الله تبارك وتعالى الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله الله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية فكما أن الأودية مختلفة في سعتها، فكذلك القلوب؛ فقلب كبير يسع علماً عظيماً كوادٍ كبيرٍ يسع ماءً كثيراً، وقلبٌ صغيرٌ كوادٍ صغير[(٣)].

والزبد: «الذي يعلو الماء فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية وتدفعه الرياح»[(٤)].

«ولما ذكر الله تعالى هذا الزبد الذي لا يظهر إلّا عند اشتداد الحاجة أو جري الماء ذكر الزبد الذي لا يظهر إلّا في النار»[(٥)].

لقد فارق الزبد الماء عند جريانه وفارقه في الحلي عندما أُوقد تحته بالنار، ولولا

---

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) حبنكه: عبد الرحمٰن حسن - الأمثال القرآنية (دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها) - ص ٩٠ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - دار العلم - دمشق - بيروت.

(٣) انظر: ابن القيم - الأمثال في القرآن الكريم - ص ١٨١-١٨٢.

(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ٢٠٠.

(٥) الفخر الرازي: أبو عبدالله عمر بن الحسين الملقب فخر الدين - التفسير الكبير الجزء التاسع عشر - ص ٣٥ - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

جري الماء وحرارة النار لبقي الزبد مخالطاً الماء والحلي؛ كذلك الباطل ينكشف وتظهر حقيقته ويفارق الحق عندما تشتد الأمور.

وبما أن الزبد أخف وزناً فإنه علا وجه الماء ووجه الحلي، أما الماء والحلية فيمكثان. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾(١) يتلاشى على جنبات الأودية. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٢)، وفي هذا دلالة على أن الباطل «وإن علا بعض الأحوال فإنه يضمحل كاضمحلال الزبد والخبث»(٣). وفيه دليل أيضاً على أن الحق ثابت راسخ وأن الباطل زاهق.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(٤).

بالماء الواحد أخرج الله من الأرض الميتة ثمرات مختلفة في أشكالها وألوانها ومذاقها وفي هذا عبرة لأولي الأبصار وليبقى هذا دليلاً ملموساً ومحسوساً ومشاهداً أمام الناس على أن الذي يقدر على إحياء الأرض الميتة بكل أنواع النبات والثمار يقدر على إخراج الموتى مرة أخرى بعد أن كانوا رفاتاً وتراباً.

ولكن ليس كل البلاد تقبل الماء فتنبت النبات ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾(٥). وكذلك ليس كل الناس يقبل الهدى والعلم.

هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض الخيرة والأرض السبخة؛ فشبه نزول القرآن بنزول المطر، وشبه المؤمن بالأرض الخيرة التي نزل عليها المطر فيحصل فيها أنواع الأزهار والثمار، وأما الأرض السبخة فهي وإن نزل المطر عليها لم يحصل فيها النبات(٦).

---

(١) سورة الرعد: ١٧.
(٢) سورة الرعد: ١٧.
(٣) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ٢٠٠.
(٤) سورة الأعراف: ٥٧ - ٥٨.
(٥) سورة الأعراف: ٥٧ - ٥٨.
(٦) انظر: الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الرابع عشر - ص ١٤٤.

وحول هذا المعنى يقول الرسول ﷺ: (**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**)[١].

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب العلم - باب فضل من علِمَ وعَلّمْ - حديث رقم ٧٩ - ص٤١). ورواه مسلم (النووي شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب بيان مثل ما بعث النبي - ﷺ - من الهدى والعلم - حديث رقم: ٥٩١٢ - ١٥/١ - الجزء الخامس عشر - ص ٤٧-٤٨).

المبحث الخامس

المثل المائي للدنيا

تخضر الدنيا وتتزين بنزول الماء؛ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[1] ولكن سرعان ما يبدأ هذا التزين والجمال بالزوال عندما يبدأ النبات باليبس والجفاف ليصبح ﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[2]، وهكذا الدنيا.

وقد «أمر الله نبيه ﷺ أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها وترغيباً في الآخرة»[3].

وإنما شبه الله تعالى الحياة الدنيا بالماء؛ «لأن الماء لا يستقر في موضع وكذلك الدنيا لا تبقى على واحد، ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى..، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر»[4].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

وهذه هي الدنيا تعرض من خلال القرآن في لوحات ومشاهد، «وكلما كانت اللوحات والمشاهد أكثر تحريكاً للنفس وأكثر اتصالاً بالحياة كان الانطباع العام الذي

---

(١) سورة الحج: ٦٣.

(٢) سورة الكهف: ٤٥.

(٣) الطوسي: محمد بن الحسن بن علي - تفسير التبيان - الجزء السابع - ص ٥١ - تحقيق وتنقيح: أحمد حبيب العاملي - مكتبة الأمين - النجف ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء العاشر - ص ٢٦٨.

(٥) سورة يونس: ٢٤.

تتركه أكثر وضوحاً وأشد تأثيراً»[1].

بعد نزول الماء يخرج نبات الأرض ويخالط بعضه بعضا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾[2]؛ «وذلك لأن التزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء. فجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس إذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون، وتزينت بجميع الألوان من حمرة، وخضرة، وصفرة، وذهبية، وبياض. إنه متى صار البستان على هذا الوجه وبهذه الصفة فإنه يفرح به المالك ويعظم رجاؤه في الانتفاع به، ويصير قلبه مستغرقاً فيه»[3]. عندها يظن ﴿أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾[4]، «فحصل لهم طمع بأن ذلك سيستمر ويدوم»[5]. لكن سرعان ما يأتيها أمر الله ليلاً أو نهاراً، عندها تكون الخسارة كبيرة والمصيبة أليمة.

فمثل الدنيا في سرعة زوالها وانقضائها «مثل ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقه وذهاب بهجته وسرعة تقضيه، بعد أن كان غضاً مخضراً طرياً، قد تعانقت أغصانه المتمايلة، وزهت أوراقه المصافحة، وتلألأت أنوار نوره، وحاكت الزهر أنواع زهره»[6]، وما هي إلّا لحظات حتى تصبح ﴿حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾[7]، والحصيد «الزرع الذي يحصد ويستأصل»[8].

لقد عاد الزرع حطاماً كأنه ما كان ولم يكن لتعود الأرض ميتة بعد أن كانت حية وغضة وطرية.

وهذا المشهد يتكرر دائماً وباستمرار لحياة النبات والثمار والأشجار لتكرر الموعظة والعبرة لهذا الإنسان من هذه الدورة الحياتية السريعة، وليعلم الإنسان أن

---

(١) أبو حمده محمد علي - من أساليب البيان في القرآن الكريم - ص ٩٣ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - الطبعة الأولى - الطابعون - جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان - الأردن.

(٢) سورة يونس: ٢٤.

(٣) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء السابع عشر - ص ٧٣.

(٤) سورة يونس: ٢٤.

(٥) السعدي - تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان - الجزء الثاني - ص ٣٢٨.

(٦) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٥٥٧.

(٧) سورة يونس: ٢٤.

(٨) النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الأول - ص ٥٣٥ - الطبعة الأولى ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

الذي يحيي الأرض بعد موتها يحيي الأجساد بعد فنائها، وأنه لو دام الزرع في اخضراره وجماله لدامت الدنيا في زينتها وبهجتها.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[1]. عندما ينزل الماء مباركاً إلى الأرض فإن نباتها يصير جنات بعد أن كانت هذه الأرض مجدبة لا زروع ولا ثمار.

«وجملة ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مستأنفة لبيان أن الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الأحياء الذي أحيى الله به الأرض الميتة»[2].

وبين النبات والإنسان قاسم مشترك في أن كلاً منهما يحيى بالماء وكلا منهما له أجل محدود ينتهي بعده ويزول.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]. فبعد أن كانت الأرض ميتة نزل عليها الماء فأخرج الله منها من كل الثمرات. ومن يقدر على هذا يقدر على إخراج الموتى من الأجداث مرة أخرى.

«وقيل وجه التشبيه أن إحياءهم من قبورهم يكون بمطر يبعثه الله على قبورهم، فتنشق عنهم القبور، ثم تعود إليهم الأرواح»[5]؛ قال ﷺ: «... **ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ أَوْ قَالَ**

---

(١) سورة ق: ٩-١١. وباسقات: طوالاً أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت. وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها. وطلع نضيد: أي منضود بعضه فوق بعض، والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر.
انظر: «البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٤٢١».

(٢) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ٨٩.
وانظر: ابن القيم الجوزية - شمس الدين محمد بن أبي بكر - الفوائد - ص ٨ - دار الفكر - بيروت.

(٣) سورة فاطر: ٩.

(٤) سورة الأعراف: ٥٧.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع - ص ١٤٧.

يُنْزِلُ اللهُ مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ[١] أَوِ الظِّلّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ...»[٢].

فالماء هو القاسم المشترك لحياة جميع الكائنات الحية فإذا انقطع الماء انقطعت الحياة، فضرب من خلاله الأمثال للحياة.

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[٣]. إذا كانت الحياة كلها من أولها إلى منتهاها هكذا فما هو إذاً حال من يعيش فيها جزء يسيراً منها!

«هذا المشهد قصير خاطف ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال. الماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل ولكن يختلط به نبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج ولكنه يصبح هشيماً تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار ينهي شريط الحياة»[٤].

وتأكيداً لهذا ما ورد من استخدام الآية (الفاء) بدلاً من (ثم) وبهذه السرعة الخاطفة تزول الدنيا وزينتها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٥].

ويعرض القرآن الكريم الحياة الدنيا بعرض آخر باستخدام لفظ **ثم** بديلاً من الفاء فيه إطالة وتأمل، ولكن النتيجة واحدة وهي الفناء والزوال. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٦].

---

(١) الطل: نوع من التساقط يتألف من كتلة من القطرات الدقيقة يشبه الرذاذ.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٣٣٤».

(٢) رواه مسلم - (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الفتن - باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والأيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور، وبعث من في القبور - حديث رقم: ٧٣٠٧ - ١/١١٦ - الجزء الثامن عشر - ص ٢٧٨).

(٣) سورة الكهف: ٤٥. والهشيم من النبات: «اليابس المتكسر، والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء».
«الجوهري - الصحاح - الجزء الخامس - ص ٢٠٥٨».

(٤) الخالدي: د. صلاح عبد الفتاح - البيان في إعجاز القرآن - ٢٠٤ - دار عمار - الأردن.

(٥) سورة الأنعام: ٤٤.

(٦) سورة الزمر: ٢١. ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يتم جفافه؛ لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته. «البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٣٢٣».

«فهذا مشهد من مشاهد الأرض كذلك متعدد الخطوات، وهو يعرض في بطء وتفصيل، وتترك كل خطوة للعين مدة كافية للتأمل، وللنفس مدة كافية للتأثر. هذا هو الماء ينزل من السماء فيسلك ينابيع للري. ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج هذا الزرع وينضج فتراه مصفراً. ثم ييبس فيصير حطاماً»[1].

وفي القرآن الكريم أمثلة مائية أخرى مثّلت من خلالها الحياة الدنيا كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

لقد جاءت الآية الكريمة بعرض آخر لأحوال الدنيا، فهي لعب ولهو وزينة وتفاخر في الأموال والأولاد، ولما كانت هذه الأمور تقود الإنسان إلى السيئات والمعاصي اشتملت الآية الكريمة على تحذير العباد من العذاب بقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ فرغم سرعة الدنيا وسرعة زوالها إلّا أنه من تعلق بها عذب بها ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لمن اتعظ من خلالها، وللفريقين ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

ولمّا كان منظر الزرع أكثر ما يتكرر أمام الزارعين وأكثر ما يعجب الزرع صاحبه وزارعه فهو يعيش معه وعليه ينمو ويزهو أمامه ويتحطم ويتلاشى أمامه ضرب المثل هذه المرة بالمزارعين.

إنه لا يتكرر مرة بل مرات، وفي كل مرة يهيج فتراه مصفراً، فلو دام هذا الزرع وبقي على جماله وروعته لدامت الدنيا لأهلها، حتى الإنسان بعد القوة يدب فيه الضعف ويذبل كما يذبل الزرع. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[3].

ولقد عبر القرآن عن الأرض قبل نزول المطر، وقبل تفتحها بالنبات مرة بأنها **(هامدة)** ومرة بأنها **(خاشعة)**... فلننظر كيف وردت هاتان الصورتان؛ وردت

---

(١) سيد قطب - التصوير الفني في القرآن - ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

(٣) سورة الحج: ٥. والبهيج: «الحسن السارّ للناظر إليه».
«الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ١٤٢».

(**هامدة**) في هذا السياق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[1].

ووردت (**خاشعة**) في هذا السياق: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ﴾[2].

«وعند التأمل السريع في هذين السياقين يتبيّن وجه التناسق في (**هامدة**) و(**خاشعة**). إن الجو في السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج، مما يتسق مع تصوير الارض (**هامدة**) ثم تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج وإن الجو في السياق الثاني هو جو عبادة وخشوع وسجود يتسق معه تصوير الأرض (**خاشعة**) ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾[3] [4]».

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) سورة فصلت: ٣٧ - ٣٩.

(٣) سورة فصلت: ٣٩.

(٤) سيد قطب - في ظلال القرآن - الجزء الخامس - ص ٣١٢٥.

الفصل الثالث: الماء في القصص القرآني.

ويشمل المباحث التالية:

المبحث الأول : الماء في قصة نوح عليه السلام.

- تمهيد.
- نوح يدعو قومه إلى الاستغفار.
- نوح يصنع الفلك.
- بدء الطوفان.
- حوار نوح مع ابنه.
- نهاية الطوفان.
- هل الطوفان كان عاماً ؟

المبحث الثاني : الماء في قصة صالح عليه السلام.

- تمهيد.
- سبب قسمة الماء.
- الاعتداء على الناقة.

المبحث الثالث : الماء في قصة موسى عليه السلام.

- تمهيد.
- فرعون يبحث عن موسى.
- أم موسى تلقي موسى في اليم.
- نجاة موسى وهو طفل من اليم.
- ورود موسى ماء مدين.
- موسى يدعو فرعون إلى الإسلام.

المبحث السابع : قصة الماء في غزوة بدر.

- تمهيد.
- الأنصار مستعدون لأن يخوضوا البحر.
- ماء بدر مكان تقصي الأخبار.
- نزول الماء من السماء وسيطرة المسلمين على ماء بدر.



تمهيد

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1]. ما جاءت قصة ولا ذكرت حادثة في كتاب الله تعالى إلا لمقصد وغاية ولا تكررت قصة إلا وجاءت بعبرة.

تهدف القصة في القرآن إلى إنشاء إنسان صالح متوافق مع ناموس الكون، وتهدف أيضا إلى عرض الجمال والقبح بمعناهما الواسع ومجالاتهما الشاملة بحيث يشتاق المؤمن فى النهاية إلى الجمال وينفر من القبح دون أن يحس بهذا الاتجاه أو ذاك[2].

لقد «خضعت القصة القرآنية فى موضوعها وفى طريقة عرضها وادارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية»[3]. فمن خلال القصة يلحظ المرء المعاناة والشدائد التي لاقت الرسل والأنبياء مع أقوامهم وهذا فيه تسلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتثبيتا لفؤاده ولأفئدة المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وقد جاء هذا الفصل خاصا بالقصص القرآنية التي برز فيها الدور المائي مؤثراً في أحداثها ونتائجها، وتم تناول الجوانب المائية في كل قصة من خلال الآيات الكريمة وعدد من الأحاديث الشريفة التي تتعلق بهذا الموضوع بحيث يخلص المرء في النهاية إلى أن الماء كان سلاحاً ربانياً يرحم الله من خلاله المؤمنين ويهلك الكافرين وانه مرتبط بأفعال الناس؛ إن هم أحسنوا أحسن الله إليهم، وإن أساؤا عاقبهم الله به.

---

(١) سورة غافر: ٧٨.

(٢) انظر: محمد قطب - منهج الفن الإسلامي - ص ٢٣٠ - الطبعة الثانية - دار القلم

(٣) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن - ص ١٤٣.

(٤) سورة هود: ١٢٠.

المبحث الأول
الماء في قصة نوح عليه السلام

تمهيد

لبث نوح – عليه السلام– في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[١]، ورغم طول هذه المدة إلا أنه ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢]. نزلت سورة كاملة تحكي قصته مع قومه سميت باسمه، إضافة إلى سورٍ أخرى ذكرت قصته مع سورٍ أخرى ذكر فيها اسمه.

بعث الله نوحاً لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر[٣].

طغى حدث الطوفان على الأحداث الأخرى في قصة نوح – عليه السلام – مع قومه فهو الحدث الرئيس والجانب المهم في هذه القصة.

نوح يدعو قومه إلى الاستغفار:

كان قوم نوح ومن خلال دعوته لهم بين خيارين كلاهما مائي، الخيار الأول: يكون فيه الماء رحمةً ورزقاً وخيراً ينزل عليهم إن هم آمنوا بدعوته واستغفروا ربهم ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٤].

---

(١) سورة العنكبوت: ١٤.

(٢) سورة هود: ٤٠.

(٣) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي – البداية والنهاية، الجزء الأول – ص ١٠١ – الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م – مكتبة المعارف – بيروت.
وانظر: القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – الجزء التاسع – ص ٣٠.

(٤) سورة نوح: ١٠ –١٢. مدراراً: «ذا غيث كثير».
القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – الجزء الثامن عشر – ص ١٩٥.

أما الخيار الثاني: فهو ماء. ولكنه ليس ماء رحمة؛ بل ماء عذاب ينهمر من السماء ويتفجر من الأرض إذا استمروا على كفرهم وتمردهم على الحق.

أمرهم نوح «بالاستغفار - الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي، وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم، وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيباً في الإيمان وبركاته، والطاعة ونتائجها من خير الدارين»[(١)].

ويلاحظ في الآية الكريمة أن الله تعالى قدم الماء على الأموال والبنين والجنات والأنهار؛ فمن نتائج الاستغفار نزول الماء، ومن نتائج نزول الماء الأموال والجنات والأنهار؛ فالماء أصل البركات والخيرات.

وفي سورة هود أرشد نوح قومه إلى الاستغفار والتوبة كي ينزل الماء متتابعاً من السماء ويزيدهم قوة في الأرض، قال تعالى على لسان نوح: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾[(٢)].

وفي هذا أكبر دليل على أن ما يأتي من السماء له علاقة بما يجري على الأرض، وأن الناس عندما يستغفرون ربهم ويتقونه يعمهم الخير والبركات ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[(٣)]. وإن هم عصوا ربهم ذهبت الخيرات والبركات وحل الهلاك والفساد ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[(٤)].

نوح يصنع الفلك:

بقيَ نوح - عليه السلام- يدعو قومه ليلاً ونهاراً، إسراراً وجهاراً فما زادهم ذلك إلا فراراً؛ وعنادًا ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[(٥)]، «وفي الكلام تأييس له من إيمانهم، وأنهم مستمرون على كفرهم

---

(١) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٢) سورة هود: ٥٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٥) سورة هود: ٣٦.

مصممون عليه لا يؤمن أحدٌ منهم إلا من قد سبق إيمانه»[1].

بعد ذلك أمر الله نوحاً أن يصنع الفلك. ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[2]. «والظاهر من تعريفه هنا أن الله تعالى كان قد أخبر خبره؛ أي اصنع الفلك الذي ينجيك ومن آمن معك فيه حال كونك ملحوظاً ومراقباً بأعيننا من كل ناحية، وما يلزمه من حفظنا في كل آن وحالة فلا يمنعك منه مانع، وملهماً أو معلماً بوحينا لك كيف نصنعه؛ وجمع الأعين هنا لإفادة شدة العناية بالمراقبة والحفظ»[3].

بدأ نوح يصنع الفلك، وبدأ قومه يسخرون منه، ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[4]. أهل الباطن يسخرون من أهل الحق، وهذه هي طبيعة الكافرين السخرية والاستهزاء بالمؤمنين حتى إذا حاق بهم العذاب سخر منهم هنالك المحقون. وقد اختلف في سبب سخريتهم من نوح.

وذهب الفخر الرازي[5] في سخريتهم من نوح إلى عدد من الأقوال أجمل فيها أقوال المفسرين:

(١) قالوا: كنت تدعي رسالة فصرت نجاراً.

(٢) قالوا: لو كنت صادقاً في دعوتك لأغناك الله عن هذا العمل الشاق.

---

(١) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٦٣٣.

(٢) سورة هود: ٣٧.

(٣) رضا: محمد رشيد - تفسير القرآن الكريم - المشتهر بتفسير المنار - الجزء الثاني عشر - ص ٧٣ - الطبعة الرابعة ١٣٧٣ - دار المنار - مصر.

(٤) سورة هود: ٣٨.

(٥) الفخر الرازي: (٥٤٤-٦٠٦هـ = ١١٥٠-١٢١٠م).
هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي؛ فاق أهل زمانه في علم الكلام والعلوم الأخرى. من تصانيفه: (تفسير القرآن الكريم)، (شرح سورة الفاتحة) في مجلد، وله كتاب (البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان) وكتاب (تهذيب الدلائل وعيون المسائل) وكتاب (إرشاد النظائر إلى الطائف الإسرار) وكتاب (الزبدة) وكتاب (المعالم).
انظر: الزركلي - الأعلام - الجزء السادس - ص ٣١٣.

(٣) أنهم ما رأوا سفينة في حياتهم فتعجبوا منها.

(٤) أن السفينة كانت كبيرة وتصنع في موضع لا ماء فيه، فيقولون: ليس هنا ماء ولا يمكنك نقلها.

(٥) أنه لما طالت مدته مع قومه وكان قد أنذرهم العذاب سخروا منه[١].

وتبقى هذه الأقوال محتملةً، كما أن قوم نوح ربما سخروا من نوح لأكثر من سبب.

بدء الطوفان:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[٢]؛ «أي قدَرْنا بوقت نزول العذاب بهم»[٣]. وإضافة الأمر إلى الله تعالى «لتهويله بأنه فوق ما يعرفون»[٤].

والفوران: «غليان القدر ويطلق على نبع الماء بشدة تشبيهاً بفوران ماء القدر إذا غلي»[٥].

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: «نبع الماء بشدة من تنور الخبز»[٦]

وكان فوران الماء منه إيذاناً لنوح - عليه السلام - ودليلاً على هلاك قومه[٧]. والذي يرجح ذلك: أن فوران الماء في السياق القرآني جاء مباشرة بعد أمر الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[٨]؛ وهذه إشارة إلى أن الماء نبع من الأرض قبل أن ينزل من السماء.

---

(١) انظر الفخر الرازي: التفسير الكبير - الجزء السابع عشر - ص٢٢٤ - ابي حيان الأندلسي محمد ابن يوسف - تفسير البحر المحيط - الجزء الخامس - من ٢٢٤ - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م - دار الفكر.

(٢) سورة هود: ٤٠.

(٣) السعدي - تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان - الجزء الثاني - ص ٣٨٢.

(٤) ابن عاشور - محمد الطاهر - تفسير التحرير والتنوير - الجزء الثاني عشر - ص ٧٠ - الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤.

(٥) المرجع السابق - الجزء الثاني عشر - ٧٠.

(٦) انظر: الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٦٣٤.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ٢٤.

(٧) الدرة: محمد علي طه - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - الجزء الثاني عشر ص ٢٩١ - دمشق - بيروت - ١٩٨٥.

(٨) سورة هود: ٤٠.

«وكان ذلك من أعجب الأشياء أن يفور الماء من مستوقد النيران ولا تنافي بين قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾[1]؛ إذ يمكن أن يراد بالأرض أماكن التنانير، والتفجير غير الفوران فحصل الفوران للتنور والتفجير للأرض»[2].

ويفور الماء عادة عندما تزداد حرارته، كأن الآية الكريمة ربطت بين غضب الله الذي اشتد عليهم وبين غضب الأرض حتى فار منها الماء، وتفجرت عيوناً ليطغى عليهم الماء فجاء التعبير القرآني متوافقاً ومتناسقاً مع حقيقة أعمالهم وأفعالهم «ولو قال: **وفجرنا عيون الأرض** لزالت الروعة؛ لأن لفظ الآية يشعر بأن الأرض كلها صارت عيوناً للمبالغة في ذلك»[3].

حوار نوح مع ابنه:

أمر الله نوحاً أن يحمل في الفلك من كلِ زوجين إثنين وأهله ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[4].

وكان حمله للأزواج «لبقاء أصل النسل»[5] وهذه إشارة ودلالة إلى أن الطوفان سيتعدى الكفار إلى الكائنات الأخرى.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾[6]، عن أبيه وعن السفينة، أو عن دين أبيه[7]، والقولان محتملان ولا تناقض بينهما؛ لأنه ما ركب السفينة يومها إلا مؤمن، ولما كان الابن من الكافرين كان في معزل عن الأب وعن السفينة، «وكان هذا النداء قبل أن يستيقن القوم بالغرق وقبل رؤية اليأس، بل كان أول ما فار التنور وظهرت

---

(١) سورة القمر: ١٢.

(٢) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - الجزء الخامس - ص ٢٢٢.

(٣) الزقة: د. عبد الرحيم أحمد - القرآن الكريم المعجزة الخالدة - بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود بمدينة السلام - بغداد ٢١-٢٧ رمضان - ١٤١٠ هـ ١٦-٢١ نيسان - ١٩٩٠م - ص ٢٤٩ - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(٤) سورة هود: ٤٠.

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ٢٤.

(٦) سورة هود: ٤٢.

(٧) انظر النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الأول - ص٥٦٨ الطبعة الأولى ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

العلامة لنوح»[1]. ومع ذلك أبى الابن الركوب وان «إعراضه عن الركوب يجعله في صف الكفار؛ إذ لا يكون إعراضه إلا أثراً لتكذيبه بوقوع الطوفان؛ فيقول نوح - عليه السلام - له: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾[2] كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير. وقد زاد ابنه دلالة على عدم تصديقه بالطوفان قوله منهكماً: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾[3] [4].

لقد ظهرت بوادر الهلاك والعذاب وما زال الابن يجادل ويحاور ويعتقد أنه باستطاعته النجاة، و «ظن ابن نوح أن المطر على العادة»[5]. خابت ظنونه فأعلمه والده أن ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[6]، «وذلك أنه لما جعل عاصماً من الماء قال: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصمٌ واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة»[7]. وفجأة ينقطع الحوار ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[8].

أما السفينة فقد جرت على ﴿مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[9]. والمعلوم أن مثل هذه الأمواج لا تحدث إلا عند اضطراب الحالة الجوية والبحرية؛ وهذا يعني أن هذه الأحوال رافقت الطوفان وهذا أبلغ في العذاب والنكال.

نهاية الطوفان:

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[10].

---

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ٢٧.

(٢) سورة هود: ٤٢.

(٣) سورة هود: ٤٣.

(٤) ابن عاشور - التحرير والتنوير - الجزء الثاني عشر - ص ٧٦.

(٥) ابن عطية: أبو محمد عبد الحق - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الجزء السابع - ص٣٠٣ - الطبعة الأولى الدوحة ١٩٨٤.
تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم.

(٦) سورة هود: ٤٣.

(٧) النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الأول - ص٥٦٨-٥٦٩.

(٨) سورة هود: ٤٣.

(٩) سورة هود: ٤٢.

(١٠) سورة هود: ٤٤.

«روي أن إعرابيا سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين»[١].

«ولما سمع ابن المقفع[٢] هذه الآية - وكان قد أعد نفسه لمعارضة القرآن - قال: هذا والله ما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، وكسر أقلامه ومنع نفسه»[٣].

ويلاحظ أن الله قدم نداء الأرض على السماء «لكون ابتداء الطوفان منها»[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ و﴿أَقْلِعِى﴾ من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السماوات والأرض وهذه الاجرام العظام[٥] منقادة لتكوينه فيها ما شاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته، وثوابه وعقابه، وقدرته على كل مقدور، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكلما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء»[٦].

﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾[٧]؛ أي «نقص وذهب في الأرض»[٨].

وقد جاءت الألفاظ القرآنية متناسقة ومترابطة بكلمات موجزة ومعبرة تصف الطوفان وأحداثه وكأنه رأي العين.

«فلو نظرنا في كلمة **ابلعي**[٩]، نجد أنه لا يقوم غيرها في أداء المعنى المطلوب؛

---

(١) ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الجزء السابع -ص ٣٠٥.

(٢) ابن المقفع: (١٤٢هـ). هو عبد الله بن المقفع بن المبارك البغدادي الكاتب أصله. من الفرس، مجوسي ثم أسلم وتوفي قتيلاً بالبصرة سنة ١٤٢هـ.له من الكتب (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) و(ترجمة كليله ودمنه من الفارسي إلى العربي) وكتب أخرى.
انظر: اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين - الجزء الخامس - ص ٤٣٨.

(٣) الزقة - القرآن الكريم المعجزة الخالدة - بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود بمدينة السلام - بغداد ص ٩٥.

(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٦٣٧.

(٥) الاجرام السماوية: مثل النجوم والكواكب والنيازك والشهب.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٤٤٢».

(٦) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ٣٨٢.

(٧) سورة هود: ٤٤.

(٨) انظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ص ١٨.

(٩) ابلعي: (والبلع يشعر بالسرعة والعمق فكلمة ابلعي إذن تعني خذي هذا الماء الغامر فوق الأرض إلى الأعماق السحيقة في باطن الأرض، هناك حيث تنشأ - كما يقول علماء الجيولوجيا - بحار ومحيطات وشقوق طويلة وتصدعات هائلة تتسع لكل ما فوق الأرض من ماء لو نزل إلى جوفها؛ =

إذ يريد منها سرعة إخفاء الماء، ولا يقوم غير هذا اللفظ في تصويره سرعة إخفاء الماء، ولا يتحقق ذلك ما لم تؤمر السماء بالإقلاع عن المطر، كذلك ولو لم تؤمر السماء بالكف لما حصل المطلوب، ثم انظر إلى تصوير امتثال الأرض والسماء بقوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ بسرعة استجابة الأرض والسماء لأمر الله»[1].

لقد بلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء واختفى الماء، واستوت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[2].

وقد اختلف المفسرون والعلماء في المراد بالجودي على أقوال أشهرها أنه «جبل بالموصل»[3].

=ومن المعروف أن ماء الطوفان لو ظل فوق الأرض لأغرقها، ولأهلك الحرث والزرع ولقتل الإنسان والحيوان والنبات ولأنهى الحياة على وجه الأرض، ولو أن الماء ظل لكي ينزل إلى جوف الأرض بالطريقة العادية طريقة الامتصاص التدريجي كما تمتص الأرض ماء المطر الطبيعي الذي نراه كل عام، أو كما تذوب الثلوج رويداً رويدا، وتذهب إلى الأرض - لو ظل ماء الطوفان كذلك لما استمرت الحياة. إذن كان لا بد أن يذهب الماء الغامر سريعاً كما جاء سريعاً مفاجئاً. . .).

«أبو عودة - شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية - ص ١٨٣».

(١) الزقة - القرآن الكريم المعجزة الخالدة - بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني - المعقود بمدينة السلام بغداد - ص٢٩٥.

(٢) سورة هود: ٤٤.

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن الكريم - الجزء الثاني - ص ٤٤٦.
وانظر: - الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ٢٨.
- النسفي- مدارك التنزيل وحقائق التأويل- الجزء الأول - ص ٥٦٩
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع - ٢٨.
- الجلالين - تفسير الجلالين - ص ٢٩٧.
ويقال: بأن الجبل الذي رست عليه السفينة هو جبل «أراراط».
انظر: «ابن عاشور - التحرير والتنوير - الجزء الثاني - ص ٧٩».
- «الطباطبائي - محمد حسين - الميزان في تفسير القرآن - الجزء العاشر - ص٢١٠- الطبعة الثانية ١٩٧١ - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت».
- «الزحيلي: د. وهبة - القصة في القرآن «هداية وبيان». - ص ٤٦ - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢ دار الخير - بيروت».
- «علي: د. فاضل عبد الواحد - الطوفان في المراجع المسمارية - ص ١٨٩، طبع على نفقة رئاسة جامعة بغداد».
وحديثاً نشر أن «جماعة من رجال العلم في أمريكا بهداية من بعض رجال الجند التركي عثروا في =

رست السفينة على الجودي، ولم يبق على الأرض من الكافرين ديارٌ عندها ﴿قِيلَ يَنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾[1].

وعن الكسائي[2]: «ويبشر بالسلامة إيذاناً بمغفرة ربه له ورحمته إياه، وبإقامته في الأرض آمناً من الآفات الدنيوية؛ إذ كانت الأرض قد خلت مما ينتفع به من النبات والحيوان فكان ذلك تبشيراً له بعودة الأرض إلى أحسن حالها»[3].

وقد جاء السياق القرآني هنا خالياً من لفظ الجلالة الذي فعل كل هذه الأمور وجرت تحت أمره وقدرته. «فلم يصرح جل وعلا بمن غاض الماء، ولا بمن قضى الأمر وسوى السفينة، وقال: **(بعدا)**، كما لم يصرح سبحانه بقائل: **(يا أرض ويا سماء)** في صدر الآية، سلوكاً في كل واحدٍ من ذلك لسبيل الكناية؛ لأن تلك الأمور العظام لا تصدر إلا من ذي قدرة لا يكتنه[4]، قهار لا يغالب، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائلاً **(يا أرض ويا سماء)** ولا غائض ما غاض، ولا قاضي مثل ذلك الأمر الهائل، أو يكون تسوية السفينة وإقرارها بتسوية غيره»[5].

=بعض قلل جبال أراراط في شرقي تركيا في مرتفع ١٤٠٠ قدم على قطعات أخشاب يعطي القياس أنها قطعات متلاشية من سفينة قديمة وقعت هناك تبلغ هذه القطعات من القدم (٢٥٠٠) قبل الميلاد».

«الطباطبائي – الميزان في تفسير القرآن – الجزء العاشر – ص ٢٧٠.

والمقال: (عن جريدة كيهان المنشورة أول سبتمبر ١٩٦٢ – المطابق لغرة ربيع الأول ١٣٨٢ الهجرية والقمرية عن لندن اسوشتبدبرس».

(١) سورة هود: ٤٨.

(٢) الكسائي: (ت ١٨٩ هـ).

هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، مولى بني أسد أبو الحسن؛ المعروف بالكسائي ثم البغدادي الكوفي، أحد أئمة النحو – له من الكتب: (اختلاف العدد) و (قصص الأنبياء) و (وكتاب العدد) و (كتاب القراءات) و (المصادر) و (النوادر الأكبر) و (النوادر الأصغر) و (النوادر الأوسط) و (الهجاء) و (معاني القرآن) وكتب أخرى. وقد توفي بالري.

انظر: البغدادي – هدية العارفين – الجزء الخامس – ص ٦٦٨.

(٣) أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – الجزء الخامس – ص ٢٣١.

(٤) يكتنه: كنه الشيء: نهايتهُ. يقال أعرفهُ كُنْيَةَ المعرفة. وقولهم: لا يكْتَنُهُهُ الوصفَ، بمعنى لا يبلغ كُنْهَه، أي قدره وغايته. انظر: «الجوهري – الجزء السادس – ص ٢٢٤٧.

(٥) رضا – تفسير المنار – الجزء الثاني عشر – ص ٩٥.

انظر: النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل – الجزء الأول – ص ٥٧٠.

لقد كان الزمن الذي قضاه نوح بين قومه طويلاً ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1]، ولكن لما أراد الله عذابهم جاء السياق القرآني بكلمات يتحد فيها القارئ سرعة العذاب، وتنتهي القصة الطويلة بقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[2]. بكلمتين عن **ألف سنة إلا خمسين عاماً**، «إشارة إلى جميع القصة بعث الماء وإهلاك الأمم وإنجاء أهل السفينة»[3].

هل الطوفان كان عاماً؟

ذهب عدد من المفسرين والعلماء إلى أن الطوفان كان عاماً لجميع الأرض سهلها وجبلها[4].

ويستأنس لهذا القول بالأدلة التالية:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[5].

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[6]. لبقاء أصل النسل ولو لم يكن عاماً لما كان هناك حاجة في حمل هذه الأزواج.

ثم إن العلماء وجدوا بقايا كائنات حية لا تعيش إلا في الماء في أعالي جبال بعيدة عن المكان الذي سكنه قوم نوح[7].

كما أن الكلام عن ذرية نوح في عدد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[8] قد يكون دليلاً على عموم الطوفان بإهلاك الباقين من أهل الأرض.

وذهب عدد من المفسرين والعلماء إلى أن الطوفان كان خاصاً ولم يعم

---

(١) سورة العنكبوت: ١٤.

(٢) سورة هود: ٤٤

(٣) ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الجزء السابع - ص ٣٠٦.

(٤) انظر: الطباطبائي - الميزان في تفسير القرآن - الجزء العاشر - ص ٢٦٦.
ابن كثير - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي - قصص الأنبياء - ص ٨٢ - الطبعة الثانية ١٤٠٧ - ١٩٨٧م - المكتبة الثقافية.

(٥) سورة نوح: ٢٦.

(٦) سورة هود: ٤٠.

(٧) انظر: الدرة - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - الجزء الثاني عشر - ص ٢٩٧.

(٨) سورة الصافات: ٧٧.

الأرض[١]، وأن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٢] ليس نصاً في أن المراد بالأرض هذه الكرة كلها، فإنه قد جرت العادة من كلام الأنبياء والأقوام أن يذكروا الأرض ويراد بها أرضهم ووطنهم؛ كقوله تعالى عن خطاب فرعون لموسى وهارون: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]، يعني أرض مصر، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾[٤]، والمراد بها مكة، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[٥] والمراد الأرض التي كانت وطنهم[٦].

ثم أن ظواهر الآيات بمعونة القرائن الموروثة عن أهل الكتاب تدل على أنه لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح إلا قومه، وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان[٧].

أما بالنسبة لوجود بقايا لكائنات بحرية في أعالي الجبال التي سكنها قوم نوح فليس دليلاً على عموم الطوفان لجميع الأرض، فربما تكون هذه البقايا لكائنات بحرية جاءت من طوفانات أخرى حدثت في مناطق متعددة من الأرض في أزمان متعاقبة؛ «فقد حدث طوفانات عديدة في أزمنة غير سحيقة في عهد البشرية؛ كما حدث في أرض بابل وفي الهند وفي الصين وفي الأمريكتين. . . وقد ثبت في البحث والمشاهدة في أن العالم انتابه طوفانات عالمية كثيرة. . .»[٨].

وإذا ثبت أنه لم يكن يومها على الأرض إلا قوم نوح فليس لله حاجة أن يعم الطوفان جميع الأرض، والمعلوم من الأمم السابقة أن الله تعالى كان إذا أنزل عذابه وبأسه بقوم يكون خاصاً بهم كما حصل لقوم لوط عليه السلام.

---

(١) انظر: الزحيلي - القصة في القرآن هداية وبيان - ص ٤٧. حيث كان الطوفان خاصاً ببلاد الشام والعراق: البلاد التي سكنوها.

(٢) سورة نوح: ٢٦.

(٣) سورة يونس: ٧٨.

(٤) سورة الإسراء: ٧٦.

(٥) سورة الإسراء: ٤.

(٦) انظر: رضا - المنار - الجزء الثاني عشر - ص١٠٦.

(٧) انظر: المصدر السابق - الجزء الثاني عشر - ص ١٠٦.

(٨) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٥٠٦-٥٠٧.

وأما حمله - عليه السلام - من كل زوجين اثنين لبقاء أصل النسل فليس دليلاً كذلك على عموم الطوفان، فقد تكون الكائنات الأخرى موجودة في مناطق متعددة من الأرض لم يعمها الطوفان، ولكن حتى تعود الحياة إلى طبيعتها ولا تنقرض في منطقة الطوفان أمر الله نوحاً أن يحمل هذه الأزواج.

أما الآيات الكريمة التي تحدثت عن ذرية نوح كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[1]، فليس دليلاً على عموم الطوفان، فربما لم يكن على الأرض يوم بعث الله نوحاً سوى قومه؛ فيكون من ركب في السفينة هم أصل الذرية، لأنه لا يوجد على الأرض يومها غيرهم.

وعليه، فلعل الراجح أن الطوفان كان خاصاً لجزء من الأرض نظراً لقوة الأدلة التي تخصص الطوفان ولا تعممه والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الصافات: ٧٧.

المبحث الثاني
الماء في قصة صالح عليه الصلاة والسلام

تمهيد

أرسل الله صالحاً - عليه السلام - إلى ثمود، وثمود هم قبيلة مشهورة نسبة إلى ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح. مساكنها الحجر بين الحجاز والشام، وكانوا بعد عاد يعبدون الأصنام، وهم من العرب(١).

برز الأمر المائي واضحاً في قصة صالح مع قومه، فالآية التي كانت دليلاً على صدق دعوته ومقالته هي الناقة التي قسم الماء بينها وبينهم. قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾(٢).

وفي ذكر القرآن الكريم لجنّاتهم وعيونهم وزرعهم لدليل آخر على بروز الحدث المائي في هذه القصة. قال تعالى على لسان صالح: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾(٣).

سبب قسمة الماء:

أما سبب قسمة الماء بينهم وبين الناقة هو: أنّ الناقة كانت عظيمة، وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد الماء، فشق عليهم ذلك، فجعل الماء بينهم. يوماً لها ويوماً لهم(٤).

ويبدو أن الماء الذي قسّم بينهم كان من عين خاصة للشرب وليس لغايات أخرى

---

(١) انظر: الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء الثاني - ص١٥٧- ١٥٨.
- ابن كثير - البداية والنهاية - الجزء الأول - ص١٣٠.
- ابن كثير - قصص الأنبياء - ص١٢٢.

(٢) سورة الشعراء: ١٥٥.

(٣) سورة الشعراء: ١٤٦- ١٤٨.

(٤) انظر: الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء التاسع والعشرون - ص٥٤.

كالزراعة مثلاً، ولعل الذي يرجح ذلك أنه كان عند ثمود عيون أخرى، والذي يدل على ذلك قول صالح - عليه السلام- لقومه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾[1].

فالسياق القرآني واضح وصريح في ذكره للعيون التي كانت عند ثمود، وهذا يعني أنّ ماءهم كان قسمين: قسماً للشرب وقسماً آخر للزراعة. وكان كثيراً، ولكن ربما كان بعيداً عن مساكنهم لدرجة أنه يشق عليهم الورود عليه وجلب الماء منه، وأن الماء الذي كان قسمة بينهم وبين الناقة قريب منهم.

«وقد شاهدوا أنّ الماء الذي كان شرباً لكل أولئك الأقوام في أحد اليومين كان شرباً لتلك الناقة الواحدة في اليوم التالي وذلك أيضاً معجزة قاهرة»[2]. وفي إضافة الناقة إلى الله تعالى ذِكْره يجعلها ممتازة دون الإبل بما يرى من أمرها وأكلها وشربها[3].

الإعتداء على الناقة:

وقد حذرهم الله تعالى من الاعتداء عليها بقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4]، وهذا نهي «عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة في الأمر...»[5].

فرغم الدلائل التي ظهرت من الناقة، ورغم التحذير من الاعتداء عليها إلا أنهم ما رعوا أمر الله فيها، فقام أشقاهم بالاعتداء عليها وقتلها ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[6] عقرها واحد وأسند الله الفعل إلى جميعهم قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾[7]؛ «لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم»[8].

---

(١) سورة الشعراء: ١٤٦- ١٤٨.
(٢) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الرابع عشر - ص ١٦٦.
(٣) انظر: رضا - تفسير المنار - الجزء الثاني عشر - ص ١٢٤.
(٤) سورة الشعراء: ١٥٦.
(٥) الدرة - تفسير القرآن الكريم إعرابه وبيانه - الجزء الثاني عشر - ص٣٢٦.
(٦) سور الشمس: ١٢.
(٧) سورة الأعراف: ٧٧.
(٨) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص١١٩.

وكان عاقبة اعتدائهم أن أخذتهم الرجفة ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[1]؛ «أي صرعى لا أرواح فيهم»[2]، أماتوا الناقة فأماتهم الله جميعاً.

---

(١) سورة الأعراف: ٧٨.

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثاني - ص٢٢٩.

المبحث الثالث
الماء في قصة موسى وفرعون

تمهيد

من أكثر القصص القرآنية تكراراً قصة موسى - عليه السلام - فقد وردت أحيانا مبسوطة وأخرى مختصرة.

ويمكن تقسيم الأحداث التي وقعت مع موسى إلى ثلاثة أحداث رئيسة:

الحدث الأول: بين موسى وفرعون، ويبدأ من ولادة موسى - عليه السلام - إلى نجاته وغرق فرعون وجنده.

الحدث الثاني: بين موسى وبني إسرائيل.

الحدث الثالث: بين موسى والعبد الصالح (الخضر عليه السلام).

وسيتم في هذا المبحث التعرض للأحداث المتعلقة بالحدثين الأول والثاني والذين ورد فيهما ذكر الماء، أما الحدث الثالث فقد تم تخصيص مبحث مستقل له بعد هذا المبحث بمشيئة الله تعالى. والملفت للنظر أن قصة موسى بأقسامها الثلاثة تتعلق أحداثها بالماء.

وجدير بالذكر أن اسم موسى تكرر في القرآن الكريم مائة وستا وثلاثين مرة، وهذا لم يأت صدفة أو عبثا، حتى اسم موسى له علاقة بالماء؛ فموسى اسم «معرب، وهو مُو أي ماء، وسا: أي شجر؛ لأن التابوت الذي كان فيه وجد بين الماء والشجر فسمي به، وقيل هو بالعبرانية موسى ومعناه الجذب؛ لأنه جذب من الماء...»[1]، وهذا تأكيد على بروز الحدث المائي في قصة موسى.

بدأ الحدث المائي في قصة موسى منذ ولادته، فأم موسى حينما خافت عليه من

(١) ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص٢٢٤.

فرعون وجنده أوحى الله إليها أن تلقيه في اليم، ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾[1]
وشاءت الأقدار الإلهية والرعاية الربانية أن يلتقطه آل فرعون ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[2].

أنجى الله تعالى موسى من اليم وهو طفل رضيع، وأنجاه منه مرة أخرى وهو رسول مطيع، وفي المقابل أغرق الله تعالى وأهلك فرعون وجنده فيه. وبورود موسى- عليه السلام - ماء مدين يبدأ فصل جديد لهذه القصة؛ حيث التقى بشعيب - عليه السلام- وطمأنه قائلاً له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وفي إرسال الطوفان على قوم فرعون دلالة أخرى على بروز الحدث المائي مع موسى، ومن الجوانب المائية الأخرى التي ظهرت مع موسى: ضربه البحر بالعصا ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، وضربه الحجر بالعصا أيضا ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[5].

فرعون يبحث عن موسى:

أصدر فرعون أمراً بذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[6]؛ «وذلك لأن الكهنة[7] قالوا له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه، أو قال المنجمون[8] له ذلك، أو رأى رؤيا فعبّرت كذلك»[9].

وقد تصرف فرعون بجهل عندما بدأ يقتل ظناً منه أن أمر المولود سينتهي

---

(١) سورة القصص: ٧.
(٢) سورة القصص: ٨.
(٣) سورة القصص: ٢٥.
(٤) سورة الشعراء: ٦٣.
(٥) سورة البقرة: ٦٠.
(٦) سورة القصص: ٤.
(٧) الكاهن: «الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار». «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثالث عشر- ص ٣٦٣».
(٨) المنجّم: والمتنجّم: الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها. ويدعي بذلك معرفة الغيب انظر: «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثاني عشر - ص٥٦٨-٥٦٩».
(٩) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص ١٦٥.

وينقضي، قال الزجاج: «العجب من حمقه لم يدر أن الكاهن إن صدق فالقتل لا ينفع وإن كذب فلا معنى للقتل»(١).

أم موسى تلقي موسى في اليم:

ولدت أم موسى مولودها فاحتارت في أمرها فأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ﴾(٢) والإيحاء كان «بإلهام أو رؤيا»(٣).

واليم الذي ألقت إبنها فيه هو نيل مصر حيث كان يشق مدينة فرعون(٤).

لقد كانت أم موسى بين خيارين كلاهما مر فإبقاؤه معها يجعله في خطر، وإلقاؤه في عرض البحر أخطر، ولكن الله يطمئنها ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾(٥)، وبين الخوف والحزن فرق؛ فـ«الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غم يلحق لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا»(٦).

وهذا يعني أن خوف أم موسى سبق حزنها، فخوفها كان قبل أن تلقيه في البحر فلما ألقته حزنت عليه.

الأم تريد ابنها فقط، والله تعالى يعدها برده إليها، وزيادة على ذلك يبشرها بأنه سيكون رسولاً. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٧).

وفي هذه الآية الكريمة: «أمران ونهيان وخبران وبشارتان»(٨).

أما الأمران: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾، ﴿فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ﴾.

---

(١) المرجع السابق - الجزء الثالث عشر - ص١٦٥.
(٢) سورة القصص: ٧.
(٣) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص١٨٧.
وانظر: الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص١٩٨.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص١٦٦.
(٤) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - الجزء السابع - ص١٠٥.
(٥) سورة القصص: ٧.
(٦) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص٣٨٠.
(٧) سورة القصص: ٧.
(٨) النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني ص ٢٥٤.

وأما النهيان: ﴿وَلَا تَخَافِي * وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾.

وأما الخبران: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾، ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾.

وأما البشارتان: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ * وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

نجاة موسى وهو طفل من اليم:

فرعون يبحث عن موسى ليقتله ومياه البحر تلقيه بالساحل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾[1]، ولكن لما وصله بهذه الطريقة تغير الحال وتبدل الأمر، فلا يقتله ولا يؤذيه؛ بل يحافظ عليه ويرعاه في قصره وعلى فراشه، ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾[2]

إن الأمور تجري بأمر الله تعالى لا بأمر فرعون، وليعلم فرعون ومن شاكله بأن الله لا يحارب ولا يغالب. ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[3].

ورود موسى ماء مدين:

يدخل موسى المدينة[4] يوما فيجد رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته والآخر من جماعة فرعون فينصر الذي من شيعته على الذي من عدوه فيقضي عليه، ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[5]، ولولا عناية الله به لقتل آخر. في هذه الأثناء يأتيه ﴿رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[6]. لقد اشتدت الأمور على موسى وعادوا يبحثون عنه من جديد، وهذه المرة يبحثون عنه وهو معروف لديهم، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]، خرج يبحث عن مكان يأمن فيه من كيد فرعون وملئه وقال: ﴿عَسَىٰ

---

(١) سورة طه: ٣٩.
(٢) سورة القصص: ٨.
(٣) سورة القصص: ٦
(٤) المدينة التي دخلها موسى خائفاً هي: مدينة مصر الكبرى التي كان يسكنها فرعون.
انظر: الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص٢٠٢.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص١٧٢.
(٥) سورة القصص: ١٨.
(٦) سورة القصص: ٢٠.
(٧) سورة القصص: ٢١.

﴿رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، فالتجأ إلى قرية و«لم تكن هذه القرية داخلة تحت سلطان فرعون ولهذا خرج إليها»[2]، وشاءت إرادة الله تعالى أن يصل إلى ماء مدين أولا وهو: «بئر كانوا يسقون منها»[3]، ووجد على هذه الماء ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[4] مواشيهم ومن دونهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾[5]؛ أي «في مكان أسفل من مكانهم»[6]، امرأتين؛ تحبسان غنمهما عن الماء[7]، فلما رأى ذلك موسى عليه السلام سألهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾[8]؛ أي «ما شأنكما»[9]، فأجابتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[10]؛ أي «لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء»[11].

وهذه دلالة على ضعفهما، فمزاحمة الرجال على الماء بحاجة إلى قوة ومثل هذا الأمر لا تفعله النساء، ثم أن وقوفهما بأغنامهما جانباً فيه دلالة أخرى على نزاهتهما ومروءتهما؛ ولذلك عللتا وقوفهما جانباً: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[12]؛ «أي كبير السن لا يستطيع أن يخرج إلى السقي فيرسلهما اضطراراً»[13]، فقام موسى بمساعدتهما ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[14].

---

(١) سورة القصص: ٢٢.
(٢) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ٢٠٦.
(٣) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص١٩٠.
وانظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم: الجزء الأول - ٣٨٣.
- الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص٣٨٧.
- الطوسي - تفسير التبيان - الجزء الثامن - ص١٤١.
(٤) سورة القصص: ٢٣.
(٥) سورة القصص: ٢٣.
(٦) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص١٩٠.
وانظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص٣٨٧.
- النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص٢٦٠.
(٧) انظر الطوسي - تفسير التبيان - الجزء الثامن - ١٤١.
(٨) القصص: ٢٣.
(٩) الزمخشري - الكشاف -الجزء الثالث - ص٣٨٧
(١٠) سورة القصص: ٢٣.
(١١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص٣٨٣.
(١٢) سورة القصص: ٢٣.
(١٣) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني: ٢٤
(١٤) سورة القصص: ٢٤.

بعد هذه المساعدة التي قدمها موسى لابنتي شعيب يصل موسى إلى منزل شعيب ويقص عليه قصته، فيطمئنه قائلاً: ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وبوصول موسى إلى شعيب يكون قد مر بحادثتين رئيستين نجا فيهما من القتل الأولى: إلقاؤه في اليم وخروجه منه سالما، والثانية: وروده ماء مدين.

والملاحظ أن بين الحادثتين تشابها. فالعدو واحد في كليهما.

وعندما خافت أمه عليه من القتل ألقته في الماء، وعندما قتل رجلا من آل فرعون وأرادوا قتله. أول ما ورد ماء مدين، فبروز الحدث المائي فيهما واضح.

وفي الحادثة الأولى: وعند إلقاء موسى في اليم أوحى الله لأمه: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾[2]. وفي الحادثة الثانية: وعندما وصل إلى شعيب قال له: ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وفي الحادثة الأولى: وبعد التقاطه من ساحل اليم لم يعد إلى بيته؛ بل تربى في بيت فرعون. وفي الحادثة الثانية أيضا: عاش فتره أخرى في بيت شعيب.

وفي هذا أكبر دليل على أن الأمور تجري بعناية ربانية وفق ما أرادها الله تعالى، وأن أمر الله بالغ شاء الناس أم لم يشاؤوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[4].

موسى يدعو فرعون إلى الإسلام:

بعد أن قضى موسى عند شعيب أحسن الأجلين[5]، يرجع موسى إلى فرعون، ولكن هذه المرة يرجع حاملاً معه معجزته الرئيسة التي بها ضرب البحر فانفلق، وبها ضرب الحجر ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ﴾[6].

أمر الله موسى وهارون أن يذهبا إلى فرعون يدعوانه إلى الإسلام، وأن يرسل

---

(١) سورة القصص: ٢٥.

(٢) سورة القصص: ٧.

(٣) سورة القصص: ٢٥.

(٤) سورة الطلاق: ٣.

(٥) قضى موسى عند شعيب عليه السلام أكملها وأوفاهما، وهو عشرة أعوام.
انظر: «الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص٢١١».
- «القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص٨٤».

(٦) سورة الأعراف: ١٦٠.

معهما بني إسرائيل. ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[١].

رد فرعون رداً سلبياً ورفض الدعوة، وأقام موسى عليه الحجة، فأمر الله موسى أن يسري بعباده متجها نحو البحر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[٢]، وأخبره الله تعالى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[٣].

انفلاق البحر وغرق فرعون وجنده:

لما أراد الله تعالى أن ينجي موسى من كيد فرعون، أوحى الله لأمه أن تلقيه في اليم، ولما أراد أن ينجيه مرة أخرى من كيد فرعون أوحى الله إليه أن يتوجه وقومه نحو البحر.

لحق فرعون وجنده موسى وقومه، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[٤]؛ أي «تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر»[٥]. وأصبح موسى وقومه بين خطرين؛ البحر من أمامه، والعدو من خلفه. كما كان بين خطرين متشابهين من قبل عندما ولدته أمه؛ العدو نفسه يبحث عنه، والبحر أمامه. وكان البحر في الحالتين وسيلة لنجاة موسى.

يصل موسى وقومه إلى البحر ويقترب منهم العدو عندها قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[٦]، فيجيبهم موسى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[٧] هذا هو إيمان

---

(١) سورة طه: ٤٣ - ٤٨.
(٢) سورة طه: ٧٧.
(٣) سورة الشعراء: ٥٢.
(٤) سورة الشعراء: ٦١.
(٥) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ١٥٦.
انظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص٧٢.
(٦) سورة الشعراء: ٦١.
(٧) سورة الشعراء: ٦٢.

الرسل والأنبياء، في أشد حالات الخطر يكونون في أعلى درجات الإيمان والرجاء بالله، فسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- عندما كان هو وأبو بكر الصديق في الغار، وكفار مكة يقفون على باب الغار يطمئن أبا بكر ويقول له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(١)].

بعد أن يبلغ الخوف ذروته وتشتد الأمور على موسى وقومه، يأمر الله عبده موسى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(٢)].

والبحر الذي ضربه موسى هو: «بحر القلزم المسمى البحر الأحمر»[(٣)]، ولما ضربه موسى أصبح الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم[(٤)].

إن عصي الدنيا بأسرها لو ضربنا بها البحر ما فلقته، ولكن لما أراد الله أن يفلقه أوحى الله إلى موسى أن يضربه بعصاه، «وإنما أمر عليه السلام بالضرب فضرب وترتب الإنفلاق عليه إعظاماً لموسى - عليه السلام - بجعل هذه الآية العظيمة مترتبة على فعله ولو شاء الله عز وجل لفلقه بدون ضربه بالعصا»[(٥)].

انفلق البحر فطمأن الله موسى - عليه السلام - قائلاً له: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[(٦)]؛ أي «لا تخاف دركاً من فرعون وجنوده، ولا تخشى غرقا من البحر»[(٧)].

أما فرعون وجنده فأصبحوا على مقربة من البحر. ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾[(٨)]؛ أي

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) سورة الشعراء: ٦٣.

(٣) ابن عاشور - التحرير والتنوير - الجزء الخامس والعشرون - ص٣٠٠.
وانظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص٣٠٨.
- الألوسي - روح المعاني - الجزء التاسع عشر - ص٨٥.
- الزحيلي - القصة في القرآن (هداية وبيان) - ص٦٧.

(٤) انظر: الشوكاني - الجزء الرابع - ص ١٢٦ - ١٢٧
- الألوسي - روح المعاني - الجزء التاسع عشر ص٨٦.

(٥) الألوسي - روح المعاني - الجزء التاسع عشر - ص ٨٦.

(٦) سورة طه: ٧٧.

(٧) ابن عطية - الجزء السابع - ص٢١٤.
وانظر الجزائري: أبو بكر جابر - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - المجلد الثالث - ص٣٦٥ - الطبعة الأولى ١٩٩٥ - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

(٨) سورة الشعراء: ٦٤.

«قربناهم إلى البحر»[1].

فهم يقتربون بأمر الله وقدره، والله هو الذي مكر بهم واستزلهم إلى البحر.

انفلق البحر لموسى وقومه لينجو من خلاله وليغرق فرعون وجنده في مائه، وأمر موسى أن يترك البحر على حاله بعد خروجه منه. ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[2] **رهواً:** «ساكنا منفرجاً حتى يدخله القبط»[3].

بقي البحر مفتوحاً حتى خرج منه موسى وقومه جميعاً واكتمل دخول فرعون وجنده، وكادوا أن يخرجوا من الجانب الآخر، انطبق البحر[4] عليهم. قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾[5]. أي «ناله ووصله وألجمه»[6]، عندها صاح فرعون قائلاً: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[7]، ولكن أنى تقبل توبته وقد أضحى يلتقط آخر أنفاسه ويعاني سكرات الموت ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾[8] «أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك»[9].

وقد جاء التعبير القرآني متناسباً مع من ادعى الألوهية والربوبية وغره جنده بقوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾[10]. «والتعبير عن فرعون وجنوده بالآخرين للتحقير»[11]، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾[12]، «من الكلام الفخم الذي دل على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه. شبههم استحقاراً لهم

---

(١) انظر القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص٧٣.
(٢) سورة الدخان: ٢٤.
(٣) الجلالين - تفسير الجلالين - ص ٦٥٧.
(٤) انظر الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص٥٩٨.
(٥) سورة يونس: ٩٠.
(٦) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٥٩٨.
(٧) سورة يونس: ٩٠.
(٨) سورة يونس: ٩١.
(٩) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ٣٥٤
(١٠) سورة الشعراء: ٦٤.
(١١) الألوسي - روح المعاني - الجزء التاسع عشر - ص٨٩.
(١٢) سورة القصص: ٤٠.

واستقلالاً لعددهم، وإن كانوا الكثير والجم الغفير، بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر»[1]. كل هذه الأحوال جعلت فرعون يعترف بالحقيقة بأنه ما هو إلا عبارة عن فرد من جماعة بقوله تعالى على لسانه: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]. أنّى تقبل توبته وقد أصبح يلتقط آخر أنفاسه ويعاني سكرات الموت، وقد جاوز بطغيانه كل حد ومقدار: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

لقد نجّى الله تعالى فرعون ببدنه ليكون عبرة وآية لبني إسرائيل ولمن يأتي من بعده ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾[4].

الظاهر أن هذه الألفاظ قيلت بعد غرق فرعون. فقد روي أن بني إسرائيل بَعُدَ عنهم غرق فرعون وهلاكه لعظمته عندهم، وكذب بعضهم أن يكون فرعون يموت، فنجي على نجوة من الأرض حتى رآه جميعهم ميتاً[5]. وقد صام قوم موسى عليه السلام اليوم الذي نجوا فيه من فرعون وجنده وغرّق فيه فرعون وقومه. ورد في الصحيحين **(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟ فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ؛ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ)**[6].

وفي عام ١٨٩٨ م اكتشف علماء الآثار جثة فرعون محنطاً في (طيبا) في وادي الملوك وبعد نقل الجثة إلى القاهرة وفحصها وضعت في متحف في القاهرة بعد أن

---

(١) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٠١.

(٢) سورة يونس: ٩٠.

(٣) سورة يونس: ٩١.

(٤) سورة يونس: ٩٢.

(٥) انظر: ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الجزء السابع - ص ٢١٤.
- الدرة - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - الجزء الحادي عشر - ص ٢٠١.

(٦) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب: صيام يوم عاشوراء - حديث رقم: ٢٠٠٢ - ص ٣٧٨).
ورواه مسلم واللفظ له (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل صيام يوم عاشوراء - حديث رقم: ٢٦٥٣-١٢٨/٢٢ - الجزء الثامن - ص ٢٥١).

كشف الرأس والعنق وما زالت حتى الآن[١].

إن «هذه الحقيقة القرآنية عن نجاة جثة فرعون. . . وطرحها على الشاطئ لم ترد في رواية التوراة للأحداث، ولم يذكرها الإنجيل أساساً، ولم تكن معروفه لدى علماء التاريخ القديم»[٢]. وهذا دليل كبير وبرهان واضح على إعجاز القرآن ودقة أخباره.

الطوفان:

كان الطوفان من ضمن الآيات التي أعطاها الله لرسوله موسى - عليه السلام- ليقيم الحجة بها على فرعون وملئه. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ * فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[٣].

دعا موسى - عليه السلام - عليهم فاستجاب الله تعالى له، فأرسل عليهم الطوفان الدائم ليلًا ونهاراً، وكادوا أن يغرقوا، فنادوا فرعون واستغاثوا به، فأرسل إلى موسى -عليه السلام - وقال: إن كشفت عنا العذاب آمنا بك. فأزال الله عنهم الطوفان فخرج نبات لم يروا مثله قط، فقالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا[٤]. وهكذا ينقلهم الله تعالى من بلاء إلى آخر ومن فتنة إلى أخرى، ومن عذاب إلى رخاء لعلهم يرجعون عن غيهم.

فابتلاهم الله مرة أخرى بأن بعث عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم، ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف ففزعوا إليه ثانية[٥]. ومع كل هذه الآيات إلا أن حالهم ما تغيرت ولا تبدلت ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[٦].

---

(١) انظر: أبا السعود - د. رفيق - إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن. الطبعة الثانية - دار المعرفة -دمشق

(٢) الخالدي - البيان في إعجاز القرآن - ص٢٤٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٣.

(٤) انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص١٤١.

(٥) انظر: المرجع السابق - الجزء الثاني - ص١٤٢.
- البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص٣٥٦.

(٦) سورة الأعراف: ١٣٣.

انفجار الماء من الحجر:

لقد كانت العصا في يد موسى آيةً ظاهرةً ودليلاً بيناً على صدق دعوته أمام فرعون وأمام بني إسرائيل؛ فيها أبطل الله عمل السحرة، وفيها ضرب البحر فانفلق، وفيها ضرب الحجر فانفجر منه الماء.

إنّ الله تبارك وتعالى هو الذي يأمر، وهو الذي ينهي، وما العصا في يد موسى إلا أداة ووسيلة يضرب بها الحجر فيخرج الله منه الماء؛ ولذلك لم يضرب موسى البحر إلا بعد أن أمره الله تعالى، والله قادر على فلق البحر وإخراج الماء من الحجر دون ضرب بالعصا، ولكن كان كل ذلك إكراماً لموسى وتعظيماً لأمره.

طلب موسى - عليه السلام - السقيا لقومه من ربه تبارك وتعالى «لمّا عطشوا في التيه»[1]، فاستجاب الله له فأمره «أن يضرب حجراً معيناً بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدة أسباط بني إسرائيل، وكانوا يرجعون إلى اثنتي عشرة سبطاً بعدة أحفاد يعقوب - وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه - وأحفاد إسرائيل أو يعقوب هم المعروفون باسم الأسباط، والذين يرد ذكرهم مكرراً في القرآن، وهم رؤوس قبائل بني إسرائيل وكانوا ما يزالون يتبعون النظام القبلي...»[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾[3].

فانفجرت: الفاء متعلقة بمحذوف؛ أي «فضرب فانفجرت؛ أي سالت بكثرة»[4]، وفي سورة الأعراف ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾، «والانبجاس أضيق من الانفجار؛ لأنه يكون انبجاساً ثم يصير انفجاراً»[5].

---

(١) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص٦٤.
(٢) سيد قطب - في ظلال القرآن - الجزء الأول - ص٧٤.
(٣) سورة البقرة: ٦٠.
(٤) النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل- الجزء الأول - ص٥٥.
(٥) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص٢٨٥.

المبحث الرابع
الماء في قصة موسى والخضر عليهما السلام

تمهيد

وردت قصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - في سورة الكهف فقط. قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(١).

سبب لقاء موسى الخضر عليهما السلام:

قال ﷺ: (**بَيْنَما مُوسَى فِي مَلَإ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ قَالَ مُوسَى لَا فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنا خَضِرٌ فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ اللهُ لَهُ ٱلْحُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الْحوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي ٱلْبَحْرِ فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(٢)، فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتابِهِ**)(٣).

---

(١) سورة الكهف: ٦٥.

(٢) سورة الكهف: ٦٣ - ٦٤.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب العلم - باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر إلى الخضر. حديث رقم ٧٤ - ص٤٠).
ورواه مسلم (النووي شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضل الخضر - حديث رقم ٦١١٣ - ١/١٧٠ - الجزء الخامس عشر - ص١٣٣-١٣٨) بلفظ: (قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ قَالَ فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ. ثُمَّ فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَفَتَاهُ فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي ٱلْمِكْتَلِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ...).

(٤) سورة الكهف: ٦١. والحقب يطلق على المدة الطويلة وقيل الحقب ثمانون عامًا.

مجمع البحرين:

عزم موسى على لقاء الخضر ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾[1]. والفتى هنا: «يوشع بن نون»[2].

ومجمع البحرين: «ملتقاهما»[3]؛ أي المكان الذي سيلقى موسى فيه الخضر عليهما السلام.

واختلف في تعيين هذا المكان على أقوالٍ عدة[4]؛ وعلى كل الأحوال فإنّ معرفة مجمع البحرين أو عدمها لا يتوقف عليه أي فائدة. ولقد أجاد الفخر الرازي حين قال: «فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه»[5].

وتابع موسى والفتى سيرهما إلى الخضر حتى جاء وقت الغداء فطلب موسى من الفتى قائلًا: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[6]. فقال الفتى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ

انظر: «الحمصي - محمد حسن - قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي - ص٢٤٠ - دار الرشيد - دمشق - بيروت».

- الصابوني: محمد علي - مختصر تفسير ابن كثير - الجزء الثاني - ص٤٢٧ - دار القرآن الكريم - بيروت.

(١) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثالث - ص٣٦٨.

(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الحادي عشر - ص ٨.

(٣) منها: ملتقى بحر فارس والروم، وقيل عند طنجة (الأبيض مع الأطلنطي)، وقيل بحر الأردن (العقبة) وبحر القلزم (الأحمر)، وقيل عند باب المندب حيث يلتقي البحر الأحمر بالمحيط الهندي. وقيل غير ذلك.

أنظر: الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء الخامس عشر - ص ١٧٦.

- النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص٢١.
- الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ٧٠٣.
- ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص٩٢.
- الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٣٦٩.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الحادي عشر - ص ٨.
- أبا حيّان الأندلسي - البحر المحيط - الجزء السادس - ص١٤٥.
- الجزائري - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - الجزء الثالث - ص٢٧١.

(٤) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الحادي والعشرون - ص١٤٥.

(٥) سورة الكهف: ٦٢.

نصبًا: تعبًا: النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص٢٢.

﴿أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾[1]. وكان فقدان الحوت علامة على مكان الخضر كما مرّ آنفًا في الحديث الصحيح، أما الحوت فاتخذ ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾[2] قال ﷺ: (... **فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي ٱلْبَحْرِ قَالَ وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ**[3] **فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا...**)[4]؛ وموضع التعجب «أن يحيا حوت قد ماتَ وأُكِلَ شقه، ثمّ يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان البحر»[5]، وهذا ليس بالأمر الغريب فقصة موسى والخضر اشتملت على خوارق العادات وجاءت في سورة قصّت أمورًا عِجابًا كنوم الفتية الذين ناموا في كهفهم ﴿ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾[6].

بعد ذلك؛ «انطلق موسى متبعاً للحوت حتى أفضى به الطريق إلى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر»[7].

لقاء موسى بالخضر:

بعد أن التقى موسى بالخضر - عليهما السلام - سأله الرفقة والصحبة فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[8] فأجاب موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾[9]، فقبل الخضر الصحبة

---

(١) سورة الكهف: ٦٣.

(٢) سورة الكهف: ٦٣.

(٣) الطاق: «عقد البناء، وجمعه طبقان، وأطواق وهو ما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خاليًا». انظر: النووي - شرح صحيح مسلم - الجزء الخامس عشر - ص١٣٦.

(٤) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب وإذ قال موسى لفتاه: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا - حديث رقم ٤٧٢٥ ص ٩٠٩ - ٩١٠).
ورواه مسلم واللفظ له (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب من فضائل الخضر عليه السلام - حديث رقم ٦١١٣-١٧٠/١ - الجزء الخامس عشر - ص١٣٣-١٣٨).

(٥) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثالث - ص٣٧٠.
وانظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن - الجزء الحادي عشر - ص١١.
- الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الحادي والعشرون - ص١٤٦.

(٦) سورة الكهف: ٦٧ - ٦٨.

(٧) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الحادي عشر - ص١٠.

(٨) سورة الكهف: ٦٧-٦٨.

(٩) سورة الكهف: ٦٩.

(١٠) سورة الكهف: ٧٠.

مشترطًا: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1].

خرق السفينة:

وكانت أوّل حادثة جرت هي حادثة السفينة، وهي الحادثة المتعلّقة بالماء والتي سيتم التعرّض لها في هذا الحديث.

قال ﷺ: (**... فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِما سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ[2] فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾[3]، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ...**)[4].

ويبدو أن الخضر عندما أخذ يخرق السفينة لم يشاهده أحدٌ سوى موسى؛ إذ لو رآه ركاب السفينة لمنعوه، وقد قيل «خرج أهل السفينة إلى الجزيرة، وتخلّف فخرق السفينة»[5].

أمّا الخرق الذي فعله الخضر فالظاهر أنه لم يكن في أسفل السفينة؛ إذ لو كان في أسفلها لتسارع الماء إلى داخلها فأغرقها. وبما أنّ هدف الخضر كما صرّح به في نهاية القصة هو: وضع عيب في السفينة لكي لا يأخذها الملك إذا وجد فيها هذا العيب، وليس هدفه إغراق أهلها فـ«خرق جدار السفينة لتصير السفينة بسبب ذلك الخرق معيبة ظاهرة العيب فلا يتسارع الغرق إلى أهلها»[6]؛ وهذا يعني أنّ الخرق كان في جدار لا

---

(١) بغير نول: «أي بغير أجر».
«ابن منظور - لسان العرب - الجزء الحادي عشر - ص٦٨٣».

(٢) سورة الكهف: ٧١-٧٣.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب: وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا - حديث رقم: ٤٧٢٥ - ص٩٠٩ - ٩١٠).
ورواه مسلم واللفظ له (النووي شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل الخضر عليه السلام - حديث رقم: ٦١١٣ - ١٧٠/ ١- الجزء الخامس عشر - ص١٣٣ - ١٣٨).

(٤) الدرة - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - الجزء الخامس عشر - ص٢٩٣.

(٥) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الحادي والعشرون - ١٥٤.
وانظر الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثالث - ص٣٧٤.

(٦) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب: فلمّا بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما -

يصله الماء أيضاً.

والذي يؤكد أنّ الخرق كان بجدارها وليس بأسفلها قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (... **فَإِذا جَاءَ الَّذِي يُسَخِّرُها وَجَدَها مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَها فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ...**)[1].

الخضر يضرب لموسى مثلاً مائياً لقلّة علمهما:

مع أنّ الله تعالى أعطى الخضر هذا العلم وأعطى موسى علم الرسالة إلا أنّ الخضر يضرب لموسى مثلاً مائياً لقلّة علمهما وعلم سائر البشر بالنسبة لعلم الله تعالى. قال ﷺ: (... **وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلى حَرْف السَّفِينَةِ فَنَقَرَ في الْبَحْرِ نَقْرَةً فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا عِلْمِي وعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذا الْبَحْرِ**)[2].

إنّ علم الله لا تدركه العقول ولا تحدّه الحدود ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[3]. فرغم العلم الذي أعطاه الله لرسله وأنبيائه وأوليائه وأنسه وجنه إلا أنه وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

لقد أخذ العصفور نقطة من بحر فهل أخذ الإنسان شيئاً من علم الله تعالى! قال العلماء: «لفظ النقص هنا ليس على ظاهره، وإنما معناه: أنّ علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر. هذا على التقريب إلى الإفهام، وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر»[5].

حديث رقم: ٤٧٢٦ - ص٩١٠ - ٩١٢).

رواه مسلم واللفظ له (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل الخضر عليه السلام - حديث رقم: ٦١٥٥ - ٣/١٧٢ - الجزء الخامس عشر - ص١٣٩ - ١٤١).

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب: وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا - حديث رقم: ٤٧٢٥ - ص ٩٠٩ - ٩١٠).

رواه مسلم (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب من فضائل الخضر عليه السلام - حديث رقم: ٦١١٣ - ١٧٠-/١ الجزء الخامس عشر - ص١٣٣ - ١٣٨).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) النووي - شرح صحيح مسلم - الجزء الخامس عشر - ص ١٣٨.

(٥) سورة الأعراف: ١٦٣.

المبحث الخامس
قصة القرية التي كانت حاضرة البحر

تمهيد

بعد هجرة الرسول - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة المنورة واجه المسلمون عدواً آخر متآمراً مع المنافقين والمشركين على هذه الدعوة؛ كي لا يظهر نورها؛ إنهم اليهود الذين اعتادوا قتل الأنبياء وسفك الدماء والتحايل على دين الله وشرعه، فيهود المدينة أحفاد ليهود القرية التي قصّ الله خبرها في القرآن الكريم، أخفى الأحفاد إساءة الأجداد فجاء القرآن الكريم يكشف حالهم جميعاً.

موقع القرية:

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾[١].

و«العرب تسمي المدينة قرية»[٢].

وقد اختلف في تحديد هذه القرية «فقيل أيله»[٣]، وقيل طبرية[٤]، وقيل

---

(١) الزمحشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص١٦٤.

(٢) أيله: مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام؛ وهي مدينة سكنها اليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، وهي على لسان من البحر الملح، والتي موقعها الآن مدينة العقبة.

انظر: الحموي - معجم البلدان - الجزء الأول - ص٢٩٢.

(٣) طبرية: مدينة من بلاد الأردن بالشام، بنى هذه المدينة أحد ملوك الروم تقع على بحيرة جليلة عذبة، ويخرج منها نهر الأردن.

انظر الحميري: محمد بن عبد المنعم - الروض المعطار في خير الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة) - ص٣٨٥. حققه: د. إحسان عباس - الطبعة الثانية ١٩٨٤ - مكتبة بيروت - لبنان.

مدين[1]، وقيل ايليا[2]، وقيل قرية من قرى ساحل الشام التي كانت حاضرة البحر»[3].

إلا أنّ أكثر الأقوال قد أشارت إلى أنها أيلة، يقول الرازي: «والأكثرون على أنّ تلك القرية أيلة»[4]، وإلى هذا ذهب عدد من المفسرين[5]. ولعل الذي يرجح ذلك أن أيلة سكنها اليهود، ثمّ أنها تقع على شاطئ البحر المقابل للعقبة - التي في جنوب الأردن - هذه القرية تبعد عن الطور الذي كلم الله عليه موسى مسيرة يوم وليلة[6].

وحاضرة البحر: يعني بقربه وعلى شاطئه، والحضور نقيض الغيبة كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[7] [8].

انتهاك اليهود لحرمة اليوم المقدس:

سكان هذه القرية «طلبوا أن يكون لهم يوم راحة مقدس، فجعل الله لهم يوم السبت... لا يعملون فيه للمعاش، ثمّ أنّ الله ابتلاهم بعد ذلك بالحيتان تكثر يوم السبت، وتختفي في غيره...»[9]. قال تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

---

(١) مدين: تقع على بحر القلزم، محاذية لتبوك على نحو ست مراحل، وبها البئر الذي استقى منها موسى لسائمة شعيب، ومدين اسم القبيلة، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام.
انظر: «الحموي - معجم البلدان - الجزء الخامس - ص٧٧».

(٢) إيليا: «اسم مدينة المقدس» الحموي - معجم البلدان - الجزء الأول - ص٢٩٣. ويضعف هذا الرأي أن مدينة القدس لا تقع على ماء مباشرة، ولعله تحريف عن أيلة.

(٣) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص٣٢٧.
وانظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص١٦٤.
- القرطبي الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع - ص١٩٤.
- المراغي - تفسير المراغي - الجزء التاسع - ص٦٢.
- الزحيلي - القصة في القرآن - ص١١٠.

(٤) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الخامس عشر ص٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير - تفسير القرآن الكريم - الجزء الثاني - ٢٥٧.

(٦) انظر: الحميري - الروض المعطار في خبر الأقطار - (معجم جغرافي مع فهارس شاملة) - ص٧٠-٧١.

(٧) سورة البقرة: ١٩٦.

(٨) انظر الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الخامس عشر - ٣٦.

(٩) سيد قطب - في ظلال القرآن - الجزء الأول - ٧٦.

﴿شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾[1].

والحيتان: السمك. وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة»[2]. وشُرّعاً «ظاهرة على وجه الماء»[3].

وهذا بلاءٌ وامتحان من الله تعالى لليهود لم يصمدوا أمامه؛ حيث أنهم قاموا بالاحتيال على دين الله وشرعه «فحفروا حياضاً عند البحر وشرعوا إليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد...»[4]. وهذا تحايل واضح منهم على حرمة هذا اليوم الذي ابتلاهم الله بحضور الحيتان فيه بسبب فسقهم وتمرّدهم على الحق قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[6]. أي «جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد»[7].

وقوله تعالى: ﴿كُونُوا﴾ «ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد سرعة التكوين، وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم»[8].

وهذا عقاب يليق بأفعالهم. ارتكبوا الباطل بصورة الحق فأحالهم الله إلى قردة وهي أكثر الحيوانات شبهاً بالإنسان ومسخهم كذلك خنازير[9]، وهي أخبث الحيوانات فكان عقابهم ملائماً لأفعالهم الخبيثة التي ارتكبوها. وفي أثناء انتهاك حرمة هذا اليوم المقدس تدخلت فرقة منهم تنهاهم عن هذا المنكر.

وجمهور المفسرين: «أن بني إسرائيل افترقت ثلاث فرق: فرقة عصت

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٣.
(٢) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ١٦٥.
(٣) المصدر السابق - الجزء الثاني - ١٦٥.
(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الأول - ص ١٤٩.
وانظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع - ص ١٩٤ - ١٩٥.
- سيد قطب - في ظلال القرآن - الجزء الأول - ص ٧٧.
(٥) سورة الأعراف: ١٦٣.
(٦) سورة البقره: ٦٥.
(٧) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٦٧.
(٨) المرجع السابق - الجزء الأول - ص ٦٧.
(٩) قال تعالى ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ سورة المائدة: ٦٠.

وصادت... وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعصِ، فقالت الطائفة التي لم تنه ولم تعص للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾[1] يريدون الفرقة العاصية: ﴿ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾[2]؛ قالوا ذلك على غلبة الظن لما جرت به عادة الله من إهلاك العصاه أو تعذيبهم من دون استئصال بالهلاك؛ فقالت الناهية: موعظتنا معذرة إلى الله ولعلهم يتقون...»[3].

مسخ المعتدين:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾[4] - ليس نسيان الذاكرة بل التناسي والإصرار على الباطل - جاء الفصل الإلهي بينهم فالذين نهوا عن المنكر أنجاهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾[5]، وأما الذين اعتدوا وصادوا حل بهم عقاب ربهم ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[6].

ويلاحظ أن السياق القرآني خلا من ذكر الذين لم ينتهوا ولم يعصوا «فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحون ولا ارتكبوا عظيماً فيذمون...»[7] وبئيس أي: «شديد» واختلف في كيفية مسخ الذين اعتدوا وصادوا على قولين:

القول الأول: مسخت قلوبهم ولم تمسخ صورهم.

قال مجاهد: «ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

وإلى هذا ذهب سيد قطب[8] حيث قال: «وليس من الضروري أن يستحيلوا قردة

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٤.
(٢) سورة الأعراف: ١٦٤
(٣) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٣٢٨.
وانظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثاني - ص ٢٥٧.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع - ص ١٩٥.
(٤) سورة الأعراف: ١٦٥
(٥) سورة الأعراف: ١٦٥.
(٦) سورة الأعراف: ١٦٥.
(٧) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص - ٦٧.
(٨) سيد قطب. (١٣٢٤- ١٣٨٧ هـ - ١٩٠٦ - ١٩٦٦).
هو: سيد قطب بن إبراهيم. مفكر إسلامي مصري، ولد في أسيوط، تخرج من كلية العلوم =

بأجسامهم فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم، وانطباعات الشعور والتفكير تعكس على الوجوه والملامح سمات تؤثر في السحنة وتلقي ظلها العميق»[١].

والقول الثاني: أصبحوا قردة وخنازير حقيقية بصورهم[٢] حتى قيل: إن الممسوخين كانوا «يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون»[٣].

ولعل الراجح أنهم أصبحوا قردةً وخنازير بصورهم، والسياق القرآني واضح وصريح بقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[٥]. فلا تحمل الحقيقة على المجاز؛ ثم أن تمثيل من مسخه الله بالمثل القرآني ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾[٦] بعيد؛ فالأول: عقاب على فعل تحولوا بسببه إلى قردة، والثاني: تمثيل من حمل كتاب الله ولم يحمله بالحمار يحمل أسفاراً، ثم إنه لا يرتكب مثل هذا الذنب مع الإصرار عليه إلا صاحب القلب الممسوخ؛ وعليه فقلوبهم ممسوخة عندما كانوا يعتدون ويصيدون يوم سبتهم قبل إن تمسخ صورهم فعاقبهم الله تعالى بأن مسخ صورهم.

أثر المسخ:

قال الجمهور: «الممسوخ لا ينسل. وأن القردة والخنازير وغيرهما كانت قبل

=(بالقاهرة). وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلة (الرسالة) و (الثقافة)، وعين مدرساً للعربية، وموظفا في ديوان وزارة المعارف ثم مراقبا فنيا للوزارة، وأوفد في بعثه لدراسة برامج التعليم في أمريكا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية، وكان يرى أنها من وضع الإنكليز، وطالب ببرامج اسلامية وبعدها، قدم استقالته عام ١٩٥٣ وانضم إلى الأخوان المسلمين، وسجن معهم فأخذ يؤلف الكتب في سجنه إلى حين صدور الأمر بإعدامه. من كتبه (في ظلال القرآن) و (العدالة الاجتماعية) و (التصوير الفني في القرآن).

انظر: الزركلي - الأعلام - الجزء الثالث - ص ١٤٨.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن - الجزء الأول - ص ٧٧.

(٢) انظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ٢٩٩.
- النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الأول - ص ٤٧٧.
- الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ١٦٦.

(٣) النسفي - مدارك التنزيل - الجزء الأول - ص - ٤٧٧.

(٤) سورة البقرة: ٦٥.

(٥) سورة المائدة: ٦٠.

(٦) سورة الجمعة: ٥.

ذلك؛ والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام. قال ابن عباس[1]: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل»[2].

---

(١) ابن عباس (٣ق هـ- ٦٨هـ/ ٦١٩-٦٨٧م).
هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، وهو صحابي جليل من أئمة التفسير. ولد بمكة،ونشأ في بدء عصر النبوة، ولازم الرسول - عليه الصلاة والسلام - وروى عنه الأحاديث،له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً، وشهد مع علي الجمل وصفين، وتوفي في الطائف.
انظر:«الزركلي - الأعلام - الجزء الرابع - ص ٩٥».

(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ٢٩٩.

المبحث السادس
الماء في قصة يونس

تمهيد

يونس - عليه السلام - من الرسل الذين قص الله خبرهم في القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(١)]. وقد سميت سورة باسمه، وهو صاحب الحوت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[(٢)]، وهو ذو النون، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾[(٣)]؛ «ولقب بذي النون لابتلاع الحوت له؛ فإن النون من أسماء الحوت»[(٤)].

أرسله الله تعالى إلى أهل قرية نينوى من أرض الموصل يدعوهم إلى الإسلام، فأبوا الحق وتمادوا في كفرهم؛ فخرج من بينهم محذرهم عذاب ربهم[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾[(٦)]؛ وكان غضبه - عليه السلام- «من أجل ربه كما تقول غضبت لك؛ أي من أجلك»[(٧)].

وكان على يونس - عليه السلام - أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى في

---

(١) سورة الصافات: ١٣٩.

(٢) سورة القلم: ٤٨.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الثالث - ص ٥٢١.
وانظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص ١٩٠.

(٥) نينوى: هي قرية يونس بن متّى - عليه الصلاة والسلام - بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية، يقال نينوى. منها كربلاء التي قتل فيها الحسين.
انظر: «شهاب الدين بن أبي عبدالله، بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي - معجم البلدان - الجزء الخامس - ص ٣٣٩ - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ - دار صادر - بيروت».

(٦) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٧) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الحادي عشر - ٢١٨.

المهاجرة عنهم[1]، ولذلك أمر الله محمداً - عليه الصلاة والسلام - بالصبر وأن لا يكون كيونس، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[2].

أما قومه فبعد خروجه من بينهم وعندما عاينوا العذاب، آمنوا جميعا فنفعهم إيمانهم قبيل نزول العقوبة وحلول سخط الله عليهم، وهذا لم يكن إلا لقوم يونس مع العلم أنه ما آمنت قرية عند معاينتها العذاب ونزوله فنفعهما إيمانها كما لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيه[3]، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[4].

ابتلاء يونس بالحوت:

وكان يونس - عليه السلام - قد ظن أن الله تعالى يقضي عليه عقوبة وبلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفراقه إياهم[5]، قال تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[6].

وكان الحدث الأكبر والأهم بعد خروج يونس - عليه السلام- من بين قومه ركوبه الفلك وما جرى على إثر ذلك من أحداث.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[7] والمشحون: «المملوء»[8].

وما إن ركب يونس - عليه السلام - السفينة حتى أحدق بها الخطر، فلجأوا إلى القارعة، «وسنة الاقتراع في أسفار البحر كانت متبعة عند الأقدمين، إذا أثقلت السفينة بوفرة الراكبين أو كثرة المتاع»[9].

---

(١) انظر: النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص ٩٨.
- الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ١٢٨.
(٢) سورة القلم: ٤٨.
(٣) انظر: الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء الحادي عشر - ص١١٧.
(٤) سورة يونس: ٩٨.
(٥) انظر الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء السابع عشر - ص ٦٣ -٦٤.
(٦) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٧) سورة الصافات: ١٤٠.
(٨) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص٥١٢.
(٩) ابن عاشور - التحرير والتنوير - الجزء الثالث والعشرون - ص ١٧٣.

وبما أن يونس أحد ركابها فقد اشترك في المقارعة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[1]، وهذه مشيئة ربانية وحكمة إلاهيه في خروج القرعة على هذا الرسول دون غيره، وهو بلاء كبير يتناسب مع إيمان الرسل والأنبياء.

والظاهر من خلال السياق القرآني تسارع الأحداث على متن السفينة. قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾[2]. وهذا ما دلت عليه الفاءات، ثم إن أمراً كهذا لا يحتمل الإطالة أو التأخير، والذي يظهر كذلك من خلال السياق القرآني أن يونس ما إن رمى بنفسه إلى البحر حتى ابتلعه الحوت على الفور، قال الألوسي[3]: «فأخذه الحوت قبل أن يصل إلى الماء»[4].

المكان الذي التقم فيه الحوت يونس عليه السلام:

أما المكان الذي التقم فيه الحوت يونس - عليه الصلاة والسلام - «كان في أرض دجله. . .»[5]، وهذا يعني أن مياه نهر دجلة كانت أكثر مما هي عليه الآن، فالفلك المشحون والحوت الذي بلغ من ضخامته أن يبتلع إنساناً لا بد لهما من مياه كثيرة تحملهما.

ويذكر العلماء: «أن خليج[6] البصرة كان في الماضي ممتداً جهة الشمال في العراق، وقصة يونس -عليه السلام - تدل على أنه كان ممتداً في زمنه حتى

---

(١) سورة الصافات: ١٤١.
(٢) سورة الصافات: ١٤١ - ١٤٢.
(٣) الالوسي: (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ - ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م).
هو: محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين. مفسرٌ ومحدثٌ وأديبٌ، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، سلفي الاعتقاد، تقلد الإفتاء سنة ١٢٤٨هـ. وعزل فانقطع للعلم، ثم سافر عام ١٢٦٢هـ إلى الموصل فالأستانة وعاد إلى بغداد. من كتبه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) و(نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) و(غرائب الاغتراب) و(دقائق التفسير). ونسبة الأسرة الألوسية إلى جزيرة الوس في وسط نهر الفرات على خمس مراحل من بغداد.
انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء السابع - ص ١٧٦».
(٤) الألوسي - روح المعاني - الجزء الثالث والعشرون - ص ١٤٣.
(٥) الألوسي - روح المعاني - الجزء الثالث والعشرون - ص١٤٣.
(٦) خليج: «جزء من بحر أو بحيرة تحيط به الأرض من جميع الجهات عدا جهة واحدة. وتتكون الخلجان إما بانكسار في جزء من قشرة الأرض أو بطغيان البحر على أرض هابطة، أو بعوامل أخرى».

الموصل. . . »[١]، والذي يؤكد ذلك أن «مياه الخليج العربي كانت تغمر الأرض مسافة أطول ولكن الطمي[٢] الذي كان يحمله النهران العظيمان. . . حول ذراع البحر الذي كان يمتد إلى داخل الأرض إلى دلتا[٣] عظيمة»[٤]. ويذكر التاريخ على سبيل المثال أنه في «العصر البابلي القديم كانت مدينه أور الكلدانية[٥]. . . ميناءً[٦] بحريا، أما الآن فهي تبعد عن البحر مسافة مائة وخمسين ميلاً»[٧].

يونس في بطن الحوت:

ليس من العجب أن يبتلع حوت إنساناً، ولكن من العجب العجاب أن يخرج هذا

«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص٢١٦».

(١) القاسم: محمود بن عبد الرؤوف - من جغرافية القصص القرآني - ص٣١ - الطبعة الأولى ١٩٩٤م - المكتبة الإسلامية - عمان.

(٢) الطمي: عبارة عن رواسب دقيقة أدق من الرمل ولكن أغلظ من الطين. ويتفاوت قطر حبيبه الطمي Silt sil (بحسب ما اتفق عليها في الجمعية الدولية لعلوم التربة) من ٠,٠٢ - ٠,٠٠٢ مليمتر، أما حبيبة الطين أو الصلصال فتقدر بنحو ٠,٠٠٢ من المليمتر أو أقل من ذلك. «انظر توني- معجم المصطلحات الجغرافية ص ٣٣٤».

(٣) دلتا: أرض فيضية مروحية الشكل تتكون عند التقاء مصبات الأنهار بمياه البحار الهادئة. انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٢٢٥».

(٤) مور: روث - الأرض التي نعيش عليها (قصه الاكتشافات الجيولوجية) - ص ٢٦. ترجمة: إسماعيل حقي - مراجعة وتدقيق: د. رفيق و د. محمد رشيد - مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦١.

(٥) بابل: اسم ناحية فيها الكوفة، عرفت بالسحر والخمر، والكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول، ويقال أن أول من سكنها نوح - عليه السلام -، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعد الطوفان فأقام بها هو وقومه الذين نجاهم الله وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملكوا عليهم ملوكاً وبنوا بها المدائن، واتصلت مدائنهم بدجلة والفرات وكانت ملوكهم تنزل بابل، وكان الكلدانيون جنودهم. انظر: «الحموي - معجم البلدان - الجزء الأول - ص ٣٠٩».

(٦) ميناء: مدينة أو قرية داخل مرفأ تأتي إليها وسائل النقل لتفريغ وتحميل البضائع، وأبسط أنواع الموانيء هي تلك التي يطلق عليها اسم: (موانئ الصيد). أما الموانيء الكبرى التي تؤمها السفن عابرة المحيطات فهي التي يطلق عليها اسم (الموانيء البحرية).، أما (الميناء النهري): فيكون عادة عند أعلى نقطة تستطيع السفن التجارية الوصول إليها في النهر، وهناك الميناء الجوي، ويقصد به المطار الذي تؤمه الطائرات، الذي يقع على أحد الخطوط الرئيسة. انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٥١٢ - ٥١٣».

(٧) كينج - الماء معجزة الطبيعة - ص٨٩.

الإنسان من بطنه حياً.

لقد عرف يونس ربه في الرخاء، فعرفه ربه في الشدة ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]؛ «حياً وقيل ميتاً»[2].

وصل إلى بطن الحوت المظلم وما فتر عن دعاء ربه ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، والظلمات هنا: «الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت، أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت»[4]. لقد صار من شدة الظلمة في ظلمات، ولكن الله تعالى لم يبقه فيها، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾[5]. وكما أنجى الله يونس من الشدائد والظلمات التي أحاطت به ينجي الله المؤمنين من كروبهم وظلماتهم التي أحاطت بهم إذا عادوا إلى ربهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

المكان الذي نبذ فيه الحوت يونس عليه السلام:

إن الله تبارك وتعالى هو الذي أمر الحوت أن يلتقم يونس، وهو الذي أمره أن ينبذه بالعراء، ولكن الله تعالى نسب الإلتقام إلى الحوت، ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾[7]، ونسب إخراجه إلى نفسه ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾[8]. فليس من الغريب أن يبتلع حوت إنساناً ولكن من الغريب والعجيب أن يخرج هذا الإنسان سالماً حياً من بطنه، ولا يقدر على مثل هذا الأمر العظيم إلا من كان أمره بين الكاف والنون.

أما المكان الذي أمر الله تعالى الحوت أن يلقي يونس فيه فهو: «بساحل قرية من الموصل»[9]. يقول الطبري[10]: «فالتقمه الحوت فانطلق به... حتى مر به على

---

(١) سورة الصافات: ١٤٣ - ١٤٤.
(٢) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٣٠٢.
(٣) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٤) النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص٩٩.
(٥) سورة الأنبياء: ٨٨.
(٦) سورة الأنبياء: ٨٨.
(٧) سورة الصافات: ١٤٢.
(٨) سورة الصافات: ١٤٥.
(٩) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء - ٨٤.
انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٥٩.
(١٠) الطبري: (٢٢٤ - ٣١٠ هـ).

دجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى»[1]. وهذا يعني أن نينوى من قرى الموصل. وفي المعاجم الجغرافية: أن نينوى من قرى الموصل ومقابلة لها، ويفصل بينهما نهر دجله[2].

والذي يتناسب مع أحداث القصة أن يكون الحوت قد نبذ يونس على ساحل نينوى، فقد خرج يونس - عليه السلام - من بطن الحوت سقيماً، ومن كانت هذه حالته تعذر عليه السير طويلاً.

ولعل هذا الرأي أرجح مما ذهب إليه بعض المفسرين كابن كثير[3]، حين ذهب في أحد قوليه إن الحوت ألقاه في أرض اليمن[4] فبين اليمن ونينوى آلاف الكيلومترات. ثم إن يونس - عليه السلام - عاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام[5]. قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[6].

وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين ما وقع هنا في قوله: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾[7]. وقوله في موضع آخر: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ

=هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري. صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، إماما في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وكان ثقة في نقله، وتاريخه من أصح التواريخ وأثبتها، ولد في طبرستان وتوفي في بغداد.

انظر: «ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - الجزء الرابع -ص١٩١-١٩٢- حققه: د. إحسان عباس - دار الثقافة ببيروت.

(١) الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء الثاني والعشرون - ص٦٧.

(٢) انظر: الحموي - معجم البلدان الجزء الخامس - ص ٣٣٩.
- الحميري - الروض المعطار في خبر الأقطار - ص ٣٩٥- ٣٩٦.

(٣) ابن كثير «٧٠١ - ٧٧٤ هـ - ١٣٠٢ - ١٣٧٣م».
هو إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي - أبو الفداء عماد الدين. حافظ ومؤرخ وفقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، وتوفي بدمشق. من كتبه (البداية والنهاية) و (تفسير القرآن العظيم) و (الاجتهاد في طلب الجهاد).
انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء الأول - ص ٣٢٠».

(٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الرابع - ص ٢١.

(٥) انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٥٩.
- البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٣٠٢.

(٦) سورة الصافات ١٤٧.

(٧) سورة الصافات: ١٤٥. والعراء: «المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه».
الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٥٩.

﴿مَذْمُومٌ﴾[1]، فالآية الثانية تدل على أنه لم ينبذ بالعراء، وأجاب بعض العلماء[2] بأن الله تعالى أخبر هنا أنه نبذ بالعراء وهو غير مذموم، ولولا رحمته عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم[3].

---

(١) سورة القلم: ٤٩.

(٢) كالنحاس انظر: «الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٥١٣».

(٣) انظر المرجع السابق - الجزء الرابع - ص ٥١٣.

المبحث السابع
قصة الماء في غزوة بدر

تمهيد

برز الدور المائي واضحاً في غزوة بدر، وكان له الأثر البالغ في أحداث المعركة ونتائجها. ويمكن تقسيم الماء المذكور في هذه الغزوة إلى أساسي وعرضي:

أما الأساسي فهو: الذي نزل من السماء وتنزل فيه قرآن. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[١].

وأما العرضي: فهو الذي ذكر في كتب الحديث والتفسير والسيرة. والظاهر من أحداث المعركة - أن الأحداث العرضية سبقت الحدث الأساسي. ويبدو أن كلا من الجانبين على معرفة تامة بدور الماء في ساحة المعركة، وهذا ما ظهر من أحداث المعركة. فأبو سفيان[٢]، عندما أشار على مشركي مكة بالرجوع إلى مكة بعد نجاة القافلة، أصر أبو جهل[٣] على ورود ماء بدر قائلاً: «والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم

---

(١) سورة الأنفال: ١١.

(٢) أبو سفيان: (ت ٣١ هـ).
هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ابن عم الرسول ﷺ وأخوه في الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية، وكان من أكثر الناس شبها بالرسول عليه الصلاة والسلام أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، وكان من السبعة الذين ثبتوا مع الرسول- عليه الصلاة والسلام - يوم حنين، وكان أسن من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعاش بعده عشرين سنه، وتوفي في المدينة.
انظر: «ابن خلكان - وفيات الأعيان - الجزء السادس - ص ٩٥١».
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان - سير أعلام النبلاء - الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٣) أبو جهل: (٠٠٠هـ - ٢هـ = ٠٠٠م - ٦٢٤م).
هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي - صلى الله عليه =

عليه ثلاثاً... فننحر الجزر[1] ونطعم الطعام ونسقي الخمر...»[2].

الأنصار مستعدون لأن يخوضوا البحر:

حين بلغ رسول الله- ﷺ - نجاة القافلة وأتاه خبر مسير قريش إلى المسلمين استشار أصحابه[3] (... **فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ[4] فَقَالَ إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ[5] لَفَعَلْنَا...)**[6].

ماء بدر مكان تقصي الأخبار:

وصلت طلائع المسلمين إلى ماء بدر قبل وصول المشركين، وهذا ما أشارت إليه

=وسلم - وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية، وكان يقال له (أبو الحكم). سأله الأخنس ابن شريف الثقفي، وكانا قد استمعا شيئا من القرآن ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، واعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي ويأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه.. والله لا نؤمن أبدا ولا نصدقه، واستمر على كفره حتى قتل مع المشركين في بدر.
انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء الخامس - ص ٨٦».

(١) الجزر: الناقه المجزورة يقع على الذكر والأنثى، والجزر كل شيء مباح للذبح، والجزر أيضا الشاة السمينة.
انظر: «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الرابع - ص ١٣٤ - ١٣٥».

(٢) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص١٩٠ - ١٩١ - دار الجيل - بيروت.

(٣) انظر: البوطي: د. محمد سعيد رمضان - فقه السيرة - ص ١٦٨ - الطبعة السابعة ١٩٧٨ - دار الفكر - بيروت.

(٤) سعد بن عباده: (ت ١٤ هـ = ٦٣٥م).
هو: أبو ثابت الخزرجي صحابي من أهل المدينة، كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام، وكان يلقب في الجاهلية بالكامل لمعرفته (الكتابة والرمي والسباحة). وشهد العقبة وأحد والخندق.
انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء الثالث - ص ٨٥».

(٥) برك الغماد: موضع من وراء مكة بناحية الساحل. وقيل موضع بأقصى هجر. وقيل برك الغماد وسعفات. هجر كناية فيما تباعد. انظر: «النووي - المنهاج - شرح صحيح مسلم - الجزء الثاني عشر - ص ٣٤٠».

(٦) رواه مسلم: (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب غزوة بدر - حديث رقم: - ٤٥٩٧- ١/٨٣ - الجزء الثاني عشر - ص ٣٣٩ - ٣٤٠).

الأحداث التي سبقت المعركة.

فقد روي أن رجلين من الصحابة انطلقا قبيل وصول المسلمين إلى بدر، وقبل وصول المشركين إلى ماء بدر أيضا فنزلا قريبا منه، ثم أخذا يستسقيان، وشخص وجاريتان على الماء، وتقول إحداهما للأخرى: إنما يأتي العير غداً أو بعد غدٍ، فقال ذلك الرجل الذي على الماء: صدقت، وسمع الصحابيان ذلك فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا المسلمين فأخبراهم بما سمعاه[١].

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لرجل يقف عند الماء هل أحسست أحداً؟ فقال: ما رأيت أحداً أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن[٢] لهما، ثم انطلقا فأتى مناخيهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففته، فإذا فيه النوى فقال: هذه والله علائف يثرب، فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها[٣].

نزول الماء من السماء وسيطرة المسلمين على ماء بدر:

من خلال سير الأحداث التي جرت في غزوة بدر يتبين أن سيطرة المسلمين على ماء بدر كان بعد نزول الماء من السماء، إذ لو كان قبل نزوله لتطهروا به عندما أحدثوا، ولما وسوس الشيطان إليهم بما أصابهم، فـ«غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون وأصابهم ضيق شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس إليهم. تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسول الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين»[٤]. فأغاثهم الله الماء من السماء، قال

---

(١) انظر الحلبي الشافعي: علي بن برهان الدين - السيرة الحلبية - الجزء الثاني - ص ١٥٣ - المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان.
- ابن كثير: - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص٣٩٨ - ٤٠١ - دار إحياء التراث - بيروت - تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

(٢) الشن: الشَّنُّ والشَّنَّة: - كل أنيه صنعت من جلد، ويقال للشّن: قربه.
انظر: «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثالث عشر - ص ٢٤١».

(٣) ابن هشام - السيرة النبويه - الجزء الثاني - ص١٩٠.

(٤) الصالحي: محمد بن يوسف - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. الجزء الرابع - ص٢٩ - تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد، الشيخ علي محمد معوض - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[1].

وكان نزول «المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية، فشربوا وتطهروا وسقوا الظّهر وتلبدت السبخة»[2]، وهذه الليلة التي نزل فيها المطر كانت الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر[3].

لقد كان نزول الماء بِشارةً للمسلمين وعلامةً على نصرهم الذي وعدهم الله إياه ووبالاً أصاب المشركين. وكان تثبيت أقدامهم «بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة»[4]. ولما كانت رمال الصحراء الناعمة لا تحتمل السير عليها إذ تسوخ فيها الأقدام ولا يلبدها ويسهِّل السير عليها إلا الماء، أنزل الله الماء من السماء، فثبت به الأقدام؛ ومتى ثبتت الأقدام ثبتت القلوب، فكان نزول الماء تثبيتاً للأقدام والقلوب. فأصاب المسلمين ما لبَّد لهم الأرض ولم يمنعهم من السير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه. فخرج المسلمون يبادروهم إلى الماء[5]. وذكر الأموي[6]: «أنهم نزلوا على القليب الذي يلي المشركين نصف الليل، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملأوا الحياض حتى أصبحت ملأى وليس للمشركين ماء»[7].

لقد ارتبط النصر بالماء؛ فما إن نزل ماء السماء حتى سيطر المسلمون على ماء الأرض في بدر، فتبددت وسوسة الشيطان، واطمأنت قلوب الصحابة وثبتت أقدامهم.

---

(١) سورة الأنفال: ١١.
(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع - ص ٢٣٧.
(٣) انظر: ابن كثير - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ٤٠١.
(٤) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٣٧٧.
وانظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ١٩٧.
(٥) انظر: ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٩١.
(٦) الأموي: (٠٠٠ - ٢٧٧ = ٠٠٠ - ٨٩٠ م).
هو: محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي من أمراء بني أمية في الأندلس، وهو والد عبد الرحمن الناصر، وكان من أهل العناية بالآثار والرواية والأدب.
- الزركلي - الأعلام - الجزء السادس - ص ٢٢٣.
(٧) ابن كثير - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ٤٠٣.

ولما نزل المسلمون ماء بدر أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حياض المسلمين وفيهم حكيم بن حزام[1] فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام، فأنه لم يقتل، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه[2].

«وخرج الأسود بن عبد الأسد[3] وقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لأموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب[4] وضربه حمزة على رجله وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر بيمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض»[5].

---

(١) حكيم: (٠٠٠ - ٥٤هـ = ٠٠٠ - ٦٧٤م).

هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، صحابي قرشي. وهو ابن أخي خديجه أم المؤمنين. ولد بمكة (في الكعبة). شهد حرب الفجار، وكان صديقاً للنبي - صلى الله عليه وسلم- قبل البعثة وبعدها وعمر طويلاً (١٢٠ سنه) وكان من سادات قريش، وعالما بالأنساب.

انظر: الزركلي - الأعلام - الجزء الثاني - ص ٢٦٩.

(٢) انظر: ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٩٣.

(٣) الأسود بن عبد الأسد: لم يعثر على ترجمة له.

(٤) حمزة: (٥٤ق هـ - ٣ هـ = ٥٦٧ - ٦٢٥م).

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، عم الرسول - عليه الصلاة والسلام- وأخوه من الرضاعة وأحد صناديد قريش وساداتهم في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة. ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي - ﷺ - ونال منه، فقصده حمزة وضربه واظهر إسلامه فقالت العرب اليوم عز محمد وأن حمزة سيمنعه. هاجر إلى المدينة وحضر بدراً، وأول لواء عقده رسول الله - ﷺ - كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره واستشهد يوم أحد.

انظر: «ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني - أسد الغابة في معرفة الصحابة - الجزء الثالث ص ٤٩ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الذهبي - سير أعلام النبلاء - الجزء الأول - ص ١٧١».

(٥) ابن هشام: - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ١٩٤.



الفصل الرابع: البحار والأنهار في القرآن الكريم

ويشمل المباحث التالية:

المبحث الأول : صيد البحر واستخراج الحلي من البحار والأنهار.

- تمهيد.
- صيد الأسماك.
- الحوت.
- الإسفنج.
- اللؤلؤ.
- المرجان
- استخراج الحلي من البحار والأنهار.

المبحث الثاني : الفلك التي تجري في البحر:

- تمهيد.
- نعمة الفلك.
- الفلك آية من آيات الله تعالى.
- تشبيه الفلك بالجبال.
- الفلك المشحون.
- الرياح والفلك.

المبحث الثالث : الإعجاز العلمي في البحار والأنهار:

- أمواج البحار.
- أمواج الرياح والعواصف.
- أمواج الزلازل.

- أمواج المد والجزر.
- ظلام البحار.
- برزخية البحار.
- التقاء البحار بالبحار.
- التقاء الأنهار العذبة بالبحار الملحة.
- التقاء الأنهار العذبة بالأنهار الملحة.
- استخراج الحلية من الماء العذب.

المبحث الرابع : الآيات التي ذكر فيها البحر مع البر:

- علم الله ما في البر والبحر.
- الاهتداء.
- الإنسان بين الرخاء والشدة.
- ظهور الفساد في البر والبحر.

المبحث الخامس: مصير البحار يوم القيامة.

المبحث الأول
صيد البحر واستخراج الحلي من البحار والأنهار

تمهيد

لقد اتضح من الآثار الفرعونية أن النشاط الاقتصادي لقدماء المصريين لم يقتصر على الزراعة في وادي النيل؛ بل مارسوا حرفة الصيد(1).

وفي القرآن الكريم عدد من الآيات تحدثت عن صيد الإنسان للأحياء والكائنات البحرية. وهذا تسخير وتكريم من الله لهذا الإنسان. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(2)

صيد الأسماك:

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾(3). يمتن الله على عباده بتذليله البحر وتسخيره للإنسان، وجعل السمك والحيتان فيه، وإحلاله لعباده لحم البحر في الحل والحرم(4). فالبحار مملوءة بالطاقة الغذائية الهائلة؛ فبها أكثر من عشرين ألف نوع من الأحياء تقريباً، اصطاد الإنسان منها عام ١٩٩٠م مائة مليون طن(5).

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون ماء البحار والمحيطات ملحاً، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾(6) ولم يكن هذا صدفةً أو عبثاً فإنه لما كان ماؤها ملحاً، كان هواؤها صحياً

---

(١) انظر أبا العينين: د. حسن و د. سيد حسن شرف الدين - الأفيانوغرافيا - ص ٢٣ - دار المعارف عام ١٩٦٩.

(٢) سورة النحل: ١٤.

(٣) سورة المائدة: ٩٦.

(٤) انظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثاني - ص ٥٦٤.

(٥) انظر: الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١١٢.

(٦) سورة فاطر: ١٢.

وميتتها طيبة[١].

ومن حكم الله الباهرة أن الماء إذا تجمد خف وطفا على السطح، وهذا تقدير وتدبير من الله تعالى العزيز الحكيم، فلو قدر الله تعالى غير ذلك بأن جعل الماء تزداد كثافته عندما يتجمد لرسا الماء المتجمد إلى الأعماق ولتجمد عندها سائر الماء في البحار والمحيطات، ولماتت الكائنات البحرية ولتعذر جري السفن عند ذلك. وإذا علمنا أن «الماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافته عندما يتجمد»[٢]. تأكد لنا أن الله ما خلق شيئاً عبثاً.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد. ثم إنه «لما خرج من البحر الملح الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة، عُلِم انما حدث لا بحسب الطبيعة؛ بل بقدرته وحكمته، حيث أظهر من الضد الضد»[٣]. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٤]. فإلى الذين أنكروا وجود الله وقالوا بالصدفة هذه أدلةٌ دامغةٌ وبراهيْن ساطعةٌ على أن وراء هذا الكون خالقاً عظيماً ومبدعاً حكيماً. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٥].

الحوت:

أطلق القرآن الكريم على الأسماك[٦] حيتان، قال تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ

---

(١) انظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص ٣٢٢.

(٢) توماس دافيد باركس - بحث: الماء يروي لك القصة - الله يتجلى في عصر العلم. تأليف - نخبة من العلماء الأمريكيين - ص ٤٤ - أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما. ترجمه: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان - راجعه وعلق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي - الطبعة الثالثة ١٩٦٨. الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة.

(٣) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء العشرون - ص ٦.

(٤) سورة النمل: ٨٨.

(٥) سورة الفرقان: ٢.

(٦) تتميز السمكة بجسمها الذي يشبه القارب، لإمكان بقائها في البحر، ولها زعانف على هيئة المروحة تحفظ توازنها أثناء سباحتها، كما يساعدها على العوم... ومن عجيب صنع الله وجود كيس مستطيل في الجزء الظهري للسمكة يمتلىء بمقدار من الهواء يزيد وينقص على حسب حاجة الحيوان، وهذا الكيس يسمى كيس العوم...
«ومن الأجهزة العجيبة في السمك الخيشوم الذي يتنفس به إذ أن الحيوان يفتح فمه، فيدخل فيه الماء، ثم يقفله فيمر الماء من الفتحات الجانبية للفم إلى الخيشوم، الذي يحصل على الأكسجين «نوفل: عبد الرزاق - الله والعلم الحديث - ص ١١٤ - الطبعة الثانية - دار مصر للطباعة». =

﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[2].

والحوت من أكبر الكائنات البحرية «يلتقم خمسة آلاف سمكة يومياً أو خمسة أطنان من علق البحر»[3].

ولم يقتصر استخدام الحوت للأكل فقد «استخدم أجدادنا القدماء زيت الحوت لإضاءة منازلهم»[4].

الإسفنج واللؤلؤ والمرجان:

وبالإضافة إلى الطعام الذي استخرجه الإنسان من البحر، فقد استخرج منه الإسفنج واللؤلؤ والمرجان.

الإسفنج:

ويُعد الإسفنج من الحيوانات البحرية، وهو متفاوت الحجم، فمنه الصغير ومنه الكبير، كما أنه مختلف الألوان فمنه الأصفر، والأخضر، والبرتقالي، والأحمر، والأزرق. ومن الفتحات الجانبية يدخل الماء حاملاً معه المواد الغذائية بينما تخرج الفضلات من فتحته العليا[5].

=وفي البحر أسماك تهاجر، وفي هجرتها أسرار عجيبة حيث ترجع هذه الأسماك وتكافح ضد تيار الماء، وتقفز فوق الصخور حتى تتسلق الشلالات وعندما تصل إلى المكان الذي تسعى إليه فإنها تضع بيضها وتموت.

انظر: «لين: فرديناند - كل شيء عن البحر - ص ٩٠ - ترجمة: د. محمد محمود رمضان - مراجعة: د. كاظم منصور - الطبعة الثانية ١٩٦٦م - دار المعارف -مصر».

والحيوانات البحرية التي تعيش في المناطق العميقة يغلب عليها الهدوء. ذلك لأن ماء البحر في هذه الأماكن بعيد عن العواصف والأمواج، وفي ظل هذه الظروف الهادئة تنمو للحيوانات، تراكيب رهيفة رقيقة. حتى إنه يبلغ من رقة أجسامها أحياناً أنها لا تتحمل الرفع بالشباك إلى السطح. انظر: «كاون: روبرت - البحار وما فيها - قصة الكشوف العلمية البحرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها - ص ٧٣ - ترجمة: د. عبد الحافظ حلمي - مؤسسة كل العرب - القاهرة ١٩٦٧».

(١) سورة الأعراف: ١٦٣.

(٢) سورة الكهف: ٦١.

(٣) الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١١٣.

(٤) كينج - الماء معجزة الطبيعة - ص١٣٣.

(٥) انظر: نوفل - الله والعلم الحديث - ص ١١٣.

اللؤلؤ والمرجان:

ذكر الله تبارك وتعالى اللؤلؤ مقترناً بالمرجان في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[1]، وبين اللؤلؤ والمرجان تشابه؛ فكلاهما يستخرج من الماء، وكلاهما يستعمل للزينة.

«ولعل اللؤلؤ أعجب ما في البحار؛ فهو يهبط إلى الأعماق وهو داخل صدفة من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار، ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحية في تركيبه وطريقة معيشته، فله شبكة دقيقة كشبكة الصياد عجيبة النسج، تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء إلى جوفه، وتحول بين الرمال والحصى وغيرها، وتحت الشبكة أفواه الحيوان، ولكل فم أربع شفاه، فإذا دخلت ذرة رمل، أو قطعة حصى، أو حيوان ضار عنوة إلى الصدفة تسارع الحيوان إلى إفراز مادة لزجة يغطيها بها، ثم تتجمد مكونة لؤلؤة، وعلى حسب حجم الذرة التي وصلت يختلف حجم اللؤلؤة»[2].

المرجان:

أما المرجان فكما قرنه الله تعالى مع اللؤلؤ قرنه مع الياقوت، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[3]؛ فكلاهما يستعمل للزينة، ولجمال الياقوت والمرجان شبه الله تعالى نساء الجنة بهما «فشبههن سبحانه في صفاء اللؤلؤ مع حمرته بالياقوت والمرجان...»[4].

والشجره المرجانية: «ذات ألوان مختلفة نراها في البحار صفراء برتقالية أو حمراء قرنفلية أو زرقاء زمردية، أو غبراء باهتة»[5]؛ والمرجان الأحمر هو المحور الصلب المتبقي بعد فناء الأجزاء الحية من الحيوان[6].

---

(١) سورة الرحمٰن: ٢٢.

(٢) نوفل - الله والعلم الحديث - ص ١١٧ - ١١٨.

(٣) سورة الرحمٰن: ٥٨.

(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ١٧٦.

(٥) نوفل - الله والعلم الحديث - ص ١١٦.

(٦) انظر: المرجع السابق - ص ١١٦. والمرجان يعيش في درجة حرارة معينه؛«ولا تستطيع المراجين الحياة اذا انخفضت درجة الحرارة عن ٢٠ درجه مئوية». =

والمرجان متفاوت الحجم؛ فقد تتشكل منه المستعمرات؛ «وأكثر ما توجد هذه المستعمرات في المحيطين الهندي والهادي، حيث ترتفع عن الماء وتتسع حتى يبلغ اتساعها أن تستعمر وتأهل بالسكان، وقد تبقى تحت سطح الماء وبذلك تصبح خطراً يهدد الملاحة.

«ومن هذه المستعمرات سلسلة الصخور المرجانية المعروفة باسم الحاجز المرجاني الكبير الموجود بالشمال الشرقي لأستراليا، ويبلغ طول هذه السلسلة ١٣٠٠ ميل، وعرضها ٥٠ ميلاً مكونة من هذه الكائنات الحية الدقيقة»[١].

أما عن حياة المرجان خارج الماء فـ«لا تستطيع المراجين أن تعيش طويلاً خارج الماء، ولهذا فهي لا توجد حية فوق منسوب الجزر إلا نادراً»[٢].

أما طبيعة الماء الذي تعيش فيه هذه الحيوانات فـ«لا بد أن يتوفر لهذه الحيوانات المرجانية ماء رائق»[٣].

استخراج الحلي من البحار والأنهار:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٤]. وفي هذا دلالة على عظمة الله وقدرته على كل مقدور؛ فالماء نوعان أحدهما عذب والآخر ملح ومع ذلك يستخرج

=«جوده: د. جوده حسين - جغرافية البحار والمحيطات - ص ٣٢٨ - ٣٢٩ - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨١م».

والمرجان من عجائب مخلوقات الله يعيش في البحار على أعماق تتراوح بين خمسة أمتار وثلاثمائة متر، ويثبت نفسه بطرفه الأسفل بصخرةٍ أو عشب وفتحة فمه التي في أعلى جسمه محاطةٌ بعدد من الزوائد يستعملها في غذائه، فإذا لمست فريسةٌ هذه الزوائد. وكثيراً ما تكون من الأشياء الدقيقة كبراغيث الماء، أصيبت بالشلل في الحال، والتصقت بها فتنكمش الزوائد وتنحني نحو الفم، حيث تدخل الفريسة إلى الداخل بقناة ضيقه تشبه مريء الإنسان. ويتكاثر هذا الحيوان بخروج خلايا تناسلية منه، يتم بها إخصاب البويضات حيث يتكون الجنين الذي يلجأ إلى صخرة أو عشب يلتصق به ويكون حياة منفردة، شأنه في ذلك شأن الحيوان الأصلي.

(١) نوفل - الله والعلم الحديث - ص ١١٦ - ١١٧.
وانظر: لين - كل شيء عن البحر - ص ٢٦.

(٢) جوده: جغرافية البحار والمحيطات - ص ٣٢٩.

(٣) كينج - الماء معجزة الطبيعة - ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) سورة فاطر: ١٢.

من كليهما اللحم الطري والحلية.

«والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم؛ ولأن إقدامهن على التزين بها إنما يكون من أجلهم، فكأنها زينتهم ولباسهم»[1]. وبذلك قرن الله تعالى بين النعمة المادية والنعمة الروحية؛ فاللحم الطري للأكل، واللؤلؤ والمرجان للزينة والجمال، كقوله تعالى عن النجوم: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[2] [3].

وفي القرآن الكريم أيضاً عدد من الآيات جمعت بين النعمة المادية والنعمة الروحية، كقوله تعالى عن الأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[4].

---

(١) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء العشرون - ص ٧.

(٢) سورة الملك: ٥.

(٣) انظر: ضيف: د. شوقي - سورة الرحمٰن وقصار السور عرض ودراسة - ص ٧٢ - دار المعارف - مصر.

(٤) سورة النحل: ٦- ٧.

المبحث الثاني
الفلك التي تجري في البحر

تمهيد

إن بناء السفن وركوب البحر رافق الإنسان منذ القدم، وقصة نوح -عليه السلام- وبناؤه السفينة دليل على ذلك، ويرى بعض المفسرين أن: «أول من عملها نوح -عليه السلام-[١]، والذي يرجح هذا القول أن من الأقوال التي ساقها المفسرون في سخرية قوم نوح منه»؛ لكونهم رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت، قالوا: يا نوح، ماذا تصنع ؟ قال أبني بيتا يمشي على الماء، فعجبوا من قوله وسخروا منه»[٢].

أما بالنسبة لبناء السفن من أجل ملاحة البحار، فتطالعنا الأحداث «أن المصريين وسكان كريت كانوا أول بناة سفن وملاحين عظام»[٣].

«لقد كان الإنسان القديم يصنع سفينته من الخشب، وكان يعتقد أن الماء لا يحمل إلا ما يكون أخف منه وزناً، وحينما تطور الفكر الإنساني بالترقي في العلوم والمكتشفات، توصل بعضهم إلى أن السفن الحديدية سوف تطفو يوماً ما على سطح الماء؛ كما تطفو السفن المصنوعة من الخشب»[٤].

نعمة الفلك:

من النعم التي حبانا الله تعالى إياها ما سخره لنا من الوسائل البرية والبحرية التي تحملنا وأمتعتنا. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ

---

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثاني - ص١٣١.
(٢) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - الجزء الخامس - ص ٢٢١.
(٣) كينج - الماء معجزة الطبيعة - ص ١٥٨.
(٤) هيتو: د. محمد حسن - المعجزة القرآنية - الإعجاز العلمي والغيبي (الدين والرسول والكتاب) ص ٢١٦ - الطبعة الأولى ١٩٨٩ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[1].

وفي الآية الكريمة تأكيد لهذا الإنسان بأن لا ينسى ولا يتناسى هذه النعمة العظيمة التي سخرها الله وذللها للإنسان. فلولا هذه الوسائل لشق الأمر علينا ولما أطقنا سفراً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[2]؛ أي «وما كنا له مطيقين»[3].

ولما كانت هذه النعم من أعجب نعم الله، قال سبحانه: «وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا؛ أي تقولون سبحان الذي ذلله لنا وجعله منقاداً لنا متعجبين من ذلك[4].

فبهذه الفلك اتصل الإنسان بالدول والقارات، وجاب البحار والمحيطات ونقل بضاعته إلى أرجاء المعمورة. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5].

الفلك آيةٌ من آياتِ الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[6] ومعنى حمل الذرية هنا: «أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين، وفي أصلابهم هم وذرياتهم، وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الإمتنان عليهم، وأدخل في التعجيب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح»[7].

فجريان الفلك على الماء دون أن تغرق آية يرى من خلالها الإنسان نعم الله وآلاءه وآياته. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى

---

(١) سورة الزخرف: ١٢- ١٣.
(٢) سورة الزخرف: ١٣.
(٣) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٦٨.
(٤) انظر: - الألوسي - روح المعاني - الجزء الخامس والعشرون - ص ٦٨.
(٥) سورة النحل: ١٤.
الفلك المواخر: «التي يسمع صوت جريها».
«الفيروز أبادي - القاموس المحيط - الجزء الثاني - ص ١٣٦».
(٦) سورة يس: ٤١.
(٧) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ١٨.

﴿ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1]، فهي «تجري في البحر وفق النواميس التي أودعها الله في البحر والفلك والريح والأرض والسماء، فخلقه هذه الخلائق بخواصها هذه هي التي جعلت الفلك تجري في البحر ولا تغطس أو تقف، ولو اختلت تلك الخواص أي اختلال ما جرت الفلك في البحر. لو اختلت كثافة مادة الفلك، لو اختلت نسبة ضغط الهواء على سطح البحر، لو اختلت التيارات المائية والهوائية، لو اختلت درجة الحرارة عن الحد الذي يبقي الماء ماءً، ويبقي تيارات الماء والهواء في الحدود المناسبة.. لو اختلت نسبة واحدة أي اختلال - ما جرت الفلك في الماء، وبعد ذلك كله يبقى أن الله هو حارس الفلك وحاميها فوق ثبج الأمواج وسط العواصف والأنواء[2]، حيث لا عاصم لها إلا الله؛ فهي تجري بنعمة الله وفضله على كل حال. ثم هي تجري حاملة نعمة الله وفضله كذلك. والتعبير يشمل المعنى وذاك: ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾.. وهي معروضة للرؤية، يراها من يريد أن يرى، وليس بها غموض ولا خفاء...»[3].

تشبيه الفلك بالجبال:

قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[4]؛ أي «السفن الجاريات في البحر المرفوعات الأشرعة كالجبال الشاهقة»[5].

وتشبيه الفلك بالجبال فيه دلالة على تقدم علم هندسة السفن وصناعتها على مر العصور، وعلى تقدم الإنسان في هذا العلم لأن مثل هذه السفن الضخمة بحاجة إلى قوة تدفعها حتى تشق طريقها فضلاً عن وسائل التحكم بها[6].

---

(١) سورة لقمان: ٣١.

(٢) النوء: النجم إذا مال للمغيب، والجمع أنواء، والنوء أيضا النهوض وهو من الأضداد، وكانت العرب في الجاهلية. تربط بين سقوط النجم ونزول المطر فيقولون مطرنا بنوء.
انظر: «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ١٧٥ - ١٧٦».

(٣) سيد قطب - في ظلال القرآن - الجزء الخامس - ص ٢٧٩٧.

(٤) سورة الرحمٰن: ٢٤.

(٥) جبر: أيمن عبد العزيز - روائع البيان لمعاني القرآن - ص ٥٣٢. الطبعة الأولى - راجعه: - د. أحمد نوفل - د. أحمد شكري. دار الأرقم - عمان - الأردن.

(٦) أنظر: الغمراوي: محمد أحمد - الإسلام في عصر العلم - ص ١٩٣ - ١٩٤- إعداد: - د. أحمد عبد السلام الكرداني - الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

ويلاحظ أن الله تبارك وتعالى قد نسب الفلك له رغم أنه مالك لكل شيء؛ «للإشارة إلى أن كونهم هم منشؤوها لا يخرجها من ملكه عز وجل حيث كان تمام منفعتها إنما هو منه»[1]. وهذه لطيفة قرآنية؛ لأن الفلك في البحر لا يملكه في الحقيقة أحد سوى الله تعالى إذ لا تصرف لأحد في هذه الفلك وإنما كلهم منتظرون رحمة الله معترفون وهم في وسط البحر أن أموالهم وأرواحهم في قبضة قدرة الله عز وجل[2].

الفلك المشحون:

قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[3]، والمشحون: «المملوء»[4].

وفي وصف الفلك بالمشحون إشارة واضحة إلى أن الفلك المثقل بالحمولة كان من شأنه أن يغوص في الماء ويغرق لولا سنة الله التي اقتضت بأن لا يغوص من السفينة إلا القدر الذي يكفي لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة[5].

الرياح والفلك:

رغم تطور العلم إلا أن الرياح لا زال لها تأثيرها الكبير في سير الفلك، فإذا سكنت الريح سكنت معها السفن على ظهر البحر. قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾[6]. وإذا عصفت الريح وهاج معها البحر وماج أحدق الخطر بالفلك كذلك. قال تعالى: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[7].

لذلك يفرح راكب الفلك ويطمئن بالريح اللينة. قال تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ

---

(١) الألوسي - روح المعاني - الجزء السابع والعشرون - ص ١٧٠.

(٢) انظر: الفخر الرازي - الجزء التاسع والعشرون - ص ١٠٢.

(٣) سورة يس: ٤١.

(٤) النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص ٤٠١.

(٥) انظر: الغمراوي - الإسلام في عصر العلم - ص ١٩٢.

(٦) سورة الشورى: ٣٣.

(٧) سورة يونس: ٢٢.

طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾[1] والريح الطيبة هي «اللينة الهبوب»[2].

---

(١) سورة يونس: ٢٢.

(٢) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٤٣٢.

المبحث الثالث
الإعجاز العلمي في البحار والأنهار

أمواج البحار:

١- أمواج الرياح والعواصف:

كان المعروف سابقاً قبل تطور العلم الحديث أن الموج لا يأتي إلا من جهة واحدة وقد أثبت العلم أنه حينما يكون الريح عاصفاً فإن الموج يأتي من كل مكان[١].

وهذه الحقيقة العلمية تضمنها القرآن الكريم قبل أن يثبتها العلم بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾[٢]. وقد ربطت الآية الكريمة بين الأمواج والعواصف وهذا ما أكده العلم أيضاً؛ «فمن ذلك أن تلاطم الأمواج المتكسرة على إحدى الشواطى الغربية للمحيط الهادي ينبئ عن عواصف قد ثارت على بعد آلاف الأميال. . .»[٣]؛ فإذ جاء الموج من كل مكان فإن الخوف يكون من كل مكان.

وقوله تعالى: ﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾؛ «غلب على ظنونهم الهلاك؛ وأصله من إحاطة العدو بقوم أو ببلد»[٤] وكما ربطت الآية الكريمة بين موج العواصف - الذي يأتي من كل مكان ويحدث الموت والهلاك والدمار - ربط علماء البحار كذلك بين هذه الأحوال؛ وما يحدث في شواطئ البحار والمحيطات شاهدٌ على ذلك.

فموج العواصف؛ قد يحطم السفن ويزهق الأرواح؛ بل قد يتعدى إلى السواحل

---

(١) قوش - الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم - ص ١٦٠.

(٢) سورة يونس: ٢٢.

(٣) كاون - البحار وما فيها - ص ٢١١.

(٤) الشوكاني- فتح القدير - الجزء الثاني - ص ٥٥٤.

فيكون التدمير أكبر والخسائر أكثر[1]؛ «ففي ١٨٧٢م اقتلعت موجة عاتية في اسكتلندا مرسى حديدياً زنته مليونان و ٧٠٠ ألف رطل»[2].

ولضخامة هذا الموج جاء القرآن الكريم يصفه مرة بالظلل، ومرة بالجبال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾[3].

والظلل: «كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما»[4].

وقال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[5]. ولقد بلغ ارتفاع بعض الأمواج ٣٣,٦ مترا[6]؛ وهذا الارتفاع يضاهي ارتفاع الجبال.

وجدير بالذكر أن كتلة المياه لا تتحرك ولا تنتقل مع الموجة؛ ولكن الذي ينتقل ويتحرك هو الطاقة الدافعة؛ فجزيئات الماء تتحرك في مسار دائري أو بيضاوي يتعامد على خط مرور الموجة، وبعدها تعود قريباً من مكانها الأصلي، ولو تحركت كتل الماء مع الأمواج لتعذرت الملاحة البحرية ولما استطاع الإنسان أن يسكن على شواطىء البحار[7].

٢- أمواج الزلازل:

في عام ١٩٠٠ اكتشف علماء البحار الاسكندنافيون أن في البحار والمحيطات أمواجاً داخلية غير الأمواج السطحية المعروفة، وقد صورت هذه الأمواج عام ١٩٧٣

---

(١) انظر جوده - جغرافية البحار والمحيطات - ص ١٩٢.

(٢) نوفل - الله والعلم - ص ١١٠.

(٣) سورة لقمان: ٣٢.

(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٨٧.

(٥) سورة هود: ٤٢.

(٦) انظر: جوده - جغرافية البحار والمحيطات - ص١٩٢.

(٧) انظر: المرجع السابق - ص ١٢٦. «فقطرة الماء في أية موجة تتحرك حركة دائرية ثم تعود إلى موضعها الأصلي تقريباً، ولذا يتخبط الجسم الطافي إلى أعلى وإلى أسفل المياه العميقة. فالريح تجرف الماء ببطء إلى الأمام، مكونة الدورة السطحية البطيئة،ولكن في حالة الأمواج فإن الشكل، وليس الماء هو الذي يتحرك وحركته كثيراً ما تشبه حركة موجه تعملها الريح على عشب طويل أو سنابل قمح».

«فوستر: روبرت - ج - الجيولوجيا العامة - ص٣٤١-٣٤٢ ترجمة: د. عبد القادر عابد و د. شاكر رسمي المقبل و د. سعد حسن الباشا - منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٠».

سطة الأقمار الصناعية، وطول هذه الأمواج يبلغ حوالي ١٠ كم وسمكها آلاف الأمتار، والمسافة بين الموجة السحيقة والأخرى المجاورة لها في الأعماق تبلغ حوالي ٣-٤ كم، وهذا النوع من الأمواج لا يوجد إلا في البحار المظلمة[(١)]. وهذه الأمواج تحدثها الزلازل داخل المياه تفوق سرعتها أحيانا سرعة الطائرة[(٢)].

وقد ربط القرآن الكريم بين البحار العميقة المظلمة وبين الأمواج المتراكبة. قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[(٣)].

فإذا رافق الأمواج الداخلية أمواج خارجية فعندها ستركب الأمواج بعضها بعضاً. قال تعالى: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾. وهذا يعني أن القرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة العلمية قبل أن يكتشفها العلم الحديث.

٣- أمواج المد والجزر:

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[(٤)].

«تنشأ ظاهرة المد والجزر عن قوى جذب القمر والشمس للمياه؛ فالمياه في طبيعتها تستجيب لقوى جذب الأجرام السماوية البعيد منها والقريب؛ ولكن جذب النجوم -نظراً لبعدها الشاسع عن المسطحات المائية على الأرض - ضئيل جداً لا يكاد يتأثر به سطح البحر. وتأثير القمر في إحداث المد أقوى من تأثير الشمس؛ لأن

(١) انظر: قوش - الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم - ص١٦١.

(٢) انظر: لين - كل شيء عن البحر - ص ٣٣.

(٣) سورة النور: ٤٠.

والعلم يثبت: أن أعظم الأمواج تنشأ في المحيطات لاتساع مجالها حيث تكون هذه الأمواج مدفوعة برياح دائمة الهبوب دون أن يعترضها عائق، وفي عام ١٩٦١ وصل ارتفاع الأمواج في غرب المحيط الأطلسي إلى ٢٢ م، وحينما تصل هذه الأمواج إلى مياه ضحلة فإنه يشتد انحدار قممها وتتجعد، ثم تتكسر.

انظر: «جوده - جغرافية البحار والمحيطات - ص ٣٤٩».

(٤) سورة يس: ٣٨ - ٣٩.

الشمس بعيدة هي الأخرى عن الأرض؛ أما القمر فقريب منها نسبياً...»[1].

ظلام البحار:

عند سقوط أشعة الشمس على البحار والمحيطات ينعكس جزء منها، وأن قدراً ضئيلاً جداً من ضوء الشمس يصل إلى مسافة تتجاوز ألفين ومائتي قدم تحت سطح البحر، وقد يصل في المياه الراكدة إلى ٣٠٠٠ قدم، أما تحت هذا العمق فيسود ظلام دامس، ليل بلا نجوم ولا قمر[2]، وقد جاء القرآن الكريم يربط بين ظلمة البحر وعمقه قبل أن يكتشفه العلم الحديث بقوله تعالى: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾[3].

اللجي: «العميق الكثير الماء منسوب إلى اللجج وهو معظم ماء البحر»[4].

وقد ثبت أن في البحار «عشرين لجة تصل أعمقها إلى ١١٥١٦ متراً»[5]

ولما كان الضوء لا يصل إلى هذه المناطق المظلمة وجاء السحاب ليزيد الظلمة ويحجب ضوء الشمس أو نور القمر والكواكب فإن درجة الظلمة عندها تصل إلى درجة أن الإنسان ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[6]، فمثل هذه الدقائق العلمية التي جاء بها القرآن ونطق بها سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - لدليل واضح على صدق ما أخبر به الرسول - عليه الصلاة والسلام - الذي ما ركب بحراً.

---

(١) جوده - جغرافية البحار والمحيطات - ص ١١٩.

(٢) انظر: كينج - الماء معجزة الطبيعة - ص ٦٨.

(٣) سورة النور: ٤٠.

(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٢٣٧.

(٥) الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١١٤. وتوجد في البحار والمحيطات أودية كأودية البر ولكنها أكثر عمقاً، ويبلغ عمق بعض هذه الأودية ٣٥ ألف قدم تحت سطح البحر، هذا العمق أعظم من أي جبل على البر فلو كانت قمة افريست في البحر فسيكون سطح البحر فوقها بمسافة ميل.
انظر: «خان - وحيد الدين - الإسلام يتحدى - ص ١٤٨ -تعريب: ظفر الإسلام خان - مراجعة وتحقيق: د. عبد الصبور - الطبعة الثانية ١٩٧٣ - دار البحوث العلمية».
وفي البحار أيضاً جبال. "وأضخمها السلسلة الجبلية الممتدة مسافة ٦٠ ألف كيلو متر في المحيط الهادي والمحيط الهندي والمحيط الأطلسي وارتفاعها يتراوح بين مائة وثلاثة آلاف متر».
«الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١١٤».

(٦) سورة النور: ٤٠.

برزخية البحار:

التقاء البحار بالبحار:

لما غزا نابليون[١] مصر حشد معه بجانب حملته البرية والبحرية حملة علمية أراد أن يصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط بقناة يتمكن بها من حشد أساطيله لمهاجمة الهند وانتزاعها من إنجلترا، والذي حال دون ذلك جهل علمائه بحقيقة علمية تضمنها القرآن الكريم، حيث قالوا: باستحالة اتصال البحرين؛ لأن البحر الأحمر أعلى من البحر المتوسط، ولو تحقق هذا المشروع لطغى الماء وأغرق الدلتا وطور سيناء، وما هي إلا عشرات السنين حتى حفرت القناة ولم تغرق الدلتا[٢] ولا طور سيناء ولم يطغ أحد البحرين على الآخر[٣]. وهذا يعني أن مستوى سطح البحر واحد[٤]، ولو كان على الأرض بحار أعلى من بحار لطغى البحر العالي على البحر المنخفض وبالتالي ستغرق اليابسة وستنتهي الحياة عندئذ على سطح هذا الكوكب.

وقد سبق القرآن الكريم ركب العلم في إثبات هذه الحقيقة العلمية الحديثة في أن البحار إذا التقت لا تطغى على بعضها. قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[٥]؛ مرجهما «خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما

---

(١) نابليون (١٧٦٦-١٨٢١م).
ولد نابليون في جزيرة كورسيكا، وهو من سلالة إيطالية، نشأ نشأة عسكرية منذ باكورة شبابه، وكان من الذين رحبوا بالثورة الفرنسية، وحظي الجمهوريون بإعجابه الشديد. قاد حملته العسكرية إلى مصر التي من أهدافها طرد الإنكليز من ممتلكاتهم التي ملكوها واصطحب معه عدداً من العلماء للتعرف على آثار ذلك البلد.
انظر: «جرانت: ١. ج وهارولد تمبرلي - أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠ - الجزء الأول - ص٩٦-١٠٨ ترجمة: بهاء فهمي عن الطبعة السادسة - مؤسسة سجل الغرب القاهرة».

(٢) دلتا: أو (دال النهر) وهي: أرض فيضية مروحية الشكل تتكون عند التقاء مصبات الأنهار بمياه البحار الهادئة ولقد اشتق الاسم من الإغريقية للدلالة على الأرض الفيضية التي كونها نهر النيل؛ إذ أن هذه الأرض تشبه في شكلها الحرف الرابع من الأبجدية الإغريقية.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٢٢٥».

(٣) انظر: سليمان: أحمد محمد - القرآن والطب - ص ٣٩ - الطبعة الرابعة ١٩٨١ - دار العودة بيروت.

(٤) «ويعد مستوى سطح البحر المستوى القياسي المتعارف عليه لحساب ارتفاعات جميع الأماكن على سطح الأرض، ويتمثل في الخرائط كمنسوب الأساس».
«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٤٧٩».

(٥) سورة الرحمٰن: ١٩ -٢٠. والبرزخ: «ما بين كل شيئين. والميت في البرزخ لأنه بين الدنيا والآخرة». «الفراهيدي -العين - الجزء الرابع - ص ٣٣٨».

ويمنعهما التمازج»[١].

فقد قام علماء متخصصون بعلم المياه بإجراء التجارب على ملتقى المياه. «ففي عام ١٩٦٢ اكتشفت بعثة مائية جاءت لتدرس مياه باب المندب، أن هناك حاجزاً من المياه تختلف خصائصه عن خصائص البحر الأحمر وخصائص المحيط الهندي»[٢].

وتأكيداً لذلك ففي «عام ١٩٨٢ جاءت بعثة علمية أمريكية إلى جامعة الملك عبد العزيز - السعودية فذكرت: أن هذا الحاجز من مياه باب المندب قد صور من سفن الفضاء الأمريكية، وظهر أن هذا الحاجز يتحرك بالمد والجزر والرياح. . . وعمقه في البحر يقارب ألف متر تقريباً»[٣].

إن مثل هذه الدقائق العلمية لهي دليل وبرهان على أن ما نطق به محمد - عليه الصلاة والسلام - إنما هو وحي من الله العزيز الحكيم؛ فما أثبته العلم الحديث بالتجارب والأبحاث صرح به القرآن قبل ١٤٠٠ عام من الزمان.

ويرجع عدم اختلاط مياه البحار ببعضها عند التقائها إلى أن مياه كل بحر مغاير لمياه البحار الأخرى في صفاتها الكيميائية مما يمنع اختلاط المياه ببعضها، حتى الكائنات في هذا البحر تختلف عنها في البحر الآخر. وإذا جاءت ريح عاصفة فطغى أحد البحرين على الآخر وانتقلت الكائنات معها، فبعد قليل وحينما يزول ما سبب انتقالها تعود المياه إلى أماكنها حاملة معها أحياءها، ولو ارتفعت بعض الأحياء من الطبقات العميقة إلى الطبقات العليا لسبب ما لأدركها الموت كما لو خرجت أسماك

---

(١) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٢٧٩.

(٢) أبو السعود - إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن - ص٤١.

(٣) المرجع السابق - ص ٤٦.

وانظر قوش - الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم - ص ١٥٩.

«وعندما تلتقي مياه المحيط الأطلسي بمياه البحر المتوسط -التي هي أثقل منها - تبقى هذه الأخيرة في الطبقات السفلى وتندفع غرباً نحو المحيط الأطلسي، وكذلك لا تختلط مياه البحر الأسود عندما تلتقي بمياه البحر الأبيض المتوسط في مضيق البوسفور؛ بل تشكلان مجريين متلاصقين فوق بعضهما، فمياه البحر الأسود الأقل ثقلاً تجري في الأعلى نحو البحر الأبيض المتوسط ومياه البحر الأبيض المتوسط وهي الأثقل لأنها الأملح، تجري في الأسفل متجهة نحو البحر الأسود».

«الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١٠٨».

الطبقة العليا إلى البر[١].

التقاء الأنهار العذبة بالبحار الملحة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[٢].

الفرات: «البليغ العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة»[٣].

ملح أجاج: «بليغ الملوحة»[٤].

حجراً محجوراً: أي «ستراً مستوراً يمنع احداهما من الاختلاط بالآخر؛ فالبرزخ الحاجز، والحجر المانع»[٥].

والمراد بهذه الآية الكريمة «لزوم كل منهما لصفته من العذوبة والملوحة فلا ينقلب البحر العذب ملحاً في مكان، ولا البحر الملح عذباً في مكان، وذلك من كمال قدرته تعالى وبالغ حكمته عز وجل...»[٦].

والأمثلة على عدم اختلاط الأنهار العذبة بالبحار الملحة كثيرة ومتعددة في العالم؛ ففي «إيران أنهار تقفل مياهها عائدة إلى مجاريها التي أتت منها عندما تلتقي بمياه البحر، ونهر (الأمازون) يجعل مياه المحيط الأطلسي عذبة لمسافة مئات الكيلومترات من مصبه فيه»[٧].

إن مثل هذه الأمور لتجري في غاية من الدقة والحكمة أتقنها وأحكمها العزيز الحكيم. ولا بد من قانون يضبطها ويحكمها؛ هذا القانون يعرف: بـ «قانون المط السطحي Surface Tension، وهو يفصل بين السائلين؛ لأن «تجاذب الجزيئات يختلف من سائل لآخر ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله»[٨].

---

(١) انظر: سليمان - القرآن والطب - ص ٤١.
(٢) سورة الفرقان: ص٥٣.
(٣) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٢٧٩.
(٤) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ١٤٤.
(٥) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر- ص ٤٠.
(٦) الألوسي- روح المعاني - الجزء التاسع عشر - ص ٣٤.
(٧) الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١٠٨.
(٨) خان - الإسلام يتحدى - ص١٤٣.

ويمكن «فهم هذا القانون بمثال بسيط، وهو أننا لو ملأنا كوباً من الماء فإنه لن يفيض إلا إذ ارتفع عن سطح الكوب قدراً معيناً، والسبب في ذلك أن جزيئات السوائل عندما لا تجد شيئاً تتصل به فوق سطح الكوب تتحول إلى ما تحتها، وعندئذ توجد غشاوة مرنة على سطح الماء، وهذه الغشاوة هي التي تمنع الماء من الخروج عن الكوب لمسافة معينة. «وهي غشاوة قوية جداً لدرجة أننا لو وضعنا عليها إبرة من حديد فإنها لن تغوص داخل الماء بسبب هذه الغشاوة»(١).

التقاء الأنهار العذبة بالأنهار الملحة:

إن ما يجري عند التقاء الأنهار العذبة بالبحار الملحة من عدم اختلاطهما ببعضهما رغم التقائهما يجري كذلك على الأنهار العذبة بالأنهار الملحة؛ فعندما يلتقي نهر عذب بآخر مالح فإنهما لا يختلطان ولا يمتزجان ببعضهما، ف «على سبيل المثال، نهران يسيران في (تشانغام) بباكستان الشرقية إلى مدينة (أركان) في (بورما)، ويمكن مشاهدة النهرين مستقلاً أحدهما عن الآخر، ويبدو أن خيطاً يمر بينهما حداً فاصلاً؛ والماء عذب في جانب، ملح في جانب آخر... وهكذا... عند ملتقى نهري (الكنج) و (الجامونا)، في مدينة (الله آباد) فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما، ويبدو أن خيطاً فاصلاً يميز أحدهما عن الآخر»(٢).

استخراج الحلية من الماء العذب:

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾(٣).

=انظر: خضر - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ص ٣٠ - ٣١.
- هيتو - المعجزة القرآنية - ص ١٧٨.

(١) هيتو - المعجزة القرآنية - ص ١٧٩.
وانظر: خضر - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ص ٣٠-٣١.

(٢) خان: الإسلام يتحدى - ص ١٤٢.
وانظر: هيتو - المعجزة القرآنية - ص ١٧٧.
- الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١١٧.
- خضر - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ص ٣١.

(٣) سورة الرعد: ١٧.

تشير الآية الكريمة إلى أن ماء السماء إذا نزل وخالط الأرض وجرى في أوديتها علاه زبدٌ، وأما ما ينفع الناس من الحلية وغيرها فيمكث في الأرض. وقد «ثبت في الكشف الحديث أن اللؤلؤ كما يستخرج من البحر الملح يستخرج من البحر العذب، وكذلك المرجان وإن كان الغالب أنه لا يستخرج إلا من الماء الملح»[1]. وتأكيداً لذلك فقد ثبت «أن اللآلئ تستخرج من نهر المسيسبي في أمريكا، كما تستخرج أيضاً من بعض أنهار اسكتلاندا، وايرلندا، والصين، واليابان. وتستخرج أيضاً من قنوات تجري في غابات (بارفايا)، في ألمانية الغربية؛ كما تستخرج من أنهار في بلاد (سيام والبنجال)[2]. وقد جاء القرآن الكريم مثبتاً لهذه الحقائق قبل أن يكتشفها العلم الحديث. قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[4]. أما أماكن الملتقى المائي من الملوحة والعذوبة فهو مليء بالخيرات التعدينية كذلك؛ فقد «صوروا ورصدوا بأحدث الأجهزة العلمية من سفن الفضاء مناطق البحر المحجور عند ملتقى الأنهار والخلجان والبحار والمحيطات؛ فوجدوها عظيمة الثروة الحيوية والتعدينية»[5].

---

(١) المراغي: أحمد مصطفى - تفسير المراغي - الجزء السابع والعشرون - ص ١١٣- دار إحياء التراث - بيروت.

(٢) صدقي: نعمة - معجزة القرآن - ص ٥٣ - دار بو سلامه للطباعة والنشر والتوزيع - تونس.

(٣) سورة فاطر: ١٢.

(٤) سورة الرحمٰن: ٢٢. وتوجد «اللآلئ في المياه العذبة في إنجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان... ويوجد الياقوت كذلك في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من باندالاس في بورما العليا، أما في سيام وفي سيلان فيوجد الياقوت غالباً في الرواسب النهرية...».
«الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٦٤٥».

(٥) ناصر - الكون والقرآن - ص ٣٣٣.

المبحث الرابع

الآيات التي ذُكر فيها البحر مع البر

علم الله ما في البر والبحر:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]. أحاط علمه بدقائق الأمور جميعها، صغيرها وكبيرها من الذرة حتى المجرة، لا يسكن متحرك ولا يتحرك ساكن إلا بأمره وعلمه، ولا تخرج ثمرة، ولا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلمه وإذنه، سبحانه ! ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾[2].

وخص الله البر والبحر «بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر»[3]. .وقدم ذكر البر؛ لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال وكثرة ما فيها من الدواب، وأما البحار فإحاطة العقل بأحوالها أقل، إلا أن الدلائل على عجائب البحار أكثر وأعظم، وما فيها من المخلوقات أعجب[4].

ويعرف العلماء في البحار أكثر من عشرين ألف نوع من الكائنات الحية[5] ولربما هنالك أنواع أخرى لم يكتشفها العلم بعد، فإذا كانت هذه أنواعها فما هي أعدادها ورغم هذا كله، فإن الله تعالى قد أحاط علمه بكل كائن منها؛ فطعامه وشرابه وتكاثره وتناسله وحياته وموته إنما هو بأمر الله وقدره وعلمه، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: ٥.

(٢) سورة الأنعام: ٥٩.

(٣) القرطبي:- الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع - ص٥.

(٤) انظر:- الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الثالث عشر - ص١٠.

(٥) انظر: ص ١٣١ من هذا البحث.

الاهتداء

أرسل الله رسله وأنزل كتبه لهداية الناس، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١). وخلق الله نجوماً وكواكب يهتدي بها الناس في حلهم وترحالهم فأكمل الله هدايته للناس بإخراجهم من كل ظلمة أنّى كانت.

فالناس في النهار يعرفون الأوقات عن طريق الشمس، وبالليل حيث لا شمس ولا نور يهتدون بالنجوم(٢)، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(٣).

ولقد «كانت الأجرام السماوية منذ فجر حضارة البشر وما تزال هي المعالم التي يهتدي بها الإنسان في سفره براً وبحراً، ويستفاد منها في رصد الشمس والقمر والنجوم الثوابت على الأخص في تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاه غايته، ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فناً دقيقاً يعتمد عليه، وذلك باستخدام آلات السدس(٤) وما إليها وبالرجوع إلى الجداول الخاصة بذلك؛ بل إن رجال الفضاء في الآونة الأخيرة، قد استعانوا بالشمس والنجوم في تحديد اتجاهاتهم في بعض مراحل أسفارهم. وبذلك تم تعرف الإنسان على المكان بالنجوم»(٥)، قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٦).

فهذه الهداية من الله وحدها تكفي، لأن يعترف الناس بفضل الله عليهم وقدرته على كل مقدور، فرغم بعد الكواكب والنجوم في السماء عن الأرض إلا أن الله – سبحانه وتعالى– سخرها لهداية البشر وبذلك تكتمل دائرة الهداية بين السماء

---

(١) سورة المائده: ١٦.
(٢) انظر: – الفخر الرازي – التفسير الكبير – الجزء الثالث عشر – ص ١٠٠.
(٣) سورة الأنعام: ٩٧.
(٤) آلة السدس: عباره عن آله بصريه ذات مقياس مدرج. على شكل قوس دائرته طولها سدس محيط الدائرة. تستعمل لقياس الأبعاد.
انظر: «خباط – معجم المصطلحات العلمية والفنية – ص ٣١١».
(٥) الشؤون الإسلامية – المنتخب – ص ١٨٩.
(٦) سورة النحل: ١٦.

والأرض وفي البر والبحر. فهل من أحد غير الله يفعل مثل هذا ؟! . ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

الإنسان بين الرخاء والشدة:

لقد خلق الله الإنسان كريماً مكرماً وفضله على كثير من خلقه، وسخر له ما يحمله ويركبه في البر والبحر مذللاً له ومنقاداً ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(٢). «وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة وحملهم في البر والبحر»(٣). ولما كان البحر عرضة للعواصف والأمواج - التي قد تودي بحياة الإنسان - جاء القرآن الكريم يصف حال الإنسان عندما تحيط به مثل هذه الأحوال التي قد توصله إلى حقيقة الإيمان وبر الأمان، ولكن كثيراً من الناس سرعان ما يعود إلى الجحود والنكران. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾(٤).

إنها قصة عجيبة ربطت بين مشاهد الطبيعة وخلجات النفوس، فعندما تكون الأحوال الجوية هادئة والريح لينة الهبوب فإن الفلك تجري على أحسن حال والناس على متنها يكونون فرحين مطمئنين، فإذا عصف الريح وجاء الموج من كل مكان تغير حال الإنسان واضطربت جوارحه وفزع إلى ربه قاطعاً العهد على نفسه ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٥).

تشير الآية الكريمة إلى ضعف الإنسان وقلة حيلته عندما تعصف به الشدائد، وأنه

---

(١) سورة النمل: ٦٣.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

(٣) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ١٩٠.

(٤) سورة يونس: ٢٢- ٢٣.

(٥) سورة الأنعام: ٦٣.

مهما أوتي من علم وقوه إذا أحدق به الخطر وأيقن بالهلاك انقطعت آماله من كل مخلوق وتوجه إلى ربه وأخلص له الإيمان، فهذا الطاغية فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية عندما أدركه الغرق وأيقن الهلاك صاح قائلا: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[1] اعترف أنه «فرد من جماعه بقوله»[2]: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3].

«يحكى أن واحداً قال لجعفر الصادق[4]: أذكر لي دليلاً على ثبات الصانع فقال: أخبرني عن حرفتك: فقال: أنا رجل أتجر في البحر، فقال صف لي كيفية حالك. فقال: ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح واحد من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة، فقال جعفر: هل وجدت في قلبك تضرعاً ودعاءً فقال: نعم، فقال جعفر: فإلهك هو الذي تضرعت إليه في ذلك الوقت»[5].

فالذي ينجي من الكروب والشدائد ومن ظلمات البر والبحر هو الله وحده. ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾[6].

وظلمات البر والبحر هنا «مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما. يقال: لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب؛ أي اشتدت ظلمته حتى عادت كالليل، وحقيقة الكلام فيه أنه يشتد الأمر عليه ويشتبه عليه كيفية الخروج، ويظلم عليه طريق الخلاص»[7]. فإذا

---

(١) سورة يونس: ٩٠.

(٢) رضا - المنار - الجزء الحادي عشر - ص٤٧٥.

(٣) سورة يونس ٩٠.

(٤) جعفر الصادق: (٨٠ - ١٤٨هـ).

هو أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم أجمعين-، أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الامامية، وكان من سادات أهل البيت،ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقه تتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة. وتوفي في المدينة، ودفن بالبقيع.

انظر: «ابن خلكان - وفيات الأعيان - الجزء الأول - ص ٣٢٧».

(٥) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء السابع عشر - ص ٦٧- ٦٨.

(٦) سورة الأنعام: ٦٣-٦٤.

(٧) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الثالث - ص ٢١.

وصل إلى هذه الحال أخلص الدعاء إلى الله تبارك وتعالى وخاب رجاؤه إلا به، وكلما كانت المحنة شديدة كان التضرع أكثر. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(١). وليس هذا فحسب؛ بل عاهد الله تعالى على الإعتراف له بهذا الفضل؛ ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(٢)، ولكن بعد إنجائهم إذا بهم ينقسمون إلى فريقين: فريق صدق وأوفى بعهده ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾(٣)؛ أي «موفٍ بما عاهد عليه الله في البحر من إخلاص الدين له، باق على ذلك بعد أن نجاه الله من هول البحر وإخراجه إلى البر سالماً»(٤)، وفريق نقض العهد وعاد إلى الشرك من جديد، وهو الختار الكفور. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾(٥)؛ والختر هو: «أشد الغدر»(٦).

ظهور الفساد في البر والبحر:

ذُكر الفساد مقترناً بالبر والبحر في آية واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(٧).

وبين البر والبحر ترابط، فكلاهما مسخر للإنسان، وان ظهور الفساد في البر يعني ظهوره وانتشاره في البحر أيضاً، ولا يفسد البر والبحر إلا بفساد الإنسان. وكان الأولى بالإنسان أن يحافظ على نعم الله وآلائه؛ فكما مهد الله تعالى البر لعباده، مهد لهم البحر أيضاً بتسخيره وإحلاله في الحل والحرم. قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٨)، ولكن كثيراً من الناس لم يتدبروا ولم يعقلوا مثل هذه الآيات؛ فراحوا يفسدون ويكفرون؛ فأذاقهم الله بعض الذي عملوا.

---

(١) سورة لقمان: ٣٢.
(٢) سورة يونس: ٢٢.
(٣) سورة لقمان: ٣٢.
(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٣٠٥.
(٥) سورة لقمان: ٣٢.
(٦) انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٨٧.
- الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٣٠٥.
(٧) سورة الروم: ٤١.
(٨) سورة المائدة: ٩٦.

وفساد البر والبحر؛ بـ«الجدب، والقحط، وقلة الريع في الزراعات، والربح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة، وكثرة المضار»[1]. وفساد البر يعني فساد الحرث والنسل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾[2].

أما فساد البحر فيمتد ليشمل الذين يعيشون حوله. يقول العلماء: المراد بفساد البحر هنا: «مدن البحر وقراه التي على شاطئه»[3]. وما يحدث في النوادي والمسابح والملاهي التي أقامها الإنسان على شواطئ البحار لهو أكبر إفساد للبر والبحر.

وفساد البر والبحر إنما هو ثمرة المعاصي ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[4]، فمتى تعدى الإنسان حدود ربه؛ فإنه حتماً سيتعدى عندها حدود كل شيء ليصل تدميره وإفساده عند ذلك إلى البر والبحر.

ففي أفريقيا وخلال ثلاثين عاما فقدت هذه القارة ٨٠٪ من أحراجها الاستوائية، أما قارة أمريكا الجنوبية - والتي تشكل الأحراج الاستوائية فيها نصف الثروة الحرجية العالمية - فالتدمير فيها أكثر؛ والنتيجة تصحر الأراضي المتزايد والجفاف وتناقص الثروة الغذائية وتزايد المجاعة، وتعدى الإنسان كذلك على الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات فجعلها مكباً لنفاياته ومسرحاً لتجارب أسلحته، ومنذ ثلاثين سنة وحتى اليوم نقصت الثروة البحرية من الأسماك ٣٠٪ مما كانت عليه، وقضي على ٩٤٪ من الحيتان، وتضاءل أعداد الطيور البحرية إلى النصف[5]. فبدلاً من أن يحافظ الإنسان على هذه النعم التي سخرها الله له قام يدمرها بيده. وليس هذا فحسب بل تعدى إلى خالقها وموجدها.

فـ«في العاشر من نيسان من سنة ١٩١٢ إنطلقت من ميناء (ساوثمبتون) Southampton الإنكليزي في رحلة ترفيهية فخر الصناعة البحرية الباخرة (تيتانيك)

---

(١) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٦٦- ٤٦٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٣) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٦٧.

(٤) سورة الروم: ٤١.

(٥) انظر: الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١٣٤ - ١٣٥.

أو الباخرة التي لا تقهر، حاملةً عِليةَ القوم ونخبة المجتمع الدولي والمالي كما يصفون أنفسهم (؟). وقد بلغ الفخر والإعتزاز ببناة السفينة درجة كبيرة من الصلف والغرور فسموها بالباخرة التي لا تقهر، فلقد سمع أحد أفراد طاقمها يتشدق فخراً أمام بعض المسافرين بما ترجمته الحرفية (حتى الله نفسه لا يستطيع أن يغرق هذا المركب) ! وفي اليوم الثالث من سيرها شمالا في المحيط الأطلسي اصطدمت بجبل جليدي عائم ففتح فيها فجوة بطول ٩٠ متراً، وبعد ساعتين وربع استقرت الباخرة التي لا تقهر والجبل العائم من الفولاذ والحديد في قعر المحيط مع ١٥٠٤ من ركابها، وكانت بحموله ٤٦ ألف طن وطول ٢٤٦ متراً، علما أن تحذيراً مسبقا قد أنذر المسؤولين بوجود جبل جليد في طريق مسارها، إلا أن صلف الإنسان وغروره بقوته منعاه من أخذ الحيطة إلى درجة أن بعض المسافرين طلب متهكما قطعاً من جبل الجليد بعد اصطدام سفينتهم به ليضعوها في كؤوس شرابهم، اعتقاداً منهم، وكما قيل لهم، بأن سفينتهم لا تُحرق ولا تُغرق»[١].

وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ﴾[٢] ما يدلنا على أن رحمة الله سبقت غضبه في أن الله تعالى سيذيق الناس في الدنيا عذاباً قليلاً على أفعالهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾[٣]، وهذا العقاب الدنيوي السريع ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤] من الضلال إلى الرشد.

---

(١) انظر: الشريف - من علوم الأرض القرآنية - ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٢) سورة الروم: ٤١.
(٣) سورة النحل: ٦١.
(٤) سورة الروم: ٤١.

المبحث الخامس
مصير البحار يوم القيامة

اقتضت حكمة الله أن لا يبقى شيء على حاله حياً أو جماداً في السماء أو في الأرض قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1].

وهذه البحار المليئة بالماء لها أجل محدود تفنى بعده وتزول قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[2]؛ أي «أوقدت فصارت ناراً تضطرم»[3]، ومعلوم أن الشيء إذا أوقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة، فحينئذ لا يبقى في البحار قطرة من الماء[4].

ومعلوم أيضا أن الماء يطفىء النار. ولكن الله بقدرته يجعل هذا الماء يشتعل ناراً وهذا ليس بالأمر الغريب على الله تعالى؛ فالله سبحانه وتعالى جعل ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[5] وأخرج من السحاب برقاً وصواعق. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[6].

أما عن كيفية اشتعال النار في الماء؛ فالعلم يثبت أن الماء «سائل شديد الثبات فهو

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٢) سورة التكوير: ٦.

(٣) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ٤٨٢.
وانظر الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الحادي والثلاثون - ص ٦٨.

(٤) انظر: المرجع السابق - الجزء الحادي والثلاثون - ص ٦٨.

(٥) سورة يس: ٨٠.

(٦) سورة الرعد: ١٢- ١٣.

يتكون من اتحاد ذرات الأكسجين(١) والهيدروجين(٢)، ويحتاج إلى طاقة عالية ليتحقق هذا الاتحاد، ولكي يتحلل مرة أخرى فلا بد من قدر مماثل من الطاقة»(٣) ولكن الله تعالى بقدرته جمع هذه الذرات وبقدرته أيضا يفصل بينها: «ومن الممكن تحطيم إحدى هذه الذرات بفعل ضغط كهربائي من صاعقة مثلاً أو بفعل حرارة هائلة تندفع من باطن الأرض الملتهب عبر شق يحدثه انكسار في صخور القاع النارية، وهذه الذرات لها خاصية اشتعال سريع وشديد؛ فإذا حدث ذلك فإن المياه الموجودة في المحيطات والبحار والأنهار ستحول جميعاً إلى نار هائلة وجحيم حيث تجف كلها في وقت قصير»(٤). وإلى هذا ذهب عدد من العلماء والمفسرين كالسيد قطب. فقال: «وتفجير البحار يحتمل أن يكون تفجير مائها إلى عنصريه... وكذلك يحتمل أن يكون هو تفجير ذرات هذين الغازين كما يقع في تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية اليوم»(٥).

وأصبح من المعلوم أن باطن الأرض عبارة عن حمم بركانية مشتعلة(٦)، والدليل

---

(١) الأكسجين: غاز عديم اللون والطعم والرائحة، يذوب بقلة في الماء، وهو أثقل قليلاً من الهواء. والأكسجين: من أكثر العناصر إنتشاراً في الطبيعة فيحتوي الهواء الجوي على ٢١ ٪ بالحجم (أو ٢٣٪ بالوزن) من الأكسجين، ويحتوي الماء على ٨٨,٨١٪ بالوزن، كما تحتوي القشرة الأرضية على ٤٧,٣٪ من الأكسجين على صورة أكاسيد وأملاح أكسيجينية.
انظر: «طوبيا: د.سامي و د.عريان: نظير - الكيمياء العامة وغير العضوية (العناصر اللافلزية الشائعة)- ٣١٢ -٣١٥ - الطبعة الثالثة ١٩٦٨ - دار المعرفة - مصر».

(٢) الهيدروجين: غاز عديم اللون والطعم والرائحة، وهو أخف العناصر، ويفوق جميع الغازات في سرعة إنتشاره واندفاعه، وإذا خلط الهيدروجين بالأكسجين بنسبة ٢ : ١ ثم اشعل المخلوط فإنه يحترق بإنفجار شديد ويحدث أيضاً هذا الإنفجار في جميع المخاليط إذا تراوحت النسبة المئوية بالحجم للهيدروجين بين ٦، ٦٧، وتسمى تلك المخاليط بالمخاليط المتفجرة.
انظر: «طوبيا - الكيمياء العامة وغير العضوية - ص ١٠٧ - ٢٠٨».

(٣) ناصر - الكون والقرآن (مدارسه عقلية وإيمانية) - ص ١٨٤.

(٤) قوش - الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم - ص ١٦٢.
وانظر: خضر - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ص ٧٩.

(٥) سيد قطب - في ظلال القرآن الكريم - الجزء السادس - ص ٣٨٤٦ - ٣٨٤٧.
وانظر: هيتو - المعجزة الخالدة - ص ٢١٧.

(٦) البركان: «صخر تندفع من خلاله المواد المنصهرة والغازات المحبوسة في باطن الأرض إلى سطحها».
«توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٧٨».

على ذلك الزلازل والبراكين المنتشرة في أصقاع الكرة الأرضية ومن ضمنها البحار والمحيطات التي تشكل الغالبية العظمى منها؛ فـ«منطقة الأخاديد التي تطوق المحيط الهادي هي مسرح أعنف الزلازل التي ترج كوكبنا الأرضي... فلا غرابة إذاً أن اشتهرت هذه المنطقة بلقبها الجيولوجي[1] (طوق النار)»[2]. أضف إلى ذلك أن في البحار والمحيطات «خمسه عشر ألف بركان بين مشتعل وبارد»[3].

ولما كان باطن الأرض حمماً بركانية وناراً ملتهبة، وأنه إذا جاءت الساعة تغيرت معالم الأرض وتبدلت. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[4]، فإذا حدث هذا وتمزقت الأرض وتشققت فحينئذ يظهر ما في باطنها وتشتعل البحار ناراً.

وذهب عدد آخر من المفسرين والعلماء إلى أن تفجير البحار يكون بـ«فتح بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالمالح، وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحراً واحداً»[5] والله- سبحانه وتعالى- قد بين في كتابه الحكيم أن البحار لا تبغي على بعضها ولا يطغى مالحها على عذبها ولا عذبها على مالحها. قال تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[6] وبين تعالى أيضاً في كتابه أن حواجز الأرض إذا جاء يوم القيامة ذهبت

---

(١) الجيولوجيا: «علم دراسة تركيب وتاريخ الأرض، وهو بذلك يشمل دراسة المواد التي تتألف منها الأرض والحركات التي تؤثر في هذه المواد والأشكال الناتجه عنها، وتوزيع صخور القشرة وتاريخ الأرض وما عليها من نبات وحيوانات خلال العصور المختلفه «توني - معجم المصطلحات الجغرافيه - ص ١٧١».

(٢) كاون - البحار وما فيها - ص ١٧٤.
وقد ذهب الشيخ محمد عبده في تسجير البحار: «اضرامها ناراً فإن ما في باطن الأرض يظهر إذ ذاك بتشققها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخاراً ولا يبقى في البحار إلا النار...».
«محمد عبده:- تفسير القرآن الكريم - جزء عم - ص ٣٣ - الطبعة الثانية - دار بن زيدون - بيروت».

(٣) الشريف - من علوم الأرض القرآنيه - ص ١١٤.

(٤) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٥) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٧٠١.
وانظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الرابع - ص ٤٨١.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع عشر - ص ١٦٠.
- ابن العربي: محيي الدين - تفسير القرآن الكريم - الجزء الثاني - ص ٧٢٢. الطبعة الثانية - تحقيق: د. مصطفى غالب - دار الأندلس.

(٦) سورة الرحمٰن: ٢٠.

وسويت، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[1] وقد مر سابقا في المبحث الثالث من هذا الفصل أن الأرض لو كانت في مستوى واحد لا تعرج فيها، لغطاها ماء البحار والمحيطات بغلاف سمكه ميلان فلا يستعبد إذاً أن تفجير البحار يكون بزوال البرازخ والجبال التي أوجدها الله تعالى فتصير الأرض عندها مستوية لا تعرج فيها، ويعمها الماء قاطبة، ويختلط عذبها بمالحها وتبغي على بعضها.

وعليه فالأقوال في معنى تفجيرها وتسخيرها ثلاثة:

القول الأول: يكون بفصل ذرات المياه عن بعضها. فحينئذ تشتعل البحار ناراً وإلى هذا ذهب عدد من المفسرين والعلماء في العصر الحديث.

القول الثاني: يكون بإخراج البراكين النارية من باطن الأرض مخترقة اليابسة ومشعلة النارَ في البحار والمحيطات، والبراكين التي تحدث في أرجاء الكرة الأرضية شاهد على ذلك «وقد أمكن تصوير هذه البراكين وقياس حرارة الماء الموضعية حول النار الخارجة من قاع البحار»[2].

القول الثالث: تفجير البحار وتسجيرها يكون بزوال البرزخ من بينها فيختلط بعضها ببعض ويبغي بعضها على بعض. وتبقى هذه الأقوال محتملة كما أنها خالية من التناقض، وقد تفجر البحار بزوال البرزخ من بينها وتسجر فيها النار في آن واحد سواء كان بفصل ذرات الأكسجين عن الهيدروجين، أو بتفجير هذين الغازين؛ كتفجير القنابل الذرية والهيدروجينية، أو بأي طريقه أخرى أنى كانت.

على كل الأحوال فكل ما ورد في القرآن الكريم عن حال البحار يوم القيامة هو قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[4] وقوله تعالى:

---

(١) سورة طه: ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) أبو السعود - إعجازات حديثة علمية ورقمية - ص ٤٥.

وانظر القاسمي: محمد جمال الدين - تفسير القاسمي - المسمى محاسن التأويل - الجزء السابع عشر - ص٦٠٩٩٦ - الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

(٣) سورة الطور: ٦.

(٤) سورة التكوير: ٦.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[1] وان كيفية تسجير البحار وتفجيرها يبقى أمراً غيبياً، وأن الله بقدرته يفجرها ويسجرها كما يريد ويشاء وتبقى هذه اجتهادات محتملة قدمها المفسرون والعلماء.

---

(١) سورة الانفطار: ٣.

الفصل الخامس: السحاب والسماء.

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول : الرياح والسحاب والإعجاز العلمي فيهما:

- الرياح والسحاب.
- إثارة السحاب.
- وظائف الرياح:
- تلقيح السحاب.
- تلقيح النبات.
- علاقة الجبال بنزول الماء.
- أنواع السحب:
- السحب الركامية.
- السحب البساطي.
- السحاب العقيم.
- المطر الصناعي.

المبحث الثاني : الماء والسماء وعلاقتهما بطاعة الله تعالى:

- تمهيد.
- فتنة الماء.
- ثبات الماء على سطح الأرض.
- نزول الماء بقدر من السماء.
- ارتباط نزول الماء بالتقوى.
- الاستسقاء.
- الماء والصدقة.
- السحاب قد يكون رحمة وقد يكون عذاباً.
- مطر العذاب.



المبحث الأول
الرياح والسحاب والإعجاز العلمي فيهما

الرياح والسحاب:

تلازم ذكر الرياح مع السحاب في عدد من آيات القرآن الكريم، وبين الرياح والسحاب ترابط؛ فكلاهما آية من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

والرياح هي التي تبشر بنزول الغيث قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[2].

والرياح هي التي تحمل السحاب وتقله إلى حيث أراد الله تعالى. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[3].

والرياح كالماء قد تكون رحمة، وقد تكون عذاباً؛ فقد أهلك الله بالريح أمما وأقواما قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[4]، وقد أرسل الله على الأحزاب في غزوة الخندق ريحاً شتتت شملهم ومزقت أوصالهم. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[5].

إثارة السحاب ونزول الماء:

ولأهمية الرياح والسحاب الذي ينزل منه الماء لم يجعل الله للخلق القدرة على التصرف بهما بل وكل أمرهما إليه سبحانه، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة في

---

(١) سورة البقرة: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف: ٥٧.

(٣) سورة الأعراف: ٥٧.

(٤) سورة الذاريات: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة الأحزاب: ٩.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾[1] لذلك إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه فإذا أراد إنزال الغيث أرسل الرياح.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[2].

ويلاحظ ومن خلال الآية الكريمة أن الله نسب إثارة السحاب إلى الرياح ونسب سوق السحاب لنفسه مع العلم بأن الله هو المتصرف بهما.

إذاً هناك فرق بين تكوين السحاب وبين توزيعه وسوقه إلى مكان الحاجة إليه؛ فالتكوين لا يحتاج إلا إلى تكثيف، وهذا يكفي فيه أن يحل البخار حيث يمكن أن يتكاثف سحاباً في الجو، والريح تفعل مثل هذا فيكون السحاب في أي مكان، لكن سوق السحاب بعد تكوينه وتوزيعه إلى حيث الناس والأنعام والزرع والثمار يحتاج إلى تقدير وتدبير، فمن طبيعة الرياح أن تحمل السحاب لكن ليس من طبيعتها أن تتجه بالماء إلى من يحتاجه، ولهذا نسب الله تعالى إثارة السحاب إلى الرياح ونسب سوقه إلى نفسه[3].

وظائف الرياح:

تلقيح السحاب[4]:

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[5]. فبعد وصف الرياح بأنها لواقح جاء السياق القرآني مباشرة يتحدث عن نزول الماء و«أن قوله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ يعني: فنجم عن هذا التلقيح؛ لأن الفاء هي فاء

---

(١) سورة الفرقان: ٤٨-٤٩.

(٢) سورة فاطر: ٩.

(٣) انظر: الغمراوي - الإسلام في عصر العلم - ٣٤٨.

(٤) اللقاح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل. واللواقح من الرياح: التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فإذا اجتمع في السحاب صار مطرا.
انظر: «ابن منظور: لسان العرب - الجزء الثاني - ص ٥٧٩ - ٥٨٢».

(٥) سورة الحجر: ٢٢.

السببية، والنتيجة هي نزول المطر أو الماء»[1]. والذي يؤكد ذلك أن القرآن الكريم وصف الريح التي لا تلقح بأنها عقيم. قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[2]. ولقد سبق القرآن ركب العلم في كشف مثل هذه الحقائق؛ فالله يرسل الرياح فتلقح السحاب وهو تعالى يؤلف بينه، وعادة يكون التآلف بين السالب والموجب «وبناء على هذا القانون كان من المفترض أن لا تتحد سحابتان في الجو إذا كانتا مشحونتين بشحنة واحدة، ويترتب على هذا أن لا يتراكب السحاب مما يؤدي إلى قلة الأمطار، ولكن الله بقدرته يسوق السحاب بواسطة الرياح ويؤلف بينه، ولوكان ذا شحنة واحدة متشابهة وعند ذلك تكبر السحابة وتتراكم بعضها فوق بعض حتى تصير كالجبال الشامخة»[3]. «فإذا ما اتحدت هذه الشحنة الكهربائية الموجبة التي حملتها الرياح مع الشحنة الكهربائية الموجودة في الفضاء يتكون مجال كهربائي يكون السبب في تحويل البخار إلى قطرات دقيقه من الماء، ومن ثم تتجمع وتكبر شيئاً فشيئاً إلى أن تثقل وتنزل مطراً على الأرض»[4].

تلقيح النبات:

صحيح أن الآية الكريمة ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[5] أشارت إشارة واضحة إلى أن تلقيح السحاب سبب لنزول ماء السماء؛ ولكن الرياح وكما ثبت علمياً تلقح النبات أيضاً.

وقد كشف العلم أن أهم عوامل التلقيح: الهواء، إذ يلقح النباتات البرية والبحرية، وقد كان القدماء لا يعلمون عن التلقيح شيئاً قبل أن يكتشفه العلم إلا التلقيح الصناعي، وهو نقل الزهور المذكرة إلى الزهور المؤنثة[6].

إن مثل هذه الاكتشافات العلمية الحديثة والتي سبقها القرآن الكريم؛ لدليل واضح على اعجاز القرآن الكريم، وعلى أن الإسلام دين عبادة وعلم وحضارة.

---

(١) الفندي - الله والكون - ص١٧٦.
(٢) سورة الذاريات: ٤١- ٤٢.
(٣) هيتو - المعجزة القرآنية - ص ٢١٠.
(٤) المرجع السابق - ص ٢١١.
(٥) سورة الحجر: ٢٢.
(٦) انظر: سليمان - القرآن والطب ص ٢٤ - ٢٦.

علاقة الجبال بنزول الماء:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[1].

يلاحظ من خلال هذه الآية الكريمة أن بين نزول الماء العذب والجبال ترابطاً؛ فبعد ذكر الجبال الشامخة ذكر السياق القرآني للماء.

«لا شك أن الجبال الشامخات حين تعترض هبوب الرياح المحملة ببخار الماء تكون (مصيرة للأمطار)؛ إذ تجبر الهواء الرطب على الارتفاع إلى أعلى فيبرد ويتكاثف ويسقط مطراً غزيراً، مثال ذلك: ما يسقط على سلاسل جبال الأطلس في المغرب، وسلاسل جبال الألب في وسط أوروبا، وسلاسل الهملايا في آسيا، ومرتفعات غرب اسكتلندا»[2] وهذه الجبال وغيرها عندما تكون قممها مكسوة بالثلج والجليد ويكون لها تأثير كبير في تكثيف الهواء وإنزال المطر أيضاً.

ثم أن الجبال لها علاقة في تصريف مياه الأمطار من خلال الأودية التي بجنباتها؛ فلو كانت اليابسة مستوية لا تعرج فيها فسيكون عندها سطح الأرض عرضة لإغراقه بالماء؛ خصوصاً عند غزارة الأمطار وبالتالي ستضطرب الحياة على سطح هذا الكوكب.

إن ربط القرآن الكريم بين نزول الماء من السماء وبين الجبال لهو تأكيدٌ آخر للإعجاز القرآني في كل وقت وحين.

أنواع السحب:

السحب الركامية:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[3].

يزجي: يسوق ومنه البضاعة المزجاة. **والركام**: المتراكم بعضه فوق بعض.

---

(١) سورة المرسلات: ٢٧.

(٢) خضر - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ص ٢٤.

(٣) سورة النور: ٤٣.

والودق: المطر[1].

تشير الآية الكريمة إلى الترابط بين السحب الركامي الذي كالجبال وبين البرَد وقد ثبت علمياً أنّ «السحب الركامية هي النوع الهام من السحاب؛ لأنها قد تمتد رأسياً عبر ١٥ أو ٢٠ كيلو متراً، فتصل إلى طبقات من الجو باردة جداً تنخفض فيها درجة الحرارة إلى ٦٠ و ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر وبذلك يتكون البرَد في أعالي السحب»[2].

وفي الآية الكريمة ترابط بين البرَد وحدوث البرق؛ فالضمير هنا يعود في كلمة برقه على البرد؛ والبرق لا يحدث إلا في المزن الركامي[3]. هذه الحقيقة العلمية التي جاء بها العلم الحديث تضمنها كتاب الله قبل ألف وأربعمائة عام من الزمان.

إضافة لذلك فقد وصفت الآية الكريمة البرق في شدة لمعانه أنه يكاد يذهب الأبصار؛ والعلم يقول: «إنّ من أظهر أضرار البرق الإصابة بالعمى المؤقت، وأكثر من يتعرض لهذا هم الطيارون، خصوصاً عند تحليقهم داخل السحب الركامية، وقد يتكرر حدوث البرق ليصل إلى ٤٠ تفريغة في الدقيقة الواحدة[4]. «وينجم عن فقد البصر هذا أضرار بليغة تشكل خطراً حقيقياً على أعمال الطيران ووسط العواصف الرعدية»[5]. قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[6].

السحب البساطي:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

---

(١) انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) الفندي - الله والكون - ص ١٥٠.

(٣) انظر: الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٥٢٦.

(٤) انظر: الفندي - الله والكون - ص ١٥٨.

(٥) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٥٢٦.

(٦) سورة النور: ٤٣. السنا: «ضوء البرق».
«الجوهري - الصحاح - الجزء السادس - ص٢٣٨٣».

مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ متصلاً تارة، ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾؛ أي يجعله قطعاً تارة أخرى[2].

وبما أنّ هذا النوع من السحب لا ينمو بالاتجاه الرأسي كالسحب الركامية؛ بل بالاتجاه البساطي فلا بَرَدَ إذاً ولا برق؛ بل وَدْق. وهذا ما يلحظ من خلال السياق القرآني عندما فرّق بين السحب الركامي والسحب البساطي، فهذه الحقيقة العلمية الحديثة كان القرآن الكريم هو الأسبق في إثباتها.

السحاب العقيم:

فرق القرآن الكريم بين السحاب الذي يمطر والسحاب الذي لا يمطر. ويقرر القرآن الكريم أنّه لا بدّ لكي تجود السحب بالماء من رياح تحمل بخار الماء اللازم لتكوين الماء النازل، أمّا إذا كان الهواء عقيماً جافاً فلا ماء ينزل، وهذا يعني أنّ الرياح إذا كانت جافّة مصفرّة فلا سبيل إلى الهطول، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾[3] [4].

المطر الصناعي:

حاول الإنسان جاهداً إنزال المطر الصناعي بعصر السحب الممطرة أو القابلة للإمطار، وذلك بتوليد حالات من فوق التشبيع بعدة طرق منها: قذف بلورات من الثلج الجاف مباشرة بواسطة الطائرات على أعلى السحب الركامية فتهبط هذه البلورات إلى أسفل السحب أو أعلاها، فلا تلبث هذه النقط أن تنمو وتنقسم ويكون من نتائجها زيادة كميات الأمطار، وقد أجريت في الباكستان تجارب لإنزال المطر، وقامت اللجنة الفنية الإستشاريّة في الولايات المتحدة عام ١٩٥٣م بإحصاء معظم التجارب وأعدّت تقريراً بينت فيه: أنّ الآمال البرّاقة التي ظهرت في بعض تجارب المشتغلين بالمطر الصناعي لا تبشر بالوصول إلى نتائج مؤكدة[5].

---

(١) سورة الروم: ٤٨ - ٥٠.

(٢) انظر: الزمخشري - الكشاف - الجزء الثالث - ص ٤٦٩.

(٣) سورة الروم: ٥١.

(٤) انظر: الفندي - الله والكون - ص١٧٤-١٧٥.

(٥) انظر: الفندي - الله والكون - ص ١٧٩-١٨١.

ومهما تقدم الإنسان في العلم فإنّه لن يستطيع أن ينزل مطراً من السماء كما توقع وأراد، لقد أجريت هذه التجارب على سحب تآلفت في السماء، والذي ألّف بينها هو الله وليس الإنسان، ومع ذلك عجز الإنسان عن إنزال المطر منها والماء موجود فيها، وإنّ نجاحه بعصرها بقي محدوداً، والله تعالى يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾[1].

(١) سورة الواقعة: ٦٨-٦٩.

المبحث الثاني
الماء والسماء وعلاقتهما بطاعة الله

تمهيد

رغم أنّ ثلاثة أرباع الكرة الأرضيّة مغطى بالماء إلا أنّه لا غنى للكائنات الحيّة عن ماء السحاب الذي ينزل طهوراً ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾[1]. وهو ينزل كذلك عذباً فراتاً سائغاً للشاربين ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[2].

الأجاج: «شديد الملوحة مع حرارة»[3].

اقتضت حكمة الله أن ترتبط الحياة بالماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[4] واقتضت حكمته أيضاً أن يرتبط هذا الماء بطاعة الله عزّ وجل، وبرز هذا واضحاً في عدد من الآيات القرآنية الكريمة؛ فقد رحم الله بالماء أمماً وعذّب به آخرين؛ ففي الماء أغرق الله فرعون، ومن الماء نجى الله موسى وصحبه، وبالماء يحدث الرّخاء ويعم الخير، وبالماء أيضاً تحدث الفيضانات التي تهلك الحرث والنسل. فالماء إذاً ينزل علينا من خزائن الله التي لا تنفد بقدر لا يزيد فيغرق ولا ينقص فلا يفي بالحاجة ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾[5]، وليس الماء فحسب الذي ينزل بقدر قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[6].

---

(١) سورة الفرقان: ٤٨ -٤٩.

(٢) سورة الواقعة: ٦٨-٧٠.

(٣) حجازي: د. محمد محمود - التفسير الواضح - الجزء التاسع عشر - ص ٢٨ - الطبعة الرابعة - ١٣٨٨-١٩٦٨ - مطبعة الإستقلال الكبرى القاهرة.

(٤) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٥) سورة المؤمنون: ١٨.

(٦) سورة الحجر: ٢١.

فتنة الماء:

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[1].

الغدْق: «المطر الكثير العام»[2].

وضرب الماء الغدْق الكثير لذلك مثلاً؛ «لأنّ الخير والرزق كلّه بالمطر يكون، فأقيم مقامه»[3].

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة»[4]؛ فالماء الكثير قد يقود الإنسان إلى الشكر والاعتراف لله بإنعامه على خلقه، وقد يكون وبالاً يقود الإنسان إلى الجحود والنكران قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[5].

وهذا يعني أنّ نزول الماء من السماء قد يكون فتنة واستدراجاً لأهل الأرض إذا أصرّوا على كفرهم وتمرّدهم على الحق، فيكون معنى الآية الكريمة «وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم؛ لنفتنهم فيه لتكون النعمة سبباً في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم إثماً؛ أو لنعذبنهم في كفران النعمة»[6]. فقد يعطي الله المال والخيرات أمماً وأقواماً رغم بعدهم عن دين الله ومنهجه.

فما تنعم به أوروبا وأمريكا وغيرهما من الدول الكافرة من مياه وأمطار وجنات وأنهار إنّما هو استدراج لهم يعذبهم الله به؛ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[7]؛ فهذا إبراهيم -عليه السلام-

---

(١) سورة الجن: ١٦-١٧.

(٢) ابن منظور - لسان العرب - الجزء العاشر - ص٢٨٢.
وانظر: الرّاغب الأصفهاني - المفردات - ص٣٦٠.

(٣) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء التاسع عشر - ص ١٣.

(٤) المرجع السابق - الجزء التاسع عشر - ص١٣.
وانظر: الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ٣٨٩.

(٥) سورة الأنعام: ٤٤.

(٦) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص٦١٦.

(٧) سورة آل عمران: ١٧٨.

عندما أسكن ذريته بواد غير ذي زرع دعا ربّه ليرزق المؤمنين منهم قائلاً:

﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إنّ بقاء الماء على سطح الأرض عذباً كان أو مالحاً وعدم نفاذه إلى باطن الأرض لهو أمر في غاية الدقة والحكمة لم يكن صدفة أو عبثاً. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾[2].

غوراً: «غائراً ذاهباً في الأرض»[3].

ماء معين: «ماءٌ جار ظاهر تراه العيون»[4].

فلو قدر الله تعالى لهذا الماء أن يغور إلى باطن الأرض فعندها «لا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾؛ أي «نابع سائح على وجه الأرض»[5].

نعم لو قدر الله تعالى لهذا الماء الجاري على سطح الأرض أن يغور إلى أعماق الأرض لأصاب الخلل الكائنات الحية ولاستحالت الحياة عند ذلك. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: ١٢٦.

(٢) سورة الملك: ٣٠.

(٣) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٥٧١.
واصطلاح الغور: يطلق عادة للدلالة على الأعماق السحيقة بوجه عام؛ إلا أن الغور في التحديد العلمي هو ذلك الإقليم الذي يمتد لعمق ٢٠٠٠ قامة أو أكثر في المحيطات حيث أن أشعة الشمس لا تصل إلى مثل هذه الأعماق ولذلك يخيم الظلام. والحياة النباتية في حكم العدم، وطعام الحيوانات في هذه الأعماق هو من المواد العضوية المختلفة التي تهبط من سطح الماء إلى اسفل.
انظر: «توني - معجم المصطلحات الجغرافية - ص ٣٦٥».

(٤) القرطبي الجامع لاحكام القرآن - الجزء الثامن عشر - ص ١٤٥.

(٥) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الرابع - ص ٤٠٠.

(٦) سورة الزمر: ٢١.

نزول الماء من السماء بقدر:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[1].

إنّ من أعظم النعم والمنن علينا نزول الماء بقدر، فلو زاد عن مقدار الحاجة لخرّب ودمر وأهلك ولو نقص كذلك لتأثّرت الزروع والثمار، وتأثّرت بذلك كل الكائنات الأخرى.

فالأرض التي تحتاج ماءً كثيراً لزرعها ولا تحتمل طبيعتها إنزال المطر عليها يسوق الله إليها الماء من بلاد أخرى؛ كما في أرض مصر؛ حيث يسوق الله إليها ماء النيل من بلاد الحبشة حاملاً معه الطين فيسقي الأرض ويبقي الطين على أرضهم ليزرعوا فيه؛ لأنّ أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال[2].

ارتباط نزول الماء بالتقوى:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾[3].

البركات هنا: «يعني المطر من السماء، والنبات من الأرض. وأصل البركة المواظبة على الشيء؛ أي تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجدب»[4].

تربط الآية الكريمة بين التقوى وبين نزول البركات من السماء وخروجها من الأرض؛ فهي البركات وليس الرزق؛ لأنّ الرزق أحياناً قد يخلو من البركة. وعندما

(١) سورة المؤمنون: ١٨.

(٢) انظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الثالث - ص٢٤٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

(٤) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي - تفسير البغوي المسمى: معالم التنزيل - الجزء الثاني - ص١٨٣ إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمٰن العك. ومروان سوار - الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦ - دار المعرفة - بيروت.

وانظر: القمي: محمد بن محمد رضا -تفسير الدقائق وبحر الغرائب -الجزء الخامس - ص١٤١- تحقيق حسين ركاهي - الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م - مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران.

تكون أفعال العباد حسنة فإنّ السماء والأرض تخرجان أحسن ما عندهما من الخير الذي تصاحبه البركات «بكل أنواعها وألونها، وبكل صورها وأشكالها ما يعهده الناس وما يتخيّله، وما لم يتهيأ لهم في روائع ولا خيال»(١).

والصورة المقابلة لعمل الخير هو عمل الشر، فعندما تنتشر المنكرات والمعاصي ويصد الناس عن دين الله تعالى فان البركات من السماء والأرض ترتفع ليحل محلها الجوع المقرون بالخوف. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(٢).

الماء والاستغفار:

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾(٣).

مدراراً: «غزيراً متتابعاً»(٤).

ولمّا كان الماء أصل الخيرات؛ منه تكون الأموال وتخرج الجنات وتجري الأنهار كان أوّل نتائج الاستغفار نزول الماء من السماء.

شكا رجل إلى الحسن(٥) الجدوبة فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف

---

(١) سيد قطب - في ظلال القرآن - الجزء الثالث - ص٥٨٧-٥٨٨.

(٢) سورة النحل: ١١٢.

(٣) سورة نوح: ١٠ -١٢.

(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثامن عشر - ص١٩٥.

(٥) الحسن البصري: (٣٣ - ١١٠هـ).

هو: أبو سعيد الحسن البصري كان من سادات التابعين، جمع الحسن كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمّه صبرة مولاة أمّ سلمة زوج النبي- عليه الصلاة والسلام -. نشأ الحسن بواد القرى وكان من أجمل أهل البصرة، ولد بالمدينة وتوفي بالبصرة. قال حميد الطويل: توفي الحسن عشيّة الخميس، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه، فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ؛ لأنهم تبعوا كلهم جنازته حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر.

انظر: «إبن خلكان - وفيات الأعيان - الجزء الثاني - ص ٦٩-٧٢».

- «الذهبي - سير أعلام النبلاء - الجزء الرابع - ص ٥٦٣-٥٦٥».

بستانه. فقال: استغفر الله، وشكا آخر الفقر، فقال: استغفر الله، وقال آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً فقال له: استغفر الله، فسألوه عن ذلك، فقال: ما قلت من عندي شيئاً؛ إنّ الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[١] [٢].

الاستسقاء:

لقد علّم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أمّته أن يتوجهوا بحوائجهم إلى الله تعالى، ولمّا كان الماء أهم الحوائج وأنفعها شرعت صلاة الاستسقاء والدعاء فيها، فليس بين العبد وربه حجاب.

عَنْ أَنَسِ[٣] بْنِ مَالِكٍ **(أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِثْنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ - يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ ! أَغِثْنَا اللَّهُمَّ ! أَغِثْنَا اللَّهُمَّ ! أَغِثْنَا «قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ ! مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ[٤]، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ[٥] مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ- ﷺ - قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

---

(١) سورة نوح: ١٠ -١٢.

(٢) انظر: القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثامن عشر - ص ١٩٦.

(٣) أنس بن مالك: (١٠ ق.هـ - ٩٣هـ = ٦١٢ - ٧١٢م).
هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، صاحب رسول الله - ﷺ - وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً، مولده بالمدينة، وأسلم صغيراً، وخدم الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة ومات فيها. وهو آخر من مات في البصرة من الصحابة. انظر: «الزركلي - الأعلام - الجزء الثاني - ص ٢٤-٢٥».

(٤) قزعة: قطعة السحاب.

(٥) سلع: جبل بقرب المدينة.
انظر: «النووي - شرح صحيح مسلم - الجزء السادس - ص ٤٣٢».

- يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ[1] وَالظِّرَابِ[2]، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» فَانْقَلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ)[3].

الماء والصدقة:

الصدقة وطيّب المطعم والعمل الصالح بكل أشكاله وصوره سبب لنزول الغيث من السماء، رحمةً لا عذاباً.

عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ[4] فَإِذَا شَرْجَةٌ[5] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا؛ فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[6].

السحاب: قد يكون رحمة وقد يكون عذاباً.

عندما تتألّف السحب في السماء يرى أحيانا برق ولمعان، فيحصل بهذا خوف وطمع، خوف من أن يكون هذا السحاب يحمل معه العذاب، وطمع في نزول الغيث

---

(١) الآكام: المناطق المرتفعة والعالية.
انظر: ابن منظور - لسان العرب - الجزء الثاني عشر - ص ٥٣٠.

(٢) الظراب: الروابي الصغار. الضراب (بالضاد): الأودية التي يكون فيها الشجر.
انظر: «ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - ص ٥٤٩ و٥٦٩».

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب الاستسقاء - باب الاستسقاء في المسجد الجامع - حديث رقم ١٠١٣) ورواه مسلم واللفظ له (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب صلاة الاستسقاء - باب الدعاء في الاستسقاء - حديث رقم: ٢٠٧٥-٨/١ - الجزء السادس - ص ٤٣١- ٤٣٣).

(٤) الحرّه: «الأرض ملبسة حجارة سوداً».
«النووي - صحيح مسلم - الجزء الثامن عشر - ص ٣١٥».

(٥) شرج الوادي منفسحه، والجمع أشراج. «الجوهري الجزء الأول - ص ٤٢٣».

(٦) رواه مسلم (النووي - صحيح مسلم - كتاب الزهد - باب: الصدقة في المساكين - حديث رقم: ٧٣٩٨-٤٥/١ - الجزء الثامن عشر - ص ٣١٥).

الذي هو حياة الأبدان ونماء الحيوان. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[1] وقد كان رسول الله - ﷺ - عندما يرى السحاب يتأثر ويظهر ذلك على وجهه. عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: **(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ فَقَالَ يا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا)**[2].

مطر العذاب:

تنوع مطر السماء، فقد تمطر ماء يكون رحمة تارة ويكون عذاباً تارة أخرى، ولكن قد تمطر حجارة لا تكون إلا عذاباً، فقد عذب الله بمطر السماء أمما وأقواما؛ كأصحاب الفيل الذين أرسل الله عليهم طيرا أبابيل[3]، قال تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[4]. وكقوم لوط عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾[5]. والقرية هنا هي قرية قوم لوط، والذين أتوا عليها هم مشركو مكة ومطر السوء، الحجارة التي أمطروا بها، وكانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط[6].

---

(١) سورة الرعد: ١٢ - ١٣.

(٢) رواه البخاري: (صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا - حديث رقم: ٤٨٢٩ - ص ٩٤٨).
ورواه مسلم واللفظ له: (النووي - صحيح مسلم - كتاب صلاة الاستسقاء - باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر حديث رقم: ٢٠٨٣ - ١٦ / ٣ - الجزء السادس - ص ٤٣٦ - ٤٣٧).

(٣) أبابيل: «جماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكثيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامنها».
«البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٦٢٣».

(٤) سورة الفيل: ٤-٥. وحجارة من سجيل: أي من طين طبخت بنار جهنم. والعصف المأكول هو ورق الزرع الذي أكلته الدواب.
«القرطبي - الجامع لأحكام القران - الجزء العشرون- ص ١٣٥».

(٥) سورة الفرقان: ٤٠.

(٦) انظر القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الثالث عشر - ص ٢٥.

ومع كل هذا المشاهد منه والمحسوس، لم يتعظ كفار مكة ولم يرجعوا عن غيهم وضلالهم، فزادوا في جحودهم ونكرانهم حتى طلبوا دليلاً على صدق الرسول قائلين: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.

الفصل السادس: الماء يوم القيامة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : الماء في الجنة:

- انهار الجنة.
- منبع أنهار الجنة.
- نهر الكوثر.
- عيون الجنة.
- شراب أهل الحنة.

المبحث الثاني : الماء في النار:

- استغاثة أهل النار بأهل الجنة للحصول على الماء.
- طعام وشراب أهل النار.



المبحث الأول
الماء في الجنة

أنهار الجنة:

النهر: «بالفتح والسكون: المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر»[1]. وقد تكرر ذكر أنهار الجنة في ست وأربعين آية من كتاب الله تعالى، وفي هذا دلالة على فضلها وحسنها، وفيه أيضاً زيادة لتشويق أهل الجنة إلى جنتهم ليقبلوا على الله بخالص أعمالهم وأفئدتهم.

إنها تجري في الجنة؛ والجنة خالية من أي شائبة أو أذى فماء الأنهار في الجنة لا تلوث فيه ولا تغيير في لونه وطعمه؛ بل غاية في الصفاء والنقاء ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[2] أعدها الله تعالى لعباده الفائزين وبشر بها المؤمنين ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3]؛ أي تجري من تحت أشجارها[4] ولم يجر للأشجار ذكر مع الأنهار؛ «لأن الجنان دالة عليها»[5]. والمراد بالجري: «الماء الذي يجري فيها واسند الجري إليها مجازاً؛ والجاري حقيقة هو الماء»[6].

«ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق[7] شيء وأحسنه لا تروق النواظر، ولا تبهج الأنفس، ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور

---

(١) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الأول - ص ٤٢.
(٢) سورة محمد: ١٥.
(٣) سورة الحديد: ١٢.
(٤) النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الأول - ص ٣٧.
(٥) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء الأول - ص ١٦٦.
(٦) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الأول - ص ٦٧.
(٧) الأنَق: الإعجاب بالشيء. تقول: أنِقْتُ به وأنا آنِقُ به أنقاً، وأنا به أنِقْ: معجب.
«ابن منظور - لسان العرب - الجزء العاشر - ص ٩».

الأوفر مفقوداً وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنان مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها. . .»[1].

إن هذه الأنهار ليست كأنهار الدنيا؛ بل هي ألذ مذاقاً وأطيب رائحة وأجمل منظراً لقد تشابهت في الأسامي واختلفت في المعاني؛ فما في الجنة أفضل وأحسن؛ قال ﷺ: (...**ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً...**)[2].

وفي القرآن الكريم عدد من الآيات التي وصفت أنهار الجنة ونعيمها كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[3].

هذه هي أنهارها ماؤها غير آسن، وهذا توجيه من الآية الكريمة «إلى أن الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظير المكبرة -مكبر سكوب - بقرون عدة حيث تبين أن الماء الراكد المتغير مستودع لملايين البكتيريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب الناس والأنعام بأمراض شتى»[4].

وبالإضافة إلى أنهار الماء فقد جمعت الآية الكريمة أنهاراً أخرى من اللبن والخمر والعسل، وهذا لا يكون إلا في الجنة؛ لأنه لم تجر العادة في الدنيا أن يجري اللبن والخمر والعسل أنهاراً. فكما أن ماءها غير آسن فلبنها ﴿لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾؛ «بل

---

(١) الزمخشري - الكشاف - الجزء الأول - ص ١١٢.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب الحور العين وصفتهن - حديث رقم: ٢٧٩٦ - ص٥٤٠). وروى مسلم جزء منه. قال صلى الله عليه وسلم: (غدوة في سبيل الله أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها).
النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله - حديث رقم: ٤٨٥٢- ١١٤/٣ - الجزء الثالث عشر - ص ٣٠.

(٣) سورة محمد: ١٥.

(٤) الشؤون الإسلامية - المنتخب - ص ٧٥٢.

غاية في البياض والحلاوة والدسومة»[1]. خمرها ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾. «وليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل»[2]، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[3] أما عسلها فهو: «مصفى من الشمع والقذى»[4]، وزيادة على ذلك ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[5]، وفوق هذا النعيم وذاك ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[6]، فهل هذا يستوي مع من هو خالدٌ في النار ويتجرع الماء الحميم ويعذب العذاب الأليم ؟! ويلاحظ أن الآية قد خلت من حرف الإنكار، وهذا فيه «زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقي أهلها الحميم»[7].

ويلاحظ من خلال السياق القرآني في الآية الكريمة أن الله تعالى بدأ بالماء؛ «لأنه لا يستغنى عنه في الدنيا ثم باللبن؛ لأنه يجري مجرى المطعوم الكثير من العرب في غالب أوقاتهم ثم بالخمر؛ لأنه إذا حصل الري والشبع تشوقت النفس لما يستلذ به، ثم بالعسل؛ لأنه فيه الشفاء في الدنياء مما يعرض من المشروب والمطعوم»[8].

وفي القرآن الكريم أيضاً عدد من الآيات قدم فيها الكلام عن الماء على سائر نعيم أهل الجنة ففي سورة المرسلات قدم الماء على الفاكهة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[9].

وفي سورة الرعد قدم الكلام عن الأنهار على الطعام، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[10].

---

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الرابع - ص ١٧٦.
(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - الجزء الرابع - ص ١٧٦.
(٣) سورة الصافات: ٤٧.
(٤) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السادس عشر - ص١٥٧.
(٥) سورة محمد: ١٥.
(٦) سورة محمد: ١٥.
(٧) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٣١٣.
(٨) المراغي - تفسير المراغي - الجزء السادس عشر - ص ٥٨.
(٩) سورة المرسلات: ٤٤.
(١٠) سورة الرعد: ٣٥.

وفي سورة الكهف قدم الكلام عن الأنهار على حلي أهل الجنة ولباسهم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾(١).

وفي سورة التوبة قدم الكلام عن الأنهار على المساكن قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢)، وهناك آيات أخرى في كتاب الله قدم الكلام فيها عن الماء على سائر نعيم أهل الجنة.

وفي ذلك دلالة على فضل الماء ومنزلته في الجنة، ويلاحظ في هذه الآية وآيات أخرى تلازم بين ذكر الأنهار والخلود في الجنة، وأن ذكر الأنهار تقدم ذكر الخلود، وفي هذا ضمان لحياة الخلود في الجنة، وفيه دلالة أيضاً على أن الخلود يشمل الأنهار وأن هذه الأنهار باقية لا تنفد ولا تنضب كما هو الحال في أنهار الدنيا.

منبع أنهار الجنة:

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (... **فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**)(٣).

وهذا دليل على فضل أنهار الجنة حيث تأتي أهل الجنة من أعلى منازلها وأشرفها، حتى في الدنيا الماء الذي يأتي من أعلى ينزل طهوراً ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾(٤) والصورة المقابلة لماء الجنة ماء النار الذي يتجمع لأهلها في قعرها قال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾(٥)، وهو ما يسيل من جلود أهل النار(٦).

وإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يخرج بعثاً من النار إلى الجنة طهرهم بنهرٍ أولاً عن النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: (**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ**

---

(١) سورة الكهف: ٣١.

(٢) سورة التوبة: ٧٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب وكان عرشه على الماء - حديث رقم: ٧٤٢٣ - ص١٤١٤).

(٤) سورة الفرقان: ٤٨.

(٥) سورة إبراهيم: ١٦.

(٦) انظر الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ٥٢٥.

فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا[1]، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً)[2].

نهر الكوثر:

إن أنهار الجنة متفاوتة في منازلها ومراتبها وأعظم هذه الأنهار منزلة وأشرفها مرتبة ذاك النهر الذي أعطاه الله لرسولنا محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[3] قال «أعطيناك ولم يقل سنعطيك؛ لأن قوله أعطيناك يدل على أن هذا الإعطاء كان حاصلاً في الماضي»[4].

والكوثر: «فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة»[5] «والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو القدر أو الخطر كوثراً»[6]. واختلف المفسرون في الكوثر هل هو نهر في الجنة أم هو حوض الرسول - ﷺ - و«المشهور والمستفيض عن السلف والخلف أنه نهرٌ في الجنة»[7] وأنه غير الحوض؛ فالحوض قبل دخوله الجنة. ففي

---

(١) امتحشوا وعادوا حمماً: احترقوا وصاروا فحماً.
انظر: «النووي - شرح صحيح مسلم - الجزء الثالث - ص ٣٦».

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب الرِّقاق - باب صفة الجنة والنار حديث رقم: ٦٥٦٠-ص ١٢٥٥).
ورواه مسلم: شرح (صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم: ٤٥٦-٣٠٤/١ - الجزء الثالث - ص ٣٥-٣٦).

(٣) سورة الكوثر: ١.

(٤) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الثاني والثلاثون -١٢٢.

(٥) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٨٠١.

(٦) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ٦٣٥.

(٧) الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الثاني والثلاثون - ص ١٢٤. ولعله إنما سمي كوثرا أما لأنه أكثر أنهار الجنة ماء وخيرا أو لأنه أنفجر منه أنهار الجنة أو لكثرة الذين يشربون منه أو لكثرة ما فيه من المنافع.
انظر: «الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الثاني والثلاثون - ص ١٢٤».
قال ابن عباس: «الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه».
رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب في الحوض - حديث رقم ٦٥٧٨ - ص ٢٥٨).

الحديث: (**أنا فَرطُكمُ على الحوض فمن ورد شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ أبداً ليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم**)[1]. ويفهم من ألفاظ هذا الحديث أن ورود الحوض قبل دخوله الجنة.

أما نهر الكوثر فقد ورد في الخبر الصحيح أنه في الجنة؛ قَالَ الرسول عليه الصلاة والسلام: (**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ**[2]...)[3].

عيون الجنة:

كل نعيم لا محالة زائل إلا نعيم الجنة فإنه لا يزول. ومن نعيم الجنة ماؤها الذي لا ينفد ولا ينضب «يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه»[4] خصه الله

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري - شرح كتاب الفتن باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ - حديث رقم٧٠٥٠- ٧٠٥١ - ص ١٣٤٩).

ورواه مسلم: (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٥٩٢٦ - ٢٦/ ٣- الجزء الخامس عشر - ص٥٣- ٥٤ وقد ورد في وصف الحوض أحاديث أخرى. منها قول الرسول ﷺ: (**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء. ماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ أبدا**).

رواه البخاري - صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب في الحوض - حديث رقم: ٦٥٧٩ - ص ١٢٥٨).

ورواه مسلم واللفظ له (النووي - شرح صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب إثبات حوض النبي وصفاته، حديث رقم: ٥٩٢٨ - ٢٧ / ٥ - الجزء الخامس عشر - ص ٥٥).

وعن سعة هذا الحوض قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**).

رواه البخاري (صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب في الحوض - حديث رقم ٦٥٨٠ - ص ١٢٥٨). ورواه مسلم (النووي - صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب: إثبات حوض النبي وصفاته حديث رقم: ٥٩٥٠-٢٦/٣٩ - الجزء الخامس عشر - ٦٣-٦٤).

(٢) الأذفر: كل رائحة ذكية من طيب.

انظر: «الجوهري - الصحاح - الجزء الثاني - ص ٧٥٩».

(٣) رواه البخاري - صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب في الحوض - حديث رقم: ٦٥٨١ - ص ١٢٥٨.

(٤) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٤٥٠.

لعباد الذين أخلصوا له العبادة قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[1]؛ أي «يجرونها حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاؤون، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يريدون وصوله إليه»[2].

وهذا جزاءٌ للمسلمين بما قدموا من أعمال حسنة في الدنيا طاعة لله تعالى ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[3].

وزيادة في تشويق المؤمنين إلى جنتهم يصف الله تعالى لهم عيونها قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[4] ومعلوم أن الماء الذي يجري أطهر وأنقى من الماء الراكد، فعيون الجنة كأنهارها التي لا تغير في طعمها ولونها ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[5]؛ وعن الحسن: «تجريان بالماء الزلال أحدهما التسنيم والأخرى السلسبيل»[6].

ويلاحظ من خلال السياق القرآني أن الله تعالى قد «فصل بين الأفنان[7] وبين ذكر الفاكهة بذكر العينين مع أن الفاكهة بالأفنان أنسب؛ لأنه لما جرى ذكر الأفنان، وهي من جمال منظر الجنة أعقب بما هو من محاسن الجنات وهو عيون الماء جمعاً للنظيرين، ثم أعقب ذلك بما هو من جمال المنظر أعني: الفواكه في أفنانها ومن ملذات الذوق»[8].

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[9] هاتان الجنتان ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[10]؛ أي «ومن دون

---

(١) سورة الإنسان: ٦.
(٢) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ٤٣١.
(٣) سورة الحاقة: ٢٤.
(٤) سورة الرحمٰن: ٥٠.
(٥) سورة محمد: ١٥.
(٦) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٤٤١.
وانظر: - البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني عشر - ص ٤٥٥.
- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - الجزء السابع عشر - ص ١١٦.
- المراغي - تفسير المراغي - الجزء السابع والعشرون - ص ١٢٥.
(٧) ذواتا أفنان: أي «أغصان جمع فن؛ وخص الأفنان لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجني الثمار».
«النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني - ص ٦٣٢».
(٨) ابن عاشور - التحرير والتنوير - الجزء السابع والعشرون - ص ٢٦٦.
(٩) سورة الرحمٰن: ٦٢.
(١٠) سورة الرحمٰن: ٦٦.

تيْنك الجنتين في المنزلة والقدر - وهما اللتان للسابقين المقربين - جنتان أخريان لمن هم دونهم من أصحاب اليمين»[1] «والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة، قال الحسن ومجاهد: «تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر[2] والكافور[3] في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر»[4].

شراب أهل الجنة:

أما شراب أهل الجنة فهو لذيذ الطعم طيب الرائحة حسن المنظر خالٍ من الكدرِ.

قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[5] ولفظ يسقون فيه دلالة على أن أهل الجنة يشربون دون تكلف وعناء، وأنه يقدم إليهم بطريقة التكريم.

والرحيق: «شراب خالص»[6]؛ وهو «من أطيب الأشربة وألذها»[7].

مختوم: «ممنوع أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه للأبرار»[8]؛ هذا الشراب ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي «دائمته ونهايته رائحة مسك إذا شرب»[9].

فبالإضافة إلى طعمه الطيب فإن رائحته طيبة كذلك، وعادة يجد الإنسان طعم الشراب ورائحته في نهايته فإذا كانت نهاية الشراب بهذه الصفة فما ظنك بأوله؟! وهل هذا يعني أن أهل الجنة لا يشعرون بطعم الشراب إلا في نهايته. «إن لذته تمنع عن إدراك الرائحة، فإذا انقطع الشراب أدركت، وإلا فالرائحة لا تختص بالانتهاء»[10].

---

(١) جبر - روائع البيان - ص ٥٥٣.
(٢) العنبر: ضرب من الطيب. «الجوهري - الصحاح - الجزء الثاني - ص ٧٥٩».
(٣) الكافور: من الطيب - المرجع السابق - الجزء الثاني - ص ٨٠٨.
(٤) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ١٧٧.
(٥) سورة المطففين: ٢٥-٢٦.
(٦) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٥٧٩.
(٧) السعدي - تفسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان - الجزء الخامس - ص ٣٧٧.
(٨) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص ٥٠١.
(٩) الألوسي - روح المعاني - الجزء الثلاثون - ص ٧٥.
(١٠) المرجع السابق - الجزء الثلاثون - ص ٧٥.

ومن المعلوم أنه إذا كان في الماء أو الشراب شوائب فإنها ترسو في آخره «فهذا الكدر منه الذي جرت العادة في الدنيا أن يراق يكون في الجنة بهذه المثابة»[1].
وليس هذا فحسب؛ بل ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾[2]، وتسنيم: «علم لعين بعينها سميت تسنيماً لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها»[3].

أما العين الثانية فهي السلسبيل ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[4]. وسميت سلسبيلاً؛ «لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها»[5] على النقيض تماماً من ماء وشراب أهل النار ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾[6]. فماء الجنة زيادة في النعيم، وماء النار زيادة في العذاب الأليم.

---

(١) السعدي - تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان - الجزء الخامس - ص ٣٧٧.
(٢) سورة المطففين:٢٧.
(٣) البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الجزء الثاني - ص ٥٧٩.
(٤) سورة الإنسان:١٨.
(٥) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص ٦٥٩.
(٦) سورة إبراهيم: ١٧.

المبحث الثاني

الماء في النار

استغاثة أهل النار بأهل الجنة للحصول على الماء:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]. طلبوا ماءً قبل أن يطلبوا طعاماً لشدة حاجتهم إليه، فحرارة جهنم ولهبها زادتهم ظمأً، فجلودهم نضجت وبواطنهم انصهرت من ماء جهنم ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾[2]. وهذا يبين لنا أن ابن آدم لا يستغني عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب.

وفي استغاثة أهل النار بأهل الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ دليل على أن أهل الجنة في مكان مرتفع عن أهل النار، وأن طلبهم الماء أو الرزق لا يمنع الجمع بينهما[3]، فأجاب أهلُ الجنة أهلَ النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. إنها إجابة قطعت آمالهم وخيبت رجائهم حتى لا يبقى لهم أي أمل في الحصول على قطرة من ماء الجنة أو نعيمها، كيف يطلبون ماءً وقد حرم الله عليهم

---

(١) سورة الأعراف: ٥٠.

(٢) سورة الحج: ١٩-٢٠.

(٣) انظر رضا - المنار - الجزء الثامن - ص٤٣٩.

ولما كان سقى الماء من أفضل الأعمال، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ! فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)**».

رواه البخاري واللفظ له: (صحيح البخاري - كتاب المساقاه باب فضل سقي الماء - حديث رقم: ٢٣٦٣- ص ٤٤٤).

ورواه مسلم (النووي - صحيح مسلم - كتاب الحيوان - باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها - حديث رقم: ٥٨٢٠ - ١٥٣ / ١ - الجزء الرابع عشر - ص٤٦٠-٤٦١).

ذوقه ؟! ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[١].

والحميم: هو «ماء حار قد اشتد حره يشربونه فقطع أمعاءهم»[٢].

والغساق: هو «أكره ما يكون من الشراب من قيح وصديد مر المذاق كريه الرائحة»[٣]. استغاثوا بماء ينفس عنهم حر جهنم، فأغاثهم الله بماء زادهم ألماً وظمأً ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[٤].

والمهل: هو ردىء الزيت الحار، أو ما أذيب من جواهر الأرض[٥]. لقد بلغ الماء من الحرارة لدرجة أنه «إذا قدم إليهم انشوى الوجه من حرارته»[٦]. فإذا شربوه أحرق بواطنهم ومزقها قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٧]، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٨]. إنه لا يسكن عطشهم بل يزيد في احتراق أجسامهم. وساءت النار منزلاً ومجتمعاً للرفقة؛ لأن أهل النار يجتمعون رفقاء كما يجتمع أهل الجنة رفقاء ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[٩] [١٠].

طعام وشراب أهل النار:

وقد مزج العذاب لأهل النار مزجاً فطعامهم عذاب وشرابهم عذاب وهم في العذاب ماكثون ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[١١].

وشجرة الزقوم: «مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها»[١٢].

---

(١) سورة النبأ: ٢٤-٢٥.
(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الجزء الرابع - ص ٢٨١.
(٣) المرجع السابق - الجزء الرابع - ص٢٨١.
(٤) سورة الكهف: ٢٩.
(٥) انظر: النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الجزء الثاني ص١٣.
(٦) الزمخشري الكشاف - الجزء الثاني - ص ٦٩١
(٧) سورة محمد: ١٥.
(٨) سورة الكهف: ٢٩.
(٩) سورة النساء: ٦٩.
(١٠) أنظر: الفخر الرازي - التفسير الكبير - الجزء الحادي والعشرون - ص١٢٠.
(١١) سورة الواقعة: ٥١- ٥٦.
(١٢) القرطبي - الجزء الخامس عشر - ص ٥٨.

والهيم: «هي الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها»[1]، وقيل: «الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك»[2].

وبين الجبال والرمال تشابه في أن كلاً منهما يشرب ماءً كثيراً؛ فالجمال من أكثر الحيوانات شرباً للماء، والرمال من طبيعتها أنها غير متماسكة وعليه فإنها لا تمسك ماءً خلافاً للأرض الصخرية أو الترابية، وهذه دلالة على أن أهل النار يشربون كثيراً كالجمال المسقومة التي لا تروى أو كالرمال التي لا يظهر عليها أثر الماء، ولكنْ هناك أسباب جعلتهم يشربون هكذا؛ إن حرارة جهنم ولهبها زادتهم ظمأً، ثم إن الله تعالى يجمع عليهم ألوان العذاب بأن «يسلط عليهم الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل، فإذا ملأوا منه البطون يسلط عليهم العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربون شرب الهيم»[3]، هذه هي حال أهل النار لا يخفف عنهم العذاب ولا يموتون فيستريحوا.

حتى أن هواءهم الذي جرت العادة أن يلطف مزج لهم بالحميم فهم ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[4]. ويلاحظ هنا أن الله تعالى ذكر السموم والحميم ولم يذكر النار «إشارة بالأدنى إلى الأعلى، فإن هواءهم إذا كان سموماً وماءهم الذي يستغيثون به حميماً مع أن الهواء والماء من أبرد الأشياء وأنفعها فما ظنك بنارهم؛ فكأنه قال: إن أبرد الأشياء أحرها، فما بالك بحالهم مع أحرها»[5]. وإذا فرغوا إلى الظل وجدوه ﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾[6]؛ أي «من دخان أسود»[7]، ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[8] إنه «لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع؛ نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح»[9].

---

(١) الشوكاني – فتح القدير – الجزء الخامس – ١٩٣.
وانظر: الالوسي – روح المعاني – الجزء السابع والعشرون – ص ١٤٦.
(٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الجزء الثاني – ص٤٦٢.
(٣) الزمخشري – الكشاف – الجزء الرابع – ص ٤٥٢.
(٤) سورة الواقعة: ٤٢. والسموم: «الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن. والمراد هنا حرُّ النار ولفحها».
«القرطبي – الجزء السابع عشر – ص ١٣٨».
(٥) المراغي – تفسير المراغي – الجزء السابع والعشرون – ص ١٤١.
(٦) سورة الواقعة: ٤٣.
(٧) النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل – الجزء الثاني – ص ٦٣٨.
(٨) سورة الواقعة: ٤٤.
(٩) البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الجزء الثاني – ص ٤٦١.

ولما كان ماؤهم حاراً ونتناً كان شربه مؤلماً يتجرعه الكافر تجرعاً ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾[1]؛ فحال طعامهم كشرابهم ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾[2] وجاء الماء يزيد الغصة؛ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ «دخل كاد للمبالغة يعني: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها»[3]، أرادوا أن يتخلصوا من ألم فجاءتهم آلام ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾[4]، وهذا إخبار من الله تعالى «أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة[5] بالماء الحار ليكون أفظع لعذابهم وأشنع لحالهم»[6].

لقد أحاطت بالكافر الأوجاع والآلام ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[7]؛ أي وكل نوع من شدته يبلغ الموت ولكن الله قضى عليهم أن لايموتوا كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[8] [9]. فلو أنهم ماتوا لاستراحوا من هذا الحال؛ ولكن هيهات هيهات فهم في العذاب ماكثون وفي جهنم خالدون؛ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾[10] واذا تنقلوا خلالها زادت عليهم الآلام والأوجاع ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[11].

والحميم الآن: «ماء حارُ قد انتهى حره ونضجه»[12].

---

(١) سورة إبراهيم: ١٦-١٧.
(٢) سورة المزمل: ١٣.
(٣) الزمخشري - الكشاف - الجزء الثاني - ص ٥٢٥.
(٤) سورة الصافات: ٦٧.
(٥) الشجرة هنا: هي شجرة الزقوم. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ سورة الواقعة: ٥١ - ٥٦.
(٦) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الرابع - ص ٤٩٧.
(٧) سورة إبراهيم: ١٧.
(٨) سورة فاطر: ٣٦ - ٣٧.
(٩) انظر السعدي - تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان - الجزء الثاني- ص ٤٩٦.
(١٠) سورة السجدة: ٢٠.
(١١) سورة الرحمٰن: ٤٤.
(١٢) الزمخشري - الكشاف - الجزء الرابع - ص٤٤٠.

إنهم «يطوفون مرة في الحميم ومرة بين الجحيم»[1]، ولا يعني هذا خروجهم من الجحيم؛ فالحميم أعد لهم في أماكن خاصة من النار وليس خارجها. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾[2]. «والرجوع دليل على الانتقال في وقت الأكل والشرب إلى مكان غير مكانهما»[3]. أعاذنا الله من النار وعذابها.

---

(١) الشوكاني - فتح القدير - الجزء الخامس - ص١٧٢.

(٢) سورة الصافات: ٦٨.

(٣) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط - الجزء السابع - ص٣٦٣ - ٣٦٤.
وانظر: ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الجزء الثاني عشر- ص ٣٦٨.
- ابن عاشور - التحرير والتنوير - الجزء السابع والعشرون - ص ٢٦٤.

الخاتمة

في ضوء ما تقدم ومن خلال دراسة موضوع الماء في القرآن الكريم نخلص إلى النتائج التالية:

أولاً: ورد للماء أسماءً كثيرةً في القرآن الكريم؛ وهذا يدل على فضل الماء وأهميته.

ثانياً: إن للماء دوراً فعالاً في حياة الكائنات الحية وعليه ترتكز الحياة؛ وقد برز هذا واضحاً من خلال عدد من الآيات الكريمة. وبرهن على ذلك الواقع والعلم الحديث.

ثالثاً: إن للماء تأثيره الكبير في قيام حضارات الشعوب ونمائها؛ وكذلك في إحياء تاريخها.

رابعاً: لقد سبق القرآن الكريم ركب العلم في التحدث عن حقائق علمية تم أكتشافها حديثاً.

خامساً: من خلال الأمثال المائية تحدث القرآن عن الحق والباطل وعن أعمال كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين.

سادساً: ظهر دور الماء جلياً في عدد من القصص القرآني، وكان له التأثير الكبير والبارز في أحداث القصة ونتائجها وفي إظهار الحق وإزهاق الباطل.

سابعاً: من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ذكر القرآن الكريم الكثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالبحار والأنهار مثل الأمواج ووصف لجج البحر واستخراج الحلي من المياه الملحة والعذوبة، وتحدث القرآن عن الفلك وصيد البحر، وعن مصير البحار يوم القيامة.

ثامناً: لقد ربط القرآن الكريم بين الرياح والسحاب والإعجاز العلمي فيهما ودورهما في طاعة الله تعالى.

تاسعاً: كما أن الماء مهم في الحياة الدنيا فهو كذلك يوم القيامة؛ فهو نعيم لأهل الجنة وشقاء على أهل النار، وقد ظهر ذلك جليا من خلال الكثير من الآيات القرآنية التي جاءت تصف ماء أهل الجنة وأنهارها وعيونها، ومن خلال الآيات التي تصف ماء أهل النار الممزوج بأشد أنواع العذاب.

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢	البقرة	﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾	٦٥	١١٤
٢	البقرة	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	٥٥، ٥٦
٢	البقرة	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾	٧٥	٥٧
٢	البقرة	﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	١٢٦	١٧٤
٢	البقرة	﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	١٦٤	١٦٥
٢	البقرة	﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	١٩٦	١١١
٢	البقرة	﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾	٢٠٥	٧٩، ١٥٦
٢	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٢٩
٢	البقرة	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾	٢٥٥	١٠٩
٢	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾	٢٦٤	٦١
٢	البقرة	﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾	٢٦٥	١٥، ٤٧، ٥٤
٢	البقرة	﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾	٢٦٥	٤٦
٢	البقرة	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾	٢٦٥	٥٣
٢	البقرة	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾	٢٦٦	٦٠
٣	آل عمران	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	٥	١٥١

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦	الأنعام	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	٩٧	١٥٢
٦	الأنعام	﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾	٩٦-٩٩	٤٤
٧	الأعراف	﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾	٥٠	١٩٢
٧	الأعراف	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾	٥٧	٦٥-٦٩، ١٦٥
٧	الأعراف	﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾	٥٧	١٦٥
٧	الأعراف	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾	٥٧-٥٨	٦٥
٧	الأعراف	﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾	٧٧	٩١
٧	الأعراف	﴿فَأَصْبَحُوا۟ دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾	٧٨	٩٢
٧	الأعراف	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	٩٦	١٩، ٧٣، ١٧٥
٧	الأعراف	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾	١٣٣	٢١، ١٠٣
٧	الأعراف	﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾	١٣٣	١٠٣
٧	الأعراف	﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ﴾	١٦٠	١٧
٧	الأعراف	﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾	١٦٠	٩٨
٧	الأعراف	﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾	١٦٣	١١٠

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١	هود	﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾	٤٠	٨٢
١١	هود	﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾	٤٠	٨٧
١١	هود	﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾	٤٢	١٤٣
١١	هود	﴿مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾	٤٢	٨٣
١١	هود	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾	٤٢	٨٢
١١	هود	﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾	٤٢	٨٣
١١	هود	﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾	٤٣	٨٣
١١	هود	﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾	٤٣	٨٣
١١	هود	﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾	٤٣	٨٣
١١	هود	﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾	٤٤	٨٣
١١	هود	﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾	٤٤	٨٤
١١	هود	﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾	٤٤	٨٧
١١	هود	﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾	٤٤	٨٥
١١	هود	﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾	٤٨	٨٦
١١	هود	﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾	٥٢	٧٩
١١	هود	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾	١٢٠	٧٧
١٢	يوسف	﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾	١٠	١٧
١٢	يوسف	﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾	٤٧	٤١

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢	يوسف	﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾	٥٥	٤١
١٣	الرعد	﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾	٤	٢٨
١٣	الرعد	﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾	١٢-١٣	١٥٨، ١٧٩
١٣	الرعد	﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾	١٣	٢٠
١٣	الرعد	﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾	١٤	٥٥
١٣	الرعد	﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾	١٧	١٩، ٥٨ ٦٣، ١٤٩
١٣	الرعد	﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾	١٧	١٨، ٢١
١٣	الرعد	﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾	٣٥	١٨٥
١٤	إبراهيم	﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾	١٦	١٨٦
١٤	ابراهيم	﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾	١٧	١٩٥
١٤	إبراهيم	﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾	١٧	١٩١
١٤	ابراهيم	﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ﴾	١٧	١٩٥
١٤	ابراهيم	﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾	٣٧	٣٨
١٤	إبراهيم	﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	٤٨	١٥٨، ١٦٠
١٥	الحجر	﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾	٢٠	٣٦، ١٧٢

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥	الحجر	﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾	٢٢	٣٧، ٤٨، ١٦٦، ١٦٧
١٥	الحجر	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾	٧٤	١٤
١٦	النحل	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	٦–٧	١٣٦
١٦	النحل	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾	١٤	١٣١
١٦	النحل	﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٤	١٣٨
١٦	النحل	﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	١٦	١٥٢
١٦	النحل	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾	٦١	١٥٧
١٦	النحل	﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾	١١٢	١٧٦
١٧	الإسراء	﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾	٤	٨٨
١٧	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	٧٠	١٥٣
١٧	الإسراء	﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾	٧٦	٨٨
١٧	الإسراء	﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	١٠٩
١٨	الكهف	﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾	٢٥	١٠٧
١٨	الكهف	﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾	٢٩	١٩٣
١٨	الكهف	﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾	٢٩	١٩٣

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨	الكهف	﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	٣١	١٨٦
١٨	الكهف	﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾	٤٥	٦٧
١٨	الكهف	﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾	٤٥	٦٥
١٨	الكهف	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾	٦٠	١٠٦
١٨	الكهف	﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾	٦١	١٣٣
١٨	الكهف	﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾	٦٢	١٠٦
١٨	الكهف	﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾	٦٣	١٠٧
١٨	الكهف	﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾	٦٣-٦٤	١٠٥، ١٠٧
١٨	الكهف	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾	٦٥	١٠٥
١٨	الكهف	﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾	٦٧-٦٨	١٠٧
١٨	الكهف	﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾	٦٨	١٠٧
١٨	الكهف	﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾	٧٠	١٠٨
١٨	الكهف	﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾	٧١-٧٣	١٠٨
٢٠	طه	﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾	٣٩	٩٦
٢٠	طه	﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٣-٤٨	٩٩

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠	طه	﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾	٧٧	٩٩
٢٠	طه	﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾	٧٧	١٠٠
٢٠	طه	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾	١٠٥-١٠٦	١٦١
٢١	الأنبياء	﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾	٣٠	٢٥
٢١	الأنبياء	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٠	٢٥
٢١	الأنبياء	﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٠	٢٥
٢١	الأنبياء	﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾	٨٧	١١٦
٢١	الأنبياء	﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾	٨٧	١١٧
٢١	الأنبياء	﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾	٨٧	١٢٠
٢١	الأنبياء	﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾	٨٨	١٢٠
٢١	الأنبياء	﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	١٢٠
٢٢	الحج	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾	٥	١٤، ٧٢
٢٢	الحج	﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾	٥	٧١
٢٢	الحج	﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾	١٩-٢٠	١٩٢
٢٢	الحج	﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾	٤٥	١٧

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢	الحج	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾	٦٣	٦٧
٢٣	المؤمنون	﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٨	١٧٢،٣٧، ١٧٥
٢٤	النور	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾	٣٩	٥٩،٥٧،١٦
٢٤	النور	﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾	٤٠	١٤٤،٥٨
٢٤	النور	﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾	٤٠	١٤٥
٢٤	النور	﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	٥٩
٢٤	النور	﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾	٤٠	١٤٥،٥٨
٢٤	النور	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾	٤٣	١٦٨،١٦
٢٤	النور	﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾	٤٣	٤٥
٢٤	النور	﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾	٤٣	١٤
٢٤	النور	﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾	٤٣	١٥
٢٤	النور	﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾	٤٣	١٦٩،٢٥
٢٤	النور	﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾	٤٥	٢٨
٢٥	الفرقان	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	٢	١٣٢،٣٧
٢٥	الفرقان	﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾	٤٠	١٧٩
٢٥	الفرقان	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾	٤٥–٤٨	٤٤

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥	الفرقان	﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾	٤٨	١٦٦
٢٥	الفرقان	﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾	٤٨	١٨٦
٢٥	الفرقان	﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾	٤٨-٤٩	٣٠، ١٧٢
٢٥	الفرقان	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ﴾	٥٣	١٤٨
٢٥	الفرقان	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًاۗ﴾	٥٤	٢٩
٢٦	الشعراء	﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾	٥٢	٩٩
٢٦	الشعراء	﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾	٦١	٩٩
٢٦	الشعراء	﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهۡدِينِ﴾	٦٢	٩٩
٢٦	الشعراء	﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٍ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	٦٣	٩٤، ١٠٠
٢٦	الشعراء	﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾	٦٤	١٠٠، ١٠١
٢٦	الشعراء	﴿أَتُتۡرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	١٤٦-١٤٨	٩٠، ٩١
٢٦	الشعراء	﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ﴾	١٥٥	٩٠
٢٦	الشعراء	﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾	١٥٦	٩١
٢٧	النمل	﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾	٥٨	١٤
٢٧	النمل	﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾	٦٣	١٥٣

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧	النمل	﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾	٨٨	٢٧، ٤٥، ١٣٢
٢٨	القصص	﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٤	٩٤
٢٨	القصص	﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾	٦	٩٦
٢٨	القصص	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	٧	٩٥
٢٨	القصص	﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾	٧	٩٥
٢٨	القصص	﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾	٧	١٦، ٩٤
٢٨	القصص	﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾	٧	٩٥، ٩٨
٢٨	القصص	﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾	٨	٩٤
٢٨	القصص	﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾	٨	٩٦
٢٨	القصص	﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	١٨	٩٦
٢٨	القصص	﴿رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾	٢٠	٩٦
٢٨	القصص	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢١	٩٦
٢٨	القصص	﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	٢٢	٩٧
٢٨	القصص	﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾	٢٣	٩٧
٢٨	القصص	﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾	٢٣	٩٧
٢٨	القصص	﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾	٢٣	٩٧
٢٨	القصص	﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾	٢٣	٩٧

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢	السجدة	﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾	٧	٢٧
٣٢	السجدة	﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾	٨	٢٨
٣٢	السجدة	﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾	٢٠	١٩٥
٣٣	الأحزاب	﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾	٩	١٦٥
٣٤	سبأ	﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِى مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ﴾	١٥-١٧	٤١
٣٤	سبأ	﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾	١٩	٤١
٣٥	فاطر	﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾	٩	٦٩، ١٦٦
٣٥	فاطر	﴿وَمَا يَسۡتَوِى ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾	١٢	١٣٥
٣٥	فاطر	﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾	١٢	٢٧، ١٥٠
٣٥	فاطر	﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾	١٢	١٣١
٣٥	فاطر	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ﴾	٢٧	٢٩
٣٥	فاطر	﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾	٣٦-٣٧	١٩٥
٣٦	يس	﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾	٣٨-٣٩	١٤٤
٣٦	يس	﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾	٤١	١٣٨، ١٤٠
٣٦	يس	﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾	٨٠	١٥٨
٣٧	الصافات	﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾	٤٧	١٨٥

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٢	الشورى	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	٢٨	١٤، ٢٠
٤٢	الشورى	﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾	٣٣	١٤٠
٤٣	الزخرف	﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾	١٢-١٣	١٣٨
٤٣	الزخرف	﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾	١٣	١٣٨
٤٤	الدخان	﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾	٢٤	١٠٠
٤٤	الدخان	﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	٢٥-٢٨	٤١
٤٥	الجاثية	﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	٥	١٩
٤٥	الجاثية	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٢	١٦
٤٧	محمد	﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾	١٥	١٨٤
٤٧	محمد	﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾	١٥	١٨٣، ١٨٩
٤٧	محمد	﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾	١٥	١٨٥
٤٧	محمد	﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾	١٥	١٨٥
٤٧	محمد	﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾	١٥	٥٩، ١٩٣
٥٠	ق	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾	٩	١٣، ٦٩
٥١	الذاريات	﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾	٤٢	١٦٥، ١٦٧
٥٢	الطور	﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾	٦	١٦١
٥٢	الطور	﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾	٤٤	١٧
٥٤	القمر	﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾	١٢	٨٢
٥٥	الرحمن	﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾	٢٠	١٤٦-١٦٠

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥	الرحمن	﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾	٢٢	١٣٤، ١٥٠
٥٥	الرحمن	﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾	٢٤	١٣٩
٥٥	الرحمن	﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾	٤٤	١٩٥
٥٥	الرحمن	﴿فيهما عينان تجريان﴾	٥٠	١٨٩
٥٥	الرحمن	﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾	٥٨	١٣٤
٥٥	الرحمن	﴿ومن دونهما جنتان﴾	٦٢	١٨٩
٥٥	الرحمن	﴿فيهما عينان نضاختان﴾	٦٦	١٨٩
٥٦	الواقعة	﴿في سموم وحميم﴾	٤٢	١٩٤
٥٦	الواقعة	﴿من يحموم﴾	٤٣	١٩٤
٥٦	الواقعة	﴿لا بارد ولا كريم﴾	٤٤	١٩٤
٥٦	الواقعة	﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم﴾	٥١-٥٦	١٩٣، ١٩٥
٥٦	الواقعة	﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾	٦٩	١٧
٥٦	الواقعة	﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾	٦٨-٧٠	٢٧، ١٧٧
				١٧٢
٥٧	الحديد	﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾	١٢	١٨٣
٥٧	الحديد	﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر﴾	٢٠	٧١
٥٩	الحشر	﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾	٢١	٥١
٦٢	الجمعة	﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾	٥	١١٣
٦٥	الطلاق	﴿إن الله بالغ أمره﴾	٣	٩٨

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٧	الملك	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾	٥	١٣٦
٦٧	الملك	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾	٣٠	١٧٤
٦٨	القلم	﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾	٤٨	١١٧
٦٨	القلم	﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾	٤٨	١١٦
٦٨	القلم	﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾	٤٩	١٢٢
٥٥	الحاقة	﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾	٢٤	١٨٩
٧١	نوح	﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾	١٠-١٢	٧٨، ١٧٦، ١٧٧
٧١	نوح	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	٨٧، ٨٨
٧٢	الجن	﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾	١٧	١٧٣
٧٣	المزمل	﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾	١٣	١٩٥
٧٥	القيامة	﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾	٣٧	١٤
٧٥	القيامة	﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾	٣٩	٢٩
٧٦	الإنسان	﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾	٦	١٨٩
٧٦	الإنسان	﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾	١٨	١٩١
٧٧	المرسلات	﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾	٢٧	١٦٨
٧٧	المرسلات	﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾	٢٧	٢٧

رقم السورة	اسم السورة	نص الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٧	المرسلات	﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾	٤٤	١٨٥
٧٨	النبأ	﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾	١٤	١٧
٧٨	النبأ	﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾	٢٤-٢٥	١٩٣
٨١	التكوير	﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	٦	١٥٨، ١٦١
٨٢	الانفطار	﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾	٣	١٦٢
٨٣	المطففين	﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾	٢٥-٢٦	١٩٠
٨٣	المطففين	﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾	٢٧	١٩١
٨٦	الطارق	﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾	٥-٧	٢٨
٨٦	الطارق	﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾	١٢	٤٦
٨٨	الغاشية	﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾	١٢	١٨
٩١	الشمس	﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾	١٢	٩١
١٠٥	الفيل	﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾	٤-٥	١٧٩
١٠٦	قريش	﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾	٢	٢٠
١٠٨	الكوثر	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	١	١٨٧

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة

الاسم أو اللقب أو الكنية	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	رقم الصفحة
الفخر الرازي	٥٤٤	٦٠٦ هـ	٨٠
ابن قيم الجوزية	٦٩١	٧٥١ هـ	٣٤
ابن كثير	٧٠١	٧٧٤ هـ	١٢١
الكسائي	-	١٨٩ هـ	٨٦
مجاهد	٢١	١٠٤ هـ	٥٦
ابن المقفع	-	١٤٢ هـ	٨٤
نابليون	١٧٦٦	١٨٢١ م	١٤٦

فهرس المصطلحات والألفاظ والأماكن التي تم تعريفها

فهرس المراجع

القرآن الكريم

(١)- **ابراهيم**: نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم - طبعة ١٩٦٣ دار المعارف.

(٢)- **ابن الأثير**: عز الدين أبي الحسن الشيباني - أسد الغابة في معرفة الصحابة - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

(٣)- **الألوسي**: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود - روح المعاني في تفسير الكتاب العظيم والسبع المثاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤)- **البار**: د. محمد علي - الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها - دار المنار للنشر والتوزيع - جده - السعودية.

(٥)- **بافقيه**: محمد عبد القادر - تاريخ اليمن القديم - بيروت لبنان ١٩٨٥.

(٦)- **البخاري**: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري - اعتنى به أبو صهيب الكرمي - طبعة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض.

(٧)- **البغدادي**: إسماعيل باشا - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

(٨)- **البغوي**: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي -تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل- إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمان العك ومروان سوار - الطبعة الأولى ١٩٨٦ - دار المعرفة - بيروت.

(٩)- **البقاعي**: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر - نظم الدرر في تناسب

الآيات والسور - خرج آياته وأحاديثه ووضع هوامشه عبد الرزاق غالب المهدي - الطبعة الأولى ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(١٠)- **البنداق**: د. محمد صالح - هداية الرحمان لألفاظ وآيات القرآن - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - دار الآفاق الجديدة - بيروت.

(١١)- **البوطي**: د.محمد سعيد رمضان -فقه السيرة -الطبعة السابعة ١٩٧٨-دار الفكر - بيروت.

(١٢)- **البيضاوي**: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل الطبعة الأولى ١٩٨٨ - دار الكتب العلمية بيروت.

(١٣)- **توماس**: دافيدباركس - بحث الماء يروي لك القصة (الله يتجلى في عصر العلم) تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين - أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسما- ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان - راجعه وعلق عليه:د. محمد جمال الدين الفندي - الطبعة الثالثة ١٩٦٨ - الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة.

(١٤)- **توني** د. يوسف معجم المصطلحات الجغرافية١٩٦٤ - دار الفكر العربي.

(١٥)- **جبر**: أيمن عبد العزيز- روائع البيان لمعاني القرآن - الطبعة الأولى - دار الأرقم - عمان الأردن -راجعه:د. أحمد نوفل ود. أحمد شكري.

(١٦)- **جرانت**: أ.ج وهارولد تمبرلي - أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ - ١٩٥٠م ترجمة: بهاء فهمي عن الطبعة السادسة المنقحة - مؤسسة سجل العرب - القاهرة - مراجعة: د. أحمد عزت عبد الكريم.

(١٧)- **الجزائري**: أبو بكر جابر - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

(١٨)- **الجزائري**: محمد داوود - الإعجاز الطبي في القرآن والسنة - الطبعة الأولى - ١٩٩٣م - منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت.

(١٩)- **الجلالين**: جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي - تفسير الجلالين.دار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

(٢٠)- **جماعة من الأطباء** - المرشد الطبي الحديث (دليل علمي صحي يعالج جميع الأمراض) المكتبة الحديثة بيروت - مكتبة النهضة - بغداد أشرف على إعداد

الكتاب: د. ماهر بشاي.

(٢١)- **الجميلي**: د. السيد - الإعجاز الطبي في القرآن - الطبعة الأولى - ١٩٨٥ - دار ومكتبة الهلال بيروت.

(٢٢)- **جوده**: د. جوده حسين - جغرافية البحار والمحيطات - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١.

(٢٣)- **الجوهري**: إسماعيل بن حماد - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - الطبعة الثانية - بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩-دار العلم للملايين - بيروت.

(٢٤)- **حبنكه**: عبد الرحمان حسن الميداني - الأمثال القرآنية (دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها) - الطبعة الأولى - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار القلم - دمشق - بيروت

(٢٥)- **حجازي**: د. محمد محمود - التفسير الواضح - الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م - مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة.

(٢٦)- **حسن**: د.حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي-الطبعة السابعة ١٩٦٤-دار الأندلس -بيروت.

(٢٧)- **الحلاق**: د. حسان - دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٨٧ - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت.

(٢٨)- **الحلبي الشافعي**: علي بن برهان الدين - السيرة الحلبية - المكتبة الإسلامية بيروت - لبنان.

(٢٩)- **حمدة**: محمد علي - من أساليب البيان في القرآن الكريم -الطبعة الأولى- ١٩٧٨-جمعية عمال المطابع التعاونية-عمان.

(٣٠)- **الحمصي**: محمد حسن - قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي - دار الرشيد - دمشق - بيروت.

(٣١)- **الحموي**: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. معجم البلدان - الطبعة الأولى ١٩٩٦ - دار صادر - بيروت.

(٣٢)- **الحميري**: محمد عبد المنعم - الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة) حققه: د. إحسان عباس -الطبعة الثانية ١٩٨٤م-

مكتبة بيروت -لبنان.

(٣٣)- **ابن حنبل**: أحمد - مسند الإمام أحمد المتوفى ٢٤١هـ باقي مسند المكثرين - الناشر - دار المعارف - مصر ١٩٨٠.

(٣٤)- **حوقل**: أبو القاسم النصيبي - صورة الأرض - الطبعة الثانية - دار صادر - بيروت.

(٣٥)- **حوى**: سعيد - الأساس في التفسير - دار السلام - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م- القاهرة - ص- ب: ١٦١ غورية.ت ٩٣٥٦٤٤ - حلب.

(٣٦)- **أبو حيان الأندلسي**: محمد بن يوسف - تفسير البحر المحيط - ٦٥٤ - ٧٥٤ هـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م دار الفكر.

(٣٧)- **الخازن**: علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي - لباب التأويل في معاني التنزيل - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣٨)- **الخالدي**: د. صلاح عبد الفتاح - البيان في إعجاز القرآن - دار عمار - الأردن.

(٣٩)- **خان**: وحيد الدين - الإسلام يتحدى - تعريب ظفر الإسلام خان - مراجعة وتحقيق: د. عبد الصبور - الطبعة الثانية ١٩٧٣م دار البحوث العلمية.

(٤٠)- **خبّاط**: يوسف - معجم المصطلحات العلمية والفنية (عربي - فرنسي - انجليزي -لاتيني) دار لسان العرب - بيروت لبنان.

(٤١)- **خضر**: د. عبد العليم عبد الرحمان - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م - دار العون للنشر والتوزيع - جده.

(٤٢)- **الخطيب**: د. عماد إبراهيم ود. هشام إبراهيم الخطيب وخلود أبو رمان الخطيب - الكيمياء الحيوية ١+ ٢+ ٣ - الناشر: مكتبة دار الثقافة للنشر - عمان - الأردن.

(٤٣)- **ابن خلكان**: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٦٠٨ - ٦٨١ هـ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - حققه: د. إحسان عباس - دار الثقافة بيروت - لبنان.

(٤٤)- **الدرة**: محمد علي طه - تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - دار الحكمة دمشق - بيروت ١٩٨٥.

(٤٥)- **الذهبي**: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان - سير أعلام النبلاء - الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٤٦)- **الرازي**: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر-مختار الصحاح -مكتبة لبنان ١٩٨٦م.

(٤٧)- **الراغب الأصفهاني**: أبو القاسم الحسين بن محمد - المفردات في غريب القرآن تحقيق وضبط: محمود خليل عيتاني - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م - دار المعرفة -بيروت- لبنان.

(٤٨)- **رضا**: محمد رشيد - تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار - الطبعة الرابعة - ١٣٧٣ هـ أصدرتها: دار المنار - مصر.

(٤٩)- **رويحة**: د. أمين - الروماتزم - شقاؤه وشفاؤه - دار القلم - بيروت - لبنان.

(٥٠)- **الزحيلي**: د. وهبة - القصة في القرآن (هداية وبيان) - الطبعة الأولى ١٩٩٢ - دار الخير - بيروت.

(٥١)- **الزركلي**: خير الدين - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين)الطبعة السادسة ١٩٨٤ - دار العلم للملايين.

(٥٢)- **الزقة**: د. عبد الرحيم أحمد - القرآن الكريم المعجزة الخالدة - بحوث المؤتمر الأول المعقود بمدينة السلام - بغداد ٢١-٢٦ رمضان - ١٤١٠هـ ١٦ -٢١ نيسان - ١٩٩٠م - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(٥٣)- **الزمخشري**: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد -الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين - الطبعة الأولى ١٩٩٥ دار الكتب العلمية بيروت.

(٥٤)- **السبكي**: د. زينب ود. يسرى جبر - الدم ومشتقاته - مكتبة نهضة مصر - مصر.

(٥٥)- **السعدي**: عبد الرحمان ناصر (تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان) الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م. حققه وضبطه ونسقه: محمد زهري النجار - دار النشر - عالم الكتب - بيروت.

(٥٦)- **سعود**: د. رفيق - إعجازات حديثة علمية ورقمية في القرآن الطبعة الثانية - دار المعرفة - دمشق.

(٥٧)- **سليمان**: محمد أحمد - القرآن. الطب - الطبعة الخامسة ١٩٨١ دار العودة بيروت.

(٥٨)- **سوسة**: أحمد حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية - دار الرشيد ١٩٨٠.

(٥٩)- **سيد قطب**: التصوير الفني في القرآن-الطبعة السابعة ١٩٨٢-دار الشروق- بيروت.

(٦٠)- **سيد قطب**: في ظلال القرآن - طبعة ١٩٧٦م - دار الشروق - بيروت.
(٦١)- **السيوطي**: الإمام جلال الدين - الإتقان في علوم القرآن - مراجعة وتدقيق: سعيد المنروه - الطبعة الأولى ١٩٩٦ - دار الفكر - بيروت.
(٦٢)- **الشؤون الإسلامية**: وزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية-المنتخب -أشرف على اصداره: د.محمد الأحمدي أبو النسور. الطبعة الحادية عشره -القاهرة - محرم ١٤٠٦هـ سبتمبر ١٩٨٥م.
(٦٣)- **شرف**: عبد العزيز طريح - الجغرافيا المناخية والنباتية - الطبعة الثامنة.
(٦٤)- **الشريف**: د.عدنان -من علوم الأرض القرآنية (الثوابت العلمية في القرآن الكريم)الطبعة الأولى-١٩٩٣-دار العلم للملايين-بيروت.
(٦٥)- **الشعراوي**: محمد متولي - معجزة القرآن - مكتبة التراث الإسلامي - مصر إعداد: محمد زين.
(٦٦)- **الشوكاني**: محمد بن علي بن محمد - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - طبعه وصححه: أحمد عبد السلام - الطبعة الأولى ١٩٩٤- دار الكتب العلمية - بيروت.
(٦٧)- **الصابوني**: محمد علي - مختصر تفسير ابن كثير - دار القرآن الكريم - بيروت.
(٦٨)- **صالح**: د. عبد المحسن من كل شيء موزون -الطبعة الأولى -١٩٨٤-عكاظ للنشر والتوزيع - السعودية.
(٦٩)- **الصالحي**: محمد بن يوسف - سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد - تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد و الشيخ علي محمود معوض - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - دار المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.
(٧٠)- **صدقي**: نعمة - معجزة القرآن - دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع.
(٧١)- **الصغير**: د. محمد حسين علي - الصورة الفنية في المثل القرآني - دار الرشيد - الجمهورية العراقية ١٩٨١. سلسلة دراسات ٢٨٨.
(٧٢)- **الطباطبائي**: السيد محمد حسين - الميزان في تفسير القرآن - الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ١٩٧١م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
(٧٣)- **الطبري**: أبو جعفر محمد بن جرير - جامع البيان في تفسير القرآن-الطبعة الرابعة- دار المعرفة-بيروت.

(٧٤)- **طقوش**: د. محمد سهيل - العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب عن الخلافة - دار بيروت ١٩٦٨.

(٧٥)- **طوبيا**: د. سامي ود. نظير عريان - الكيمياء العامة وغير العضوية(العناصر اللافلزية الشائعة) - دار المعرفة بمصر.

(٧٦)- **الطوسي**: محمد بن الحسن بن علي - تفسير التبيان -تحقيق وتنقيح: أحمد حبيب قصير العاملي ومكتبة الأمين - النجف ١٩٦٣.

(٧٧)- **ضيف**: د. شوقي - سورة الرحمان وسور قصار (عرض ودراسة) دار المعارف - مصر - ١٩٧١.

(٧٨)- **عبد الصمد**: محمد كامل: الإعجاز العلمي في الاسلام الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - ١٩٩٣م - الناشر: الدار المصرية اللبنانية.

(٧٩)- **عبد العال**: د. محمد عبد المنعم - نظرات إسلامية عن الأمراض الجلدية والتناسلية - الطبعة الأولى ١٩٨٥ دار السلامة للطباعة والنشر.

(٨٠)- **عبده**: الشيخ محمد - تفسير القرآن الكريم (جزء عم) - الطبعة الثانية - دار زيدون بيروت.

(٨١)- **عربي**: محي الدين - تفسير القرآن الكريم - تحقيق: د. مصطفى غالب - الطبعة الثانية ١٩٧٨م - دار الأندلس.

(٨٢)- **العسقلاني**: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر -فتح الباري - الطيعة الثانية ١٩٨٥- دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٨٣)- **ابن عطية**: أبو محمد عبد الحق - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الطبعة الأولى - الدوحة ١٩٨٤ - تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - والسيد عبد العال السيد إبراهيم.

(٨٤)- **علي**: د. فاضل عبد الواحد - الطوفان في المراجع المسمارية - طبع على نفقة رئاسة جامعة بغداد.

(٨٥)- **أبو عوده**: د. عوده - شواهد في الإعجاز القرآني(دراسة لغوية ودلالية) - الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - دار آفاق للنشر والتوزيع.

(٨٦)- **العيسوي**: د. عبد الرحمان أمراض العصر ١٩٨٤م - دار المعرفة الجامعية.

(٨٧)- **أبو العينين**: د. حسن سيد أحمد ود. سيد حسن شرف الدين الافيانوغرافيا -

الطبيعية - دار المعارف ١٩٦٩.

(٨٨)- **غربال**: محمد شفيق ورفيقه مصطفى عامر ونخبة من العلماء - تاريخ الحضارة المصري الفرعوني - مكتبة النهضة المصرية.

(٨٩)- **غلينكا**: الكيمياء العامة: ترجمة: د.عبد الحليم منصور وأحمد الحاج سعيد - مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٦٨.

(٩٠)- **الغمراوي**: محمد أحمد - الإسلام في عصر العلم (الدين والرسول والكتاب) - إعداد: د. أحمد عبد السلام الكرداني - الطبعة الأولى - ١٩٧٣.

(٩١)- **الفخر الرازي**: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن - التفسير الكبير - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٩٢)- **الفراهيدي**: أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد - ١٠٠ - ١٧٥ هـ - العين تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي- دار مكتبة الهلال.

(٩٣)- **الفندي**: د. محمد جمال الدين - الله والكون - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦م.

(٩٤)- **فوستر**: روبرت ج- الجيولوجيا العامة - ترجمة: د. عبد القادر عابد ود. شاكر رسمي المقبل ود. سعد حسن الباشا - منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٠.

(٩٥)- **الفيروز أبادي**: مجد الدين محمد بن يعقوب- القاموس المحيط-دار الجيل- بيروت.

(٩٦)- **القاسم**: محمود بن عبد الرؤوف - من جغرافية القصص القرآني -الطبعة الأولى ١٩٩٤م-المكتبة الإسلامية-عمان.

(٩٧)- **القاسمي**: محمد جمال الدين - محاسن التأويل - الطبعة الأولى ١٨٣٠هـ، ١٩٦٠م.

(٩٨)- **القرطبي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري -الجامع لأحكام القرآن - الطبعة الخامسة ١٩٩٦-دار الكتب العلمية بيروت.

(٩٩)- **القمي**: محمد بن محمد - تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب - تحقيق: حسين ركاهي - الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م - مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران.

(١٠٠)- **قوش**: د. سليمان عمر - الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم - الطبعة الأولى ١٩٨٧ - دار الحرمين الدوحة.

(١٠١)- **ابن قيم الجوزية**: شمس الدين محمد بن أبي بكر - الأمثال في القرآن الكريم

-دار المعرفة للطباعة والنشر -بيروت لبنان.
(١٠٢)- **ابن قيم الجوزية**: شمس الدين محمد بن أبي بكر - الطب النبوي - الطبعة الثانية ١٩٨٩ - دار الدعوة - الإسكندرية.
(١٠٣)- **ابن قيم الجوزية**: شمس الدين محمد بن أبي بكر - الفوائد - دار الفكر - بيروت.
(١٠٤)- **كاون**: روبرت - البحار وما فيها (قصة الكشوف العلمية البحرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها) ترجمة: د. عبد الحافظ حلمي - مؤسسة كل العرب - القاهرة ١٩٦٧.
(١٠٥)- **ابن كثير**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي - البداية والنهاية - الطبعة لثانية ١٩٩٠م مكتبة المعارف - بيروت.
(١٠٦)- **ابن كثير**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي -السيرة النبوية - تحقيق: مصطفى عبد الواحد - دار إحياء ا لتراث - بيروت لبنان.
(١٠٧)- **ابن كثير**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي- تفسير القرآن العظيم - مكتبة دار التراث - القاهرة.
(١٠٨)- **ابن كثير**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي - قصص الأنبياء - الطبعة الثانية - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - المكتبة الثقافية.
(١٠٩)- **كينج**: طومسون - الماء معجزة الطبيعة - ترجمة: زكريا فهمي - مراجعة - د. كمال الدين حكيم - دار الكرنك للنشر والتوزيع القاهرة - ١٩٦٤.
(١١٠)- **لين**: فرديناند - كل شيء عن البحر - ترجمة: د. محمود محمد - مراجعة: د. كاظم منصور - الطبعة الثانية ١٩٦٦ - دار المعارف بمصر.
(١١١)- **ليوبلر**: لوناب - الماء هو الأساس - ترجمة: د. رياض حامد الدباغ ومحمد شامل دحاح - الناشر: جيمس كيليلي.
(١١٢)- **ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى ٢٧٥هـ - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(١١٣)- **محمد**: د. محمد عبد القادر - الساميون في العصور القديمة - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٨ م.
(١١٤)- **محمد قطب**: منهج الفن الإسلامي - الطبعة الثانية - دار القلم.

(١١٥)- **المراغي**: أحمد مصطفى - تفسير المراغي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١١٦)- **منظور**: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم -لسان العرب - دار صادر - بيروت.

(١١٧)- **المودودي**: أبو الأعلى - تفسير سورة النور - تعريب: محمد عاصم الحداد - دار الفكر.

(١١٨)- **مور**: روث - الأرض التي نعيش عليها (قصة الاكتشافات الجيولوجية) ترجمة: إسماعيل حقي - مراجعة وتدقيق: د. رفيق الخشاب ود. محمد رشيد - مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦١.

(١١٩)- **ناصر**: د. عبد الهادي - الكون والقرآن (مدارسة عقلية وإيمانية) الطبعة الأولى ١٩٩٥ - المكتبة الأكاديمية.

(١٢٠)- **نخبة من أساتذة كليات الطب بمصر**: الأمراض الجلدية والحساسية - إعداد: محمد رفعت - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

(١٢١)- **النسفي**: عبد الله بن أحمد بن محمود - مدارك التنزيل وحقائق التأويل-الطبعة الاولى ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(١٢٢)- **النصيرات**: إبراهيم حسن - ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم - الطبعة الثانية - ١٩٨١ - جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان.

(١٢٣)- **نوفل**: عبد الرزاق - الله والعلم الحديث - الطبعة الثانية - دار مصر للطباعة.

(١٢٤)- **النووي**: الإمام محيي الدين - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - الطبعة الرابعة - ١٩٩٧ - دار المعرفة - بيروت.

(١٢٥)- **هشام**: أبو محمد عبد الملك بن هشام - السيرة النبوية - دار الجيل- بيروت ١٩٧٥.

(١٢٦)- **هوايت**: آن تيري - كل شيء عن الأنهار العظيمة في العالم ترجمة وتقديم: العميد ا - ح - محمد عبد الفتاح إبراهيم - إشراف ومراجعة: د. محمد صابر سليم - دار المعارف - مصر ١٩٦٤.

(١٢٧)- **هيتو**: محمد حسن - المعجزة القرآنية (الإعجاز العلمي والغيبي) - الطبعة الأولى - ١٩٨٩ مؤسسة الرسالة - بيروت.

(١٢٨)- M. EI - wokill - poweplant. technology - MCGRAW - HIL.

ملخص البحث:

بعد دراسة وبحث موضوع الماء في القرآن الكريم يمكن تلخيص ما تضمنه هذا البحث من معلومات وأفكار على النحو التالي:

التمهيد: ويتضمن أسماء وألفاظ الماء والتي لها علاقه بالماء مع شرح موجز لكل لفظ من هذه الألفاظ.

الفصل الاول: الماء والكون: ويتضمن هذا الفصل المعلومات والأفكار التاليه:

إن الماء عماد الحياة وعليه ترتكز، وإن نقصان الماء أو زيادته عن القدر اللازم يعني وجود اختلالٍ في نظام الكون وتدهورٍ في حياة الكائنات الحيه، وقد ثبت أن الماء من أهم وسائل العلاج وهذا وما أثبته العلم ودعا إليه القرآن.

أن للماء الأثر الكبير والدور الفعال في قيام الحضارات؛ فعن طريق البحار اتصل الانسان بأخيه الانسان في أرجاء المعمورة، وبالماء ينبت الزرع وتنمو الصناعات، وتزدهر حياة الانسان.

هناك إرتباط وثيق بين الماء والهواء، كما أن هناك تشابهاً بينهما؛ وهذا ما دل عليه العلم وصرّح به القرآن قبل ذلك.

الفصل الثاني: من خلال الماء تم ضرب عددٍ من الأمثال القرآنية والتي من خلالها تم إظهار الإيمان والحق بأجلى معانيهما وإظهار الكفر والنفاق والباطل بأبشع الصور، بحيث يخلص المرء في النهاية إلى الشوق إلى الحق والنفور من الباطل دون أن يحس بهذا الإتجاه أو ذاك.

الفصل الثالث: برز دور الماء واضحاً في أحداث القصة ونتائجها؛ فمن خلال الماء أهلك الله الطغاة والمجرمين ورحم المؤمنين، ومن خلال الماء أيضاً ظهرت المعجزات وخوارق العادات مع أنبياء الله ورسله، وبالماء ابتلى الله أمماً وجماعات.

الفصل الرابع: تجلى ذكر البحار والأنهار في عدد من آي كتاب الله؛ فقد تحدث القرآن الكريم عن صيد البحر واستخراج الحلية من العذب والمالح، كما تحدث القرآن عن الفلك وحالها في البحر، وتحدث القرآن أيضاً عن الإعجاز العلمي في البحار والأنهار كوصفه ظلام البحر وأمواجه وبرزخية البحار، وكذلك قرن القرآن الكريم في

عدد من آياته بين ذكر البر والبحر. وقد تم ترتيب عناوين لهذه الآيات الكريمة؛ كعلم الله ما في البر والبحر، والاهتداء، وحال الانسان بين الرخاء والشدة، وظهور الفساد في البر والبحر، وأخيراً أخبر القرآن الكريم عن مصير البحار يوم القيامة.

الفصل الخامس: السحاب والسماء؛ من مظاهر إعجاز القرآن ذكر القرآن لحقائق علمية في الرياح والسحاب وربطه بينهما؛ كتلقيح الرياح للسحاب والنبات - كما قرن القرآن بين الجبال ونزول الماء وهذا ما أيده العلم - ثم إن ذكر القرآن الكريم لأنواع من السحاب والتفريق بينهما دليل على إعجاز القرآن؛ فسحاب ينزل برداً، وسحاب يخرج منه الودْق، وسحاب عقيم لا يمطر أبداً.

وقد ربط القرآن الكريم كذلك بين الماء وطاعة الله، وظهر من خلال آياته أن الماء قد يكون فتنة وقد يكون عذاباً، وأن نزول الماء واستقراره على ظهر الأرض لم يكن إلا أمراً مقدوراً في غاية من الدقة والحكمة.

الفصل السادس: من أحسن أنواع النعيم في الجنة الماء؛ فقد أكرم الله نبيه محمد عليه السلام بالحوض الذي لا يظمأ شاربه، وأكرمه بالجنة بنهر الكوثر، وأكرم الله كذلك عباده بأنهار الجنة وعيونها وشرابها، وإن من أشد ألوان العذاب في النار ماءها الذي بلغ الغاية في النتن والحرارة؛ فالماء في الآخرة نعيم لأهل الجنة وشقاء على أهل النار.

ABSTRACT OF SUBSJECT

Having searched the question of water in the «holly koran», we can summurise what this research includes in terms of information and ideas as follow:-

Preface: the preface includes names and utterances of water as well as abrief explaination for each utterance.

Chapter one : «water and the universe»

This chapter includes the follwing information and thoughts:

Water is the pillar of life upon it life is based. either overshortage or overincrease of water means a confusion in the system of the universe and a dedine in the life of living thing. it has been proved that water has the greatest effect and effective role in establishing the civilizations. it is water with which the human race communicated all over the world. It is water by which plants grow and inclutries develop and life prospers.

There is a strong connection between water and air, and also there is a similarity between them - this what science has proved and what the Holly koran had stated befor that.

Chapter two

Many examples have been told through water and through it faith and pledge meaning fully have been shown as well as showing the unfidelity and hypocracy in their uglist pictures so that the man ends to longing for pledge and for alienation from the devil without feeling of both directions.

Chapter three

The role of water has appeared more graphically in the events of the story and its conclusion. Through water , God annihilated tyrants and criminals and had mercy upon believers. Through water , miracles and supernatural hapbits appeared to the messengers and prophets. Through water, God examined groups and nations.

Chapter Four

The mention of seas and rivers has appeared on a number of the Holly Koran verses. It has talked about seas fishing and the exraction of ornaments from sweet and salty. Also the Holly Koran has talked about the ships and their state in the sea and about the scientific inimitability in seas and rivers; such as describing the sea darkness and ripples as well as the intervals of the seas. In addition the Holly Koran associated the mention of land with that of sea. Such as God awarness of land and sea , the human guidance in the sea, the state of the human being between prosperity and misery , the appearance of corruption in land and sea and finally the Holly Koran has told about the desting of seas in

the doomsday.

Chapter five

Clouds and sky are aspect of inimitability in the Holy Koran , It has mentional scietific facts in clouds and sky and the connection between them such as the inoculation of the clouds and plants by the wind, also the «Holy Koran» has connected between mountains and the falling of rain and this has been supported by science. Also, the Holly Koran has differentiated between sorts of clouds: as clouds which fall hails, clouds by which meadows are grown and barren clouds which never rain.

Moreover, the Holy Koran has connected between water and the obediance of God, and it has appeared through its verses thatwater could be a trail or an agony and that the fall and stability of water on the surface of the earth was nothing but a destined matter of accurancy and wisdome.

Chapter Six

One of the best gifts in the paradise is water. God has honored his prophets Mohammad peace upon him with a basin whose drinkers never get thirsty and honored him with «AL-Kwathar» (a river in the paradies), Also God has honored his slaves with heaven rivers and its spring and drinks. One of the strongest sort of agony in the hell is water which reached the highest degree of stinking and heat. Then water could be a heaven for believers and misery for unbelievers.

فهرس المحتوى